



الموشحات الأندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني



سلسلة كتب ثقافية شهرية يديرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في شعبان ١٩٩٨ بإشراف أحمد مشاري العدوانى ١٩٢٣ - ١٩٩٠

31

الموشحات الأندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني



١٩٨٠
شعبان

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المتنوع المتنوع المتنوع المتنوع

7	تمهيد
11	القسم الاول: النشأة والتطور نشأة الموشحات الأندلسية تطورها وأقسامها ولغتها
40	القسم الثاني: الأغراض أغراض الموشحات الأندلسية
64	القسم الثالث: وشاحو الاندلس والمغرب وشاحو الاندلس
67	الفصل الرابع طور النشأة
73	الفصل الخامس الجيل الثاني
83	الفصل السادس فترة النضج والازدهار
127	الفصل السابع وشاحو القرن السابع الهجري
143	الفصل الثامن وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين
165	الفصل التاسع بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة
175	الفصل العاشر موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

المتنوّع المتنوّع المتنوّع المتنوّع

181	مسك الختام
188	ملاحق
244	نماذج من الموشحات
271	نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها
277	أهم المصادر والمراجع
321	المؤلف في سطور

تمهيد

لاسم الأندلس في النفوس إيقاع شجي عميق
أسر، يحمل في طياته أصداء قرون من التوهج،
ويعيد للخاطر أمجادَ مدن لا تنسى: قرطبة،
غرناطة، أشبيلية وذكرى أعلام خلدوا على مر
الزمان، وصفحات مفعمة بالشجن لرايات تطوى،
وحضارة تتطفئ وتغيب في ضباب الأيام.

انتهت الأندلس كأسطورة من الأساطير، لكن
أطرافها لا تزال تهم بين الحين والحين، وصدى
لحن قديم يسري فتهتز له النفوس، وأسماء ومعالِم
لا تزول ما بقي الدهر: الحمراء، ماثلة كزنبقة لا
ينطفئ منها العبير أبداً، أزجال ابن قرمان بكل ما
تنبض به حيوية وعذوبة، والموشحات: نهر جياش،
يتدفق بالشذى والرؤى.

وقد شغلت الموشحات أجيالاً من العلماء في
الشرق والغرب، ولا تزال تغري بالبحث، وتكشف
من حين لآخر جوانب وضاءة من هذا الفن الذي
اجتمعت له عناصر الأصالة والجدة، وتمثلت فيه
عبقرية الشاعر الأندلسي، بكل ما فيها من غنائية
وأخيلة وإحساس بالحياة.

وقد بدأنا-في القسم الأول من هذا الكتاب-
بالحديث عن مصادر دراسة الموشحات، ثم سعينا
إلى تحديد ملامح نشأتها وتطورها وأقسامها،
ونظام الأوزان والقوافي التي سارت عليها.
أما القسم الثاني فيدور حول الموضوعات التي

تناولها أدباء التوشيح، وهي في واقع الأمر-عين الأغراض التي شاعت في الشعر العربي «الكلاسيكي»، وإن كان الوشاحون قد استطاعوا إضافة لون من الجودة في النسيج الفني للموشحة، ومرد هذا إلى اللمسة الشعبية التي تمثلت هنا وهناك، وإلى تركيز العناية حول الوصف والغزل وما إلى ذلك من أغراض، ومن البيديهي والأمر كذلك-أن تزخر الموشحات بالصور النابضة عن البيئة الأندلسية، وأن تأتي-في مجموعها-بعيدة عن الكلف «تشق على سماعها مصونات الجيوب، بل القلوب»، على حد تعبير ابن بسام صاحب الذخيرة.

ونصل للقسم الثالث، ويجد القارئ فيه لمحات عن أكثر من مائة وشاح أندلسي-لا نظن أنهم ذكروا جميعاً من قبل في كتاب واحد-وقد تلقطنا أخبارهم من مصادر شتى، منها-على سبيل المثال كتاب الذخيرة و «المغرب في حلي المغرب» و «المقتطف من أزهار الطرف» و «دار الطراز في عمل الموشحات» و «توشيح التوشيح» و «الوافي بالوفيات» و «فوات الوفيات» و «عنوان الدراية» و «الكتيبة الكامنة» و «نفح الطيب» و «أزهار الرياض»، وعدد جم من الكتب المطبوعة والمخطوطة.

وأضفنا-في نهاية المطاف-ملحقاً يضم منتخبات تمثل الموشحات في عصورها وألوانها المختلفة، كما قدمنا عدداً من النصوص الهامة حول الموشحات، انتخبناها من المصادر المعتمدة، وعلقنا عليها بما يناسب المقام. وغني عن القول أن هناك زوايا عديدة لم نشأ أن نتطرق إليها هنا (منها على سبيل المثال، علاقة الموشحات بأغاني الترو بادور)، وجوانب عالجنها في إيجاز شديد، وقد تعمداً أن يكون الحديث كله مركزاً حول الموشحات الأندلسية، وحدانا إلى هذا أن معظم ما هنالك من كتب عن الموشحات يغرق في الاستطرادات أو يركز على زوايا الموسيقى والغناء والأوزان، حتى لا يكاد يجد القارئ فيها ما يروي الغلة عن الموشحات نفسها.

وحرصنا كذلك على أن يكون الكتاب ميسوراً للقارئ العام، ومن ثم نحينا جانباً القضايا الدقيقة التي لا تعني إلا المتخصصين، واكتفينا برسم الخطوط العامة للموضوع، تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة.

وننبه هنا إلى أننا لم نعرض في هذا الكتاب للوشاحين المشاركة (وسبق أن قدمنا عنهم وعن النصوص المشرقية دراسة-بالفرنسية-في زهاء ألف

تمهيد

صفحة) على أمل أن نقدم عنهم كتاباً مستقلاً في أمد قريب بإذن الله .
وأرجو-في الختام-أن يجد القارئ الكريم في هذه الصفحات ما يغريه
بالمزيد من القراءة في الأدب العربي، وأن تدفعه للعودة إلى كنوز التراث
الإسلامي في كافة مجالاته ومختلف عصوره، وهو تراث غني-والحمد لله-
بكل ما يضيء الأذهان، ويمتغ النفوس.

د. محمد زكريا عناني

مكة المكرمة - يناير ١٩٧٩ م

القسم الأول النشأة والتطور

نشأة الموشحات الأندلسية تطورها وأقسامها ولغتها

١ - مصادر دراسة الموشحات (*) :

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى مجموعتين: مغربية ومشرقية، أما المصادر المغربية (وتتضمن الأندلسية بطبيعة الحال) فإنها تمدنا أساساً بقدر وفير من النصوص، ولكنها لا تتضمن إلا معلومات ضئيلة عن البناء الفني للموشحات، ولنسجل في الوقت ذاته أن عدداً من المؤلفات الأدبية التاريخية الأندلسية تجاهل هذا الفن تماماً، أو اكتفى بتقديم إشارة عابرة عنه.

ويعجب الإنسان أشد العجب حين يتبين أن كتاب العقد الفريد على ضخامة حجمه، لا يشير البتة للموشحات، في الوقت الذي تزعم فيه بعض المصادر أن مؤلفه ابن عبد ربه كان من أوائل الذين وضعوا الموشحات.

وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ^(١) لا يذكر عن هذا الفن إلا عبارات متناثرة، وقد نص مؤلفه ابن بسام على أنه لن يتعرض لها في كتابه لأن «أوزانها خارجة عن غرض الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض شعر العرب» ولا يشير الفتح

ابن خاقان، صاحب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس للموشحات بالمرّة، وأما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن «العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة».

ومن الذين ذكروا الموشحات من مؤرخي الأندلس والمغرب ابن دحية صاحب المطرب من أشعار أهل المغرب ولكن هذا الفن لا يحتل إلا منزلة ثانوية في كتابه. (2)

وأما ابن سعيد المغربي، وعلى الرغم من أنه اهتم بالموشحات في المغرب في حلي المغرب، كما تعرض لها في كتاب آخر له (لم يطبع بعد) هو المقتطف من أزاهر الطرف (3) فإنه لم يتناول الجوانب الفنية، أو يسعى لإبراز صورة جليلة عن الموشحات.

والمقري في كتابيه: نفح الطيب و أزهار الرياض يكتفي بتقديم طائفة من النصوص المختارة من موشحات أهل الأندلس والمغرب ومن نسج على منوالهم من الشعراء المشاركة.

وأما كتاب جيش التوشيح لسان الدين بن الخطيب فلا يضم سوى مختارات من الموشحات، واكتفى مؤلفه بأن وضع له مقدمة في صفحة واحدة.

وهناك أيضاً لابن بشرى الغرناطي كتاب عنوانه عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس (4) اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشحة، ولكنه لم يتضمن مقدمة ذات شأن عن هذا الفن.

ولا يفوتنا أن نشير إلى كتاب ابن سعد الخير البلسني عنوانه «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» لكن هذا الأثر مفقود في الوقت الحاضر.

وينطبق هذا القول على عبد العزيز القشتالي مدد الجيش، وهو ذيل على كتاب جيش التوشيح لابن الخطيب (5)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصفحات القليلة التي يجدها القارئ عن الموشحات في مقدمة ابن خلدون نقلت بنصها من كتاب «المقتطف» لابن سعيد، ولم يضيف ابن خلدون إليها إلا أشياء ثانوية.

هذا عن المصادر المغربية (6)، أما المصادر المشرقية فأهمها كتاب دار

الطراز-وسنعود إليه بعد قليل-، وهناك ملحوظات عن هذا الفن في العاقل الحالي والمرخص الغالي للصفى الحلى وفي المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيى و سفينة ابن مباركشاه والدر المكنون فى السبع فنون لابن إياس، وفى «خلاصة الأثر» للمحبى.. الخ، وما نجده فى كتب التراجم مثل معجم الأدباء لياقوت الحموى و الوافى بالوفيات للصفدى و فوات الوفيات لابن شاكراً، و المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى... الخ، والملاحظ-مع ذلك-إن ابن خلكان-فى كتابه الضخم وفيات الأعيان-لم يذكر حرفاً واحداً عن الموشحات، وقد أرخ لابن بقى فاكتفى بأن قال عنه: «صاحب الموشحات البديعة» ولم يشر للموشحات البتة وهو يتحدث عن غير ابن بقى من شعراء الأندلس، والأكثر من ذلك ترجم لابن عبد ربه-الذى جاء فى بعض الكتب عنه أنه كان من أوائل الذين نظموا الموشحات-إلا أن ابن خلكان صمت تماماً عن تناول هذه القضية.

لكن هناك-على كل حال-كتاباً للصفدى عنوانه توشيع التوشيع يتضمن عدداً من موشحات المغاربة وأهل الأندلس، وموشحات شعراء مشاركة، وفيه قدر وفير من موشحات الصفدى نفسه. ولهذا الكتاب مقدمة ضافية، لكن جل ما جاء فيها مستمد من مقدمة كتاب دار الطراز (7) وهناك كتاب مفقود فى الوقت الحاضر، لصدر الدين بن الوكيل عنوانه طراز الدار وهو عنوان قد ينم عن أن مؤلفه سار فيه على نهج ابن سناء فى دار الطراز. ومن الكتب التى لا تزال مخطوطة كتاب عقود اللآلى فى الموشحات والأزجال (8) لشمس الدين النواجى وكتاب سجع الورق المنتخبة فى جمع الموشحات المنتخبة.

ونشير فى ختام المطاف إلى مجموعة تحمل عنوان العذارى فى الأزجال والموشحات (9) وطبعت فى أوائل هذا القرن، وهذه المجموعة اختارها أديب لبنانى (فيليب قعدان الخازن) من مخطوطة عثر عليها فى بعض مكتبات إيطاليا.

هذه إلمامة بأهم مصادر دراسة الموشحات فى المغرب والمشرق (10)، وأما دار الطراز-الذى نوهنا من قبل بأهميته-فكتاب صغير طبع منذ حين فى نحو مائة وخمسين صفحة، ويضم أربعاً وثلاثين موشحة أندلسية ومغربية أردافها ابن سناء الملك بخمس وثلاثين موشحة من نظمه هو (وأضاف إليها

المحقق موشحتين آخرين عشر عليهما في مخطوطة فصوص الفصول وعقود العقول لابن سناء الملك)، أما أهم ما جاء في الكتاب فهو المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته تلك، وتقع في النسخة المطبوعة-في نحو عشرين صفحة، تحدث فيها عن الموشحات وأقسامها وأوزانها الخ.. وسنعود مرات عديدة لهذه المقدمة حين نتناول أقسام الموشحة وأوزانها.

2- نشأة الموشحات بين المشرق والمغرب:

علينا بادئ ذي بدء-أن نحدد موقفنا بإزاء تلك المشكلة التي طالما تناولتها- ولا تزال تتناولها-الأقلام. كلما عرضوا لبدء ظهور الموشحات، و يثور الجدل في الغالب حول النص الشهير:

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي

قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

فهذه الموشحة نسبت في بعض الأحيان لعبد الله بن المعتز (توفي سنة 295هـ) وهو-كما نعرف جميعاً-شاعر عباسي مشرقي، لا علاقة له بالأندلس لا من قريب ولا من بعيد.

لكن هذا النص نفسه (الذي يجئ في بعض المراجع: أيها الشاكي) ينسب في العديد من المصادر للوشاح الأندلسي أبي بكر بن زهر، المعروف بالحفيد (توفي سنة 595 هـ)⁽¹⁾، وقد ذكر كامل كيلاني في كتابه نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي:

«لو لم يخترع الأندلسيون الفن المسمى بالموشحات لاخترعه الشرقيون فقد كان حتماً أن يؤدي الغناء ومجالسه في الشرق إلى نفس هذه النتيجة التي انتهى إليها في الأندلس.»

وفي موشحة ابن المعتز الرائعة.. أكبر دليل على صحة ما نقول، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة في القرن الثالث، أي في نفس القرن الذي اخترع فيه مقدم بن معاذ موشحاته في الأندلس وأضاف:

«ولعل أغرب ما نذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخي الأدب جميعاً ذكر هذه الموشحة التي قالها ابن المعز، كأن هذا الحدث الجلل الذي ترك أوضح الأثر في البلاغة العربية أقل خطراً لفت اهتمام ابن المعتز بالمحسنات البديعية⁽²⁾.

والحقيقة التي لم يتبها لها كامل كيلاني ومن تابعه في رأيه هذا أن كل الاعتبارات تقود إلى رفض نسبة هذه الموشحة لابن المعتز، وإلى القول بأنها أندلسية التأليف، على النحو الذي تؤكد مصادر عديدة مثار: دار الطراز⁽³⁾ و المغرب في حلي المغرب⁽⁴⁾ و معجم الأدباء⁽⁵⁾ والوافي بالوفيات⁽⁶⁾ و عقود اللآل في الموشحات والأزجال⁽⁷⁾ وأهم من هذا كله المطرب⁽⁸⁾ لابن دحية تلميذ ابن زهر.

وهناك نص نسبته الدميري لأبي نواس أوله:

ما روض ربحانكم الزاهر

وما شذى شركم العاطر

وتتحدث بعض المراجع عنه على اعتبار أنه من الموشحات، وواقع الأمر أن هذه القطعة مخمسة لا موشحة، وهي كما مر بنا في التمهيد-«مكذوبة النسبة»، وقد عرضنا كذلك للنص الذي نسب إلى ديك الجن الحمصي، وما يداخلنا بإزائه من الشكوك.

وعلى كل، فإن هذين النصين الأخيرين لا يثيران جدلاً يستحق الذكر، أما النص الذي نسب إلى ابن المعتز، فلا يزال يغري فريقاً من الدارسين، فيدفعهم إلى الجزم بأن الموشحات إنما ولدت بالمشرق وعلى يد ابن المعتز، ومن هؤلاء د. صفاء خلوصي الذي يذكر في كتابه: فن التقطيع الشعري والقافية:

«ونحن ممن يعتقدون بأنه (أي الموشح) فن نشأ في المشرق، ولكنه تطور في المغرب، وبلغ ذروته في القرنين السابع والثامن للهجرة (كذا) وباعتقادنا أنه ظهر أول ما ظهر في العراق، وأن أول موشحة في تاريخ الأدب العربي هي موشحة «أيها الساقى...» وفيها-كما يرى الفاحص المدقق-نفس أمير وإبداع رجل متفنن...»⁽⁹⁾.

وفي هذا الرأي رفض-بلا دليل بيّن-لما ذكرته المصادر المعتمدة في تاريخ الموشحات، وليس صحيحاً أن هذا الفن بلغ ذروته في القرنين السابع والثامن وبحسبنا أن نذكر هنا ما قاله له لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 711 هـ أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن): «ومما قلته من الموشحات التي انفراد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها...»⁽¹⁰⁾.

هذا رأي يقول إن بدء ظهور الموشحات كان بالعراق، يصدر عن باحث عراقي، وهناك رأي آخر لباحث يمني، يزعم فيه أن الموشحات ظهرت أول ما ظهرت باليمن، ففي كتاب أحمد حسين شرف الدين:

الطرائق المختارة من شعر الخفنجي والقارة:

«لا يوجد بين ظهرانينا أي مصدر يثبت لنا الزمن الذي نشأ فيه الموشح في المحن، إلا أننا نستطيع أن نحدد القرن الثالث الهجري تاريخاً له بدليل ظهوره بعد ذلك في القرن الرابع بالتحديد في الأندلس، على يد رجل ضرير يدعى محمد حمود أو محمود القيري، نسبة إلى قبيلة.. والذي أراه أن القبري كان تصحيفاً من القيري. وآل القيري مشهورون بخولات الطبال، شرقي صنعاء».

ويمضي المؤلف مفترضاً بعد ذلك-استناداً إلى هذا الضرب من الاستنتاجات-أن الموشح «اليمني» تطور شيئاً فشيئاً على يد زرياب وغيره من الموسيقيين، ويفضل ابن القزاز وابن ماء السماء وغيرهما من شعراء الأندلس، ثم يضيف أن الموشح «انتقل في غضون القرن السابع الهجري إلى رحاب ابن سناء الملك المصري»

ومما لا ريب فيه أن مثل هذه «الاستنتاجات لا تصمد أمام أقوال الثقات من المؤرخين، ممن اتفقوا. على أن الموشحات «مما ترك الأول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق»⁽¹¹⁾ وهناك غير ما رأينا ما هو أمعن في الغرابة، يأتي في كتاب لمحمد عبد المنعم خفاجي بعنوان: البناء الفني للقصيد العربية⁽¹²⁾ وفيه أنه ورد في كتاب عن الموشحات، لعلّام خليل (مخطوط بكلية اللغات) نقلاً عن كتاب بعنوان: القصيدة الدرويشية في تحرير السبع فنون الأدبية⁽¹³⁾ ما يقال من أن أول التواشيح غنى به أولاد النجار عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، إذ استقبلوه والجواري ينشدون:

أشـرقت أنوار محمد

واختفت منه البـدور

يا محمد يا محمد

أنت نور فوق نور

وليس في النص ولا في المرجع الذي يذكره ما يحمل على الاعتداد به،

نشأة الموشحات الأندلسية

لكن الأعجب من هذا أن د. مصطفى الشكعة في كتاب له عن: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه يأخذ به ويحور فيه و يضيف إليه؟ فهو يقول، في معرض الحديث عن الخرجات في الموشحات:

«ولا زالت ترن في أسماعنا في مطلع كل عام هجري الأنشودة الطريفة التي استقبل بها أهل المدينة محمداً صلى الله عليه وسلم:

طالَعَ البدرُ عَلَيْنَا
مِنْ ثَنِيَّاتِ الوُدَاغِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا
مَا دَعَا لِهـ دَاغِ
أَيُّهَا المَبْعُوثُ فِينَا
جِئْتَ بِالْأَمْرِ المَطَاعِ
وفيهما يمعن أهل يثرب في إبداء ابتهاجهم بالرسول اسماً وصفة في قولهم:

أشـرقت أنوار أحمد
واختفت منها البُـدورُ
يا محمد يا مُحمّد
أنت نورٌ فوق نور

وجدت إذن في بواكير الشعر العربي أنماط من الأوزان تتساقط فيها القوافي في كل مصراع لكي تساعد المنشد أو المغني-محترفاً كان أو هاوياً- على أن يجد إيقاعاً يعتمد عليه... (14).

و د. الشكعة لم يذكر أن هذا النص (وهو في حقيقة الأمر نصان لا علاقة للثاني منهما بالأول) من الموشحات، وإن كان ذكره في ثنايا الحديث عنها، والصلة بينه وبين ما جاء في كتاب خفاجي الذي ذكرناه لا تخفى.

3 - ظهور الموشحات الأندلسية:

اشتقت كلمة الموشح، على أرجح الظن، من المعنى العام للتزيين، سواء كان ذلك وشاحاً أم قلادة مرصعة، أم غير ذلك (1).

واستعملت الكلمة في أحايين كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية (2)... لكن الذي يعيننا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي،

عرف على مدى الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح، وعرف الناظم فيه باسم الوشاح، وإن لم يؤثر عن واحد ممن برعوا في الموشحات أنه اقتصر على النظم فيها وحدها، بل المعروف أن شعراء الأندلس كانوا يقرضون الشعر وينظمون الموشحات، وإذا كانت شهرة عدد منهم قد تمثلت في هذا الفن، فليس معنى هذا أنهم اقتصروا عليه.

وفي كتاب: الذخيرة أن «أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعارض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي-ويسميه المركز-، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان»⁽³⁾.

وفي مقدمة ابن خلدون:

«وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية، استحدث التأخر من منهم فناً سموه بالموشح.. وكان المخترع (له) مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد»⁽⁴⁾.

ويتناول ابن شاعر الكتبي مؤلف فوات الوفيات الموضوع بدوره فيقول: «وقيل إن ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة بن عبد الله، وهو ابن ماء السماء فأحدث التصغير (لعلها: التضمين، الذي جاء ذكره في «الذخيرة» وإن يظل المعنى غامضاً)، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز»⁽⁵⁾.

والآراء حول النشأة الأندلسية للموشحات أكثر من أن تحصى، ولكن ليس معنى هذا أن الموشحات ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي، فمؤلفو الموشحات هم أولاً وأخيراً شعراء عرب، وهذه حقيقة لم ينكرها حتى المستشرقون المنادون بأن في الموشحات عناصر إسبانية محلية.

وقد تطرق كثيرون لهذه القضية في الماضي وفي الحاضر، وهناك نص هام حولها أورده الصلاح الصفدي، نقلاً عن أبي الحسن علي بن سعد الخير:

«ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي، وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استتبطنوا من تلك الأعاريض أقساماً مؤلفة على فقر مختلفة وقواف مؤلفة. قلت (أي الصفدي): يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العروض-قال (أي أبي سعد الخير: وسموها ملاعب وهي قصيدة قائمة على قواف رباعية أو غير رباعية واستتبطن منها أيضاً أهل الأندلس ضرباً قسموه على أوزان مؤلفة وألحان مختلفة، وسموها موشحات وجعلوا ترصيع الكلام، وتتميق الأقسام، توشيحاً وكانوا أول من سن هذا الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه» (6).

أما المستشرق الإسباني «إيميليو جارتيا جومث» فإنه يرى أن الموشحات تضمنت عناصر عربية أصيلة، وفي بنائها الفني تشابه كبير مع بناء المسطحات والخمسات ولكنه يعتقد أن في الموشحات عناصر محلية إسبانية، تتمثل في الجزء الأخير من الموشحة أي في «الخرجات» وسنوضح ذلك بعد قليل (7).

4- تركيب الموشحة:

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات، ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق على واحد من النصوص الشهيرة، وليكن هذا النص موشحة للأعمى التطيلي (1):

ضاحكٌ عن جُـمـانٍ
سافـرٌ عن بـادرٍ
ضاقَ عنـه الزَّـمانُ
وحـوَّاهُ صَـدْـري

آه ممَّـا أجـد
شـمَّـني ما أجـد
قام بي وقَّـد
باطشٌ مُـنـيَّـد
كلَّـما قلْتُ قـد
قال لي أيـن قـد

وانثني خُوطُبانُ
 ذا مَهْزَنَ ضَرَر
 عابثُهُ يَدانُ
 لاصِّبا والقطر

ليُسَ لي منك بُدْ
 خذ فَوَّادي عن يدْ
 لم تَدْعُ لي جَآدْ
 غيرَ أَنِّي أَجْهَدْ
 مَكْرَعُ مَنْ شُهِدْ
 واشتياقي يَشْهَدْ

مالِبتِ الدَّنانُ
 ولذاكَ الـثَغَر
 أينَ مَحْيا الزَّمانُ
 من حُمَيَّا الخمر
 بي هوى مُضْمَرُ
 ليتَ جَهْدِي وفَقْدُهُ
 كُما يَظْهَرُ
 ففَوَّادي أَفْقُهُ
 ذلِكَ المَنَظَرُ
 لا يُدَاوي عَشَقُهُ
 بأبي كَيْفَ كان
 فـالـكَـيـ دُرَى
 راقَ حَتَّى اسْتَبانُ
 عُدْرُهُ وعُدْرِي
 هلْ إِلَيكَ سَبِيلُ
 أوْإلى أنْ أياسا

دُبُّبْتُ إِلَّا قَاقَايِلُ
عَبْرَةَ أَوْ نَفَسَا
مَاعَسَايَ أَنْ أَقُولُ
سَاءَ ظَنِّي بِعَاسَا

وَانْقَضَى كُلُّ شَأْنٍ
وَأَنَا أَسْتَشْرِي
خَالِعاً مِنْ عَنَانٍ
جَزَعِي وَصَبْرِي

مَاعَالَى مَنْ يَأُومُ
لَوْ تَنَاهَى عَنِّي
هَلْ سَوَى حَبْرِي
دَيْنُهُ التَّجَنِّي
أَنَا فِيهِ أَهْيَمُ
وَهُوَ بِي يَغْنِي

قَدْ رَأَيْتُكَ عِيَانٍ
لَيْسَ عَلَيْكَ سَاتِدِي
سَايَطُولُ الزَّمَانِ
وَسَتَنَسَى ذَكْرِي

وإذا طبقنا المصطلحات التي استعملها ابن سناء الملك في مقدمة دار الطراز⁽²⁾ قلنا إن هذه الموشحة مما يطلق عليه اسم «الموشح التام» ونص قوله: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، و يقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات و يقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ بالأفعال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.» ووفقاً لهذا الحكم يكون مطلع الموشحة:

ضَا حَا كُ عَنْ جُمَانٍ
سَا فَرُّ عَنْ بَارِدٍ

ضاقَ عنهُ الزَّمانُ
وَحَوَاهُ ص_____دري
وهذا المطلع هو القفل الأول من أقفال الموشحة.

القفل:

وقد عرف ابن سناء الملك الأقفال بأنها «أجزاء مؤلفة، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها».. والقفل، كما تقدم، يتردد في الموشح ست مرات في التام، وخمس مرات في الأقرع وأضاف:

«وأقل ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً، إلى ثمانية أجزاء، وقد يكون في النادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء»⁽³⁾ «والجزء من القفل لا يكون إلاً مفرداً» والقفل في موشحة الأعمى التطيلي السابقة يتركب من أربعة أجزاء، بنيت على قافيتين «أ، ب أ، ب»، وذكر من أمثلة الأقفال المركبة من جزأين:

شَمْسٌ قَارَنْتُ بَدْرًا
رَاحٌ وَن_____ديم (4)
ومن أمثلة ما ركب من ثلاثة أجزاء:

حَلَّاتٌ يَدُ الْأَمْطَارِ
أَزْرَةُ النُّوَارِ فَيَا خَدْنِي
ومن أمثلة ما ركب من خمسة أبيات:

يَا مَنْ أَجُودُ وَيَبْخُلُ
عَلَى شُحِّي وَافْتِقَارِي
أَهْوَائِكَ وَعَنْ نَدِي زِيَادِهِ
مِنْهَا شَوْقِي وَادِّكَارِي
إلى آخر ما يمكن أن يكون عليه القفل من أجزاء.

البيت:

ومعنى البيت في الموشحة غير معناه في القصيدة التي يأتي فيها البيت مكوناً من شطرين:

والبيت الأول، في موشحة الأعمى التطيلي:

أه مَهَّـا أَجـدُ
شَفَّـنِي مَـا أَجـدُ
قَـامَ بِي وَفَّـعـدُ
بَاطِش مَـتَّـئـدُ
كُـامَ قَـاتُ قـدُ
قَـالَ لِي أَيـنَ قـدُ

وعرف ابن سناء الملك الأبيات بقوله أنها «أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها، لا في قوافيها بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر.

والبيت السابق يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة، أي أن كل جزء يضم فقرتين.

ومن الأبيات ما قد تأتي مفردة كما في المثال التالي:

أرى لك مُهَيَّـدُ

أحاط به الإثمـدُ

فجرّد ما جرّدُ

وهناك أمثلة عديدة للأبيات ذات الأجزاء المفردة أو المركبة، ونضيف إلى ما ذكرناه المثال التالي، الذي يتضمن خمسة أجزاء، كل جزء منها تركب من فقرتين:

هَنَ الظُّبَاءُ الشَّمْسُ

قَنِي صُـهُنَ الضَّيْغُـمُ

مَا إِن لَهَا مِنْ كُنْسُ

إِلَّا أَلَةُ أَوْبِ الْهُيَّـمُ

الْقَرْبُ مِنْهَا عُرْسُ

وَأَلْبُعْدُ عَنْهَا مَا تَمُ

تَأُكُ الشَّضَاءُ الْأَعْسُ

يَحْيَا بِهِنَ الْمُغْرَمُ

لَهَا لِحَاطُ نُعْسُ

تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسْقَمُ

وقد لا يبدأ الموشح في بعض الأحيان بالقفل بل بالبيت مباشرة، وفي هذه الحالة يطلق على الموشح اسم الأقرع.

الخرجة:

وهي القفل الأخير في الموشحة، وسنعود إليها لنتناولها في شيء من التفصيل بعد قليل.

هذه أهم المصطلحات التي نجدها في مقدمة «دار الطراز» وهي التي ينبغي الاعتماد عليها أساساً حين يتحدث الإنسان عن الموشحات ومصطلحاتها⁽⁶⁾.

إلا أن هناك بعض مصطلحات ترددت في بعض المصادر الأخرى الهامة، مثلما رأينا فيما قدمنا من مقتطفات عن الموشحات، نقلاً عن ابن بسام في «الذخيرة» وابن خلدون في «المقدمة»، ومن هذه المصطلحات «المركز» و«الأغصان» و«التضمين» في عبارة ابن بسام و«الأسماط» و«الأغصان» التي «يكثر الوشاحون منها ومن أعاريضها».

والنقاش قد يمتد بنا طويلاً إذا ما سعينا إلى قلب الدلالات والاحتمالات، ونكتفي هنا بأن نرجح أن المقصود بالمركز هو القفل، أما الأسماط، فليس ببعيد أن يكون المراد منها أجزاء الأقفال وأما الأغصان فيرجح في ظل هذا التفسير أن تؤدي معنى أجزاء الأبيات، وتبقى كلمة «التضمين» غامضة لا نعرف ما الذي أرادوه بها، وقد رأينا في «فوات الوفيات» كلمة أخرى هي «التضفير» وليس ببعيد أن تكون هذه اللفظة الأخيرة هي بعينها «التضمين» بعد أن أصابها شيء من التحوير.

ويرى القارئ في بعض المصادر الأخرى مثل «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيحي مصطلحاً آخر هو «الدور» و يأتي في مقابل «البيت» وقد انتشر استعمال لفظة «الأدوار» في العصور المتأخرة، في كثير من الأغاني والأزجال، بمعنى أن «الدور» أصبح وحدة فنية قائمة بذاتها.⁽⁷⁾

والدارسون المحدثون يختلفون فيما بينهم فيما يتصل بتلك التسميات فالدكتور مصطفى عوض الكريم، مؤلف كتاب هام عنوانه «فن التوشيح» يطلق⁽⁸⁾ على القفل الأول اسم «المطلع» أو «المذهب» و يستخدم كلمة «الدور»

للدلالة على ما أسماه ابن سناء الملك بـ «البيت».

أما البيت فقال إنه «الدور مع القفل الذي يليه» وأطلق لفظة الغصن على «القسم الواحد من المطلع أو القفلة أو الخرجة» و «الغصن» عنده مساو لـ «الجزء» عند ابن سناء الملك، كذلك استعمل كلمة «الأسماط»، جمع سمط، حين تحدث عن أجزاء البيت (بحسب اصطلاح ابن سناء الملك أو الدور بحسب اصطلاحه هو)، وعلق على هذا الاستعمال قائلاً:

وجدير بنا أن نذكر أن هذا التعريف للغصن والصمت هو الذي ارتضيناه بعد طول النظر في أجزاء الموشحات، فإننا لم نجد أحداً ممن سبقنا له تعريف واضح محدد لها، وقد يستعمل أحدهما أو كلاهما في معنى الدور أو القفل. ولم يرد اللفظان في كتاب دار الطراز، ويستعمل ابن سناء الملك بدلاً منهما معاً لفظة «جزء»، وقد وردت لفظة الأغصان في كلمة لابن بسام يصف فيها اختراع المرشحات وتطورها، ومعناها غير واضح ولا محدد ويخيل لي أنه يقصد بها الأدوار والقفلات، ما عدا الخرجة، التي يشير إليها إشارة واضحة بلفظة

المركز: (9)

أما د. جودت الركابي في كتابه في الأدب الأندلسي فيلتزم بمعظم المصطلحات التي جاءت في «دار الطراز»، ولكنه يضيف أن وشاحي الأندلس حاولوا أن يفتتوا في الأقفال والأبيات وعدد أجزائها، والتزام قوافيها، ليصلوا من ذلك، إلى أنواع جديدة تحمل أسماء جديدة، فمن ذلك أن يسموا القفل لازمة إذا كان القفل بيتين صدرهما قافية واحدة، وعجزهما كذلك، ثم يأتي بعد ذلك البيت ثلاثة أجزاء، وكل جزء فقرتان، متفقة صدرهما في القافية، قيا يأتي القفل، وبعده بيت، وهكذا إلى النهاية... وأضاف بعد ذلك:

«وكل قفل مع البيت الذي يليه يسمى السمط، ونرى أن الموشحة تتألف من عدة أسماط متشابهة في أفعالها، مختلفة في أبياتها، وهذا ما يكون نوعاً من الترصيع يقربه من وشاح المرأة الذي شبهت به الموشحات»⁽¹⁰⁾.
اختلف الناس فيما بينهم إذن، وحاول الدارسون على مدى العصور أن يجلوا ما يحيط بالمصطلحات القديمة من غموض، ولكنهم، قدماء ومحدثين، اتفقوا في التسمية الخاصة بآخر أجزاء الموشح، وهي الخرجة.

الخرجة:

ويعود بنا الحديث عن الخرجات إلى دار الطراز ومما فيه عن هذا القسم الهام من أقسام الموشحة:

«الخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منسوجة، من ألفاظ العامة ولغات الخاصة، فإن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقوال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر اسم الممدوح في الخرجة، فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي:

إنما يحيى: سليل الكرام: واحد الدنيا: ومعنى الأنام⁽¹¹⁾

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة حادة، هزaze سحارة خلافة، بينها وبين الصبابة قرابة، وهذا معجز معوز..

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما ألسنة الناطق أو الصامت.. وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسوان، والسكري والسكران، ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت.

ونحن مضطرون إلى متابعة بقية حديث ابن سناء الملك عن الخرجات لأنه بمثابة حجر الزاوية في هذا الموضوع:

«.. وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ، بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفساًفاً نفطياً،⁽¹²⁾ ورمادياً زطياً. والخرجة هي إبراز الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها. ويعملها من ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية... فكيف ما جاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس حلواً عند الذوق تناوله وتوكله.. وبنى عليه الموشح، لأنه وجد الأساس وأمسك الذنب، ونصب عليه الرأس».

ويضيف ابن سناء الملك بعد ذلك أن من المتأخرين من يجد مشقة في تأليف خرجة تجتمع لها كل هذه الصفات، ومن ثم يبني موشحته على

خرجة غيره، وهو يرى أن هذا الصنيع من متأخري الوشاحين أفضل من الوقوع في الثقل أو التكلف الذي قد يتعرضون له، لو أنهم سعوا إلى تأليف خرجات من عندهم.

ولعل هذا النص في حاجة إلى شيء من الإيضاح، فما المراد بقوله إن الخرجة ينبغي أن تكون «حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن»؟ إن اللفظة الأولى تشير إلى شاعر بغدادى هو ابن الحجاج (توفى سنة 391 هـ) وفي شعره مجون وأحماس يربو على صنيع أي شاعر عربي آخر (والسخف الذي يشير إليه ابن سناء الملك يعني الميل للهزل ولا يدل على الثقل، كما قد يتوهم فريق من القراء) وفي لفظة «قزمانية» إشارة إلى ابن قزمان (توفى سنة 555 هـ) الزجال الأندلسي المشهور فكان الشرط في الخرجة-وفقاً لما قرر ابن سناء الملك-أن تكون معبرة عن المجون، وأن تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقيين واللمصوص «الداعة» والرعاع.

ولكن ابن سناء الملك يلاحظ في الوقت نفسه أن هناك خرجات جاءت بالفصحى⁽¹³⁾. وذلك حين تكون الموشحة موشحة مديح وذكر اسم الممدوح في الخرجة وقد لا تكون كذلك، ولكن روعي فيها أن تكون نظمت في ألفاظ غاية في الرقة، مشحونة بالموسيقى والمعاني الأسرة والصور الموحية. ويلاحظ كذلك أن «البيت» الذي قبل الخرجة يتضمن كلمة «وقال» أو «قلت» أو «غنت»... الخ، أي يتضمن لفظة تدل على أن الخرجة هي الجملة التي تردت على لسان إنسان ما «العاشق أو العاشقة» أو على لسان الطير أو الشجر الخ...

والخرجة-في موشحة الأعمى التطيلي التي ذكرناها-جاءت على لسان المحبوب، ونصها، مع البيت الذي جاء قبلها:

مَاعَالَى مَن يَأْوُمُ
لَوِثْنَاهُ عَنِّي
هَلْ سَوَى حُبِّ رَيْمٍ
دَيْنُهُ النَّجَافِي
أَنَا فِيهِ أَهْيَمُ
وَهُوَ بِي يُعْغَنِي

قد رأيتك عياناً: ليس عليك ساندري: سيطول الرّمان: وستنسى ذكرى
وهي خرجة عامية، ولكنها لا تمثل، مع ذلك، ما قرره ابن سناء الملك من
شروط المجون، وأداء المعنى في لهجة الرعاع.
ومن الموشحات التي جاءت في «دار الطراز» وفيها قدر وفير من الأحماض
الموشحة التي أولها:

مَنْ أودع الأَجْفانَ
صوارمَ الهَنَدِ
وفي آخرها أن المحبوبة الفاتنة «باتت وهي تشدو»:
حبيبي اعزمْ وقُمْ واهجمْ
وقبلْ قُمْ واجي وانضمْ
إلى صدري وقم بخلخالي
إلى أقرطى قد اشتغل زُوجي

وتضم مجموعة «جيش التوشيح» لسان الدين بن الخطيب موشحات
كثيرة لها خرجات عامية فيها قدر من الفحش والتعبير عن الرغبات الحسية.
وذكر ابن سناء الملك عدداً من الموشحات التي جاءت الخرجات فيها
بالفصحى، ولم تكن موشحات مديح ولكن لغة الخرجة بلغت الذروة في
السهولة والشاعرية، فن ذلك موشحة ابن بقى التي أولها:

مالي شَمُول إلا شُجُونُ
مزاجُها في الكأس دمعْ هَتُونُ
والخرجة هي:

ليل طويل ولا مُعَيْن
يا قلبَ بعض الناسَ أما تَلِينُ؟
ومن الموشحات الأخرى التي من هذا الطراز الموشحة التي أولها:
يا شقيقَ الرُّوح من جَسَدي
أهوى بي منك أم لَمْ
وهي تنتهي بالبيت والخرجة الآتيتين:

هل بشوقي رَدْعُ كُلِّ صبا
تجُتليها آية عَجبا
حين أشدُّوها بكم طَربا

يا نسيَمَ الروح من بلدي
 خبّر الأحياب كيف هم؟
 ومن هذا الطراز نفسه موشحة ابن زهر (التي نسبت خطأ لابن المعتز):
 أيها الساقى إليك المشتكى
 قد دعوناك وإن لم تسمع
 والخرجة فيها، مع البيت الذي يأتي قبلها:
 كبد حرى ودمع يكف
 يعرف الذنب ولا يعترف
 أيها المعرض عما أصف
 قد نما حبك عندي وزكا
 لا تقل في الحب إنني مدعي
 وقد يلجأ الوشاح إلى الاتكاء في الخرجة على بيت لشاعر غيره، كما
 فعل ابن بن في موشحته:

لست من أسرهوائك مخلصاً
 إن يكن ذا ما طلبت سراحاً
 والبيت الأخير فيها مع الخرجة:

لست أشكو غير هجر موصل
 قد منعت القلب عن عدل عادل
 وتغنيت لهم قول قائل:
 علموني كيف أسلو والاً

فاحجبوا عن مقلتي الملاحا
 فهذه الخرجة لا تعدو أن تكون بيتاً من قصيدة لابن المعتز أولها:
 عرف الدار فحياً وناحاً
 بعدما كان صحاً واستراحاً
 ظل يلحاه العذول ويأبى
 في عنان العذل إلا جماحاً

علموني كيف أسلو... الخ (14)

الخرجة «الأعجمية»>

الخرجة «الأعجمية» أو «العجمية» جانب من أكثر جوانب الموشحات

تعتقيداً وإثارة للجدل منذ زمن بعيد .
ومن جوانب الصعوبة أن المصادر القديمة لم تذكر بصددتها إلا عبارات
غامضة وجملًا مقتضبة .
فابن بسام اكتفى بأن قال إن الوشاح القديم كان « يأخذ اللفظ العامي
أو العجمي و يسميه المركز، ويضع عليه الموشحة »
وابن سناء الملك نفسه، في كتاب آخر له عنوانه فصوص الفصول وعقود
العقول ⁽¹⁵⁾، ولا يزال مخطوطاً، يقول في معرض حديثه عن مرشحة له:
« وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعملها المصريون من
استعاراتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة، فكنت إذا عملت
موشحاً لا أستعير خرجة غيري، بل ابتكرها واخترتها، ولا أرضى باستعارتها،
وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة، وقصدت ما قصدوه، واخترت أوزاناً ما
وقعوا عليها، ولم يبق شيء عملوه إلا عملته، إلا الخرجات الأعجمية فإنها
كانت بربرية ⁽¹⁶⁾، فلما اتفق لي أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح
⁽¹⁷⁾ وغيره، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية » .
وقد احتدم النقاش على أثر اكتشاف عدد من الموشحات العبرية
الأندلسية ⁽¹⁸⁾، ثم العثور على كتاب ابن بشرى الغرناطي « عدة الجليس »
وبه نحو ثلاثمائة موشحة، وعلى مجموعة « جيش التوشيح » للسان الدين
ابن الخطيب، وفي هذين الكتابين نصوص عديدة من الموشحات لها خرجات
بهذه اللغة التي دعيت حيناً بـ « العجمية » وحيناً آخر بـ « البربرية » .
ومن هذه الموشحات واحدة ألفها محمد بن عبادة القزاز والبيت الأخير
فيها:

يَا وَيْحَ مَنْ يَتَّصِلُ
بِحَبْلٍ مِّنْ لَا يَسْعَفُ
لَمَّا رَأَتْهُ بِطَلْ
وَهِيَ غَرَامَاتُ كَأَفْ
غَنَّتْ وَمَا لَهَا مِلْ
إِلَّا إِلَيْهِ الْمَصْرَفُ

ثم تجيء بعد ذلك الخرجة:

ميو سيدي إبراهيم يانوا من دلج

فأنت ميب، دي نخت
أن نون شنون كارش، بيريم تيب
غرمي اوب، لقرت
ومعنى الخرجة:

يا سيدي إبراهيم، يا صاحب الاسم العذب، أقبل إليّ، في المساء فإن لم ترد، جئت إليك، ولكن أين أجذك؟⁽¹⁹⁾.

وتميل جمهرة المستشرقين إلى الاعتقاد بأن هذه الخرجات تركز على أغان إسبانية قديمة كتبت بلغة «الرومانت»، التي عرفنا أنها في جوهرها لهجة انتشت من اللغة اللاتينية، وأنها كانت شائعة على أرض الأندلس لفترة طويلة من الزمن.

وهم يستمدون فكرتهم أو نظريتهم هذه مما وجدوه من ارتباط شديد بين الموشح والموسيقى، وقالوا إن هذه الخرجات أغان شعبية إسبانية. اهتز لها فريق من الشعراء العرب، وأرادوا النسخ على منوالها وإبداع شعر قابل للتغني بنفس أوزانها وألحانها، وأدت هذه المحاكاة إلى إحداث تركيب معقد في بناء هذا النوع من الشعر، ليتوافق وما في هذه الأغاني من إيقاع..

ويقول جونثالث بالنثيا في هذا الصدد:

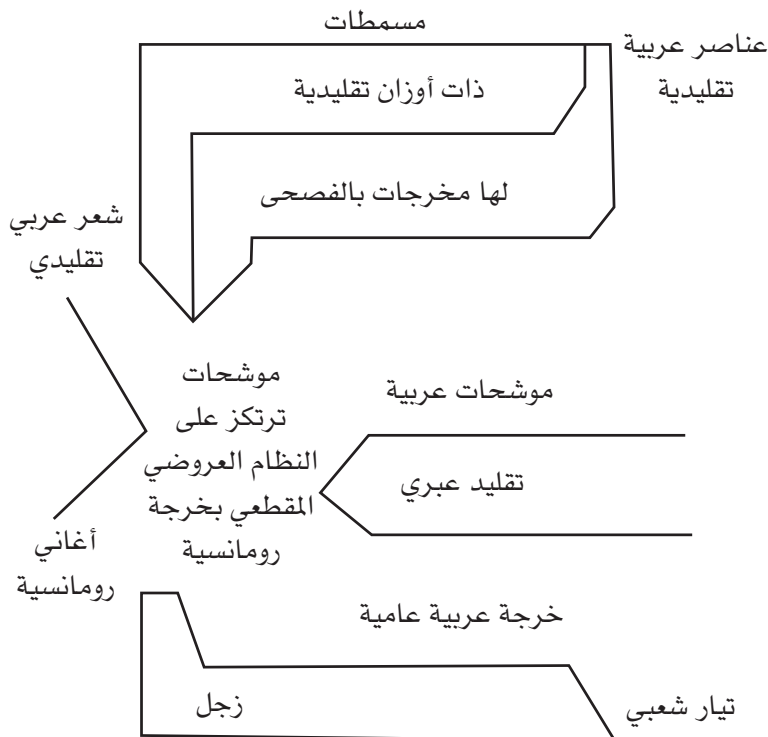
«ولم نوفق إلى الآن في التعرف على المصدر الذي استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسي محلي ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي، ويذهب البعض إلى أنه أصله البعيد روماني»⁽²⁰⁾ ويقول جومث:

«إن وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وأخرى عبرية في قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين، يؤيد أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانشية كانت معروفة من قبل، وأنه على هذه الأغاني بنيت الموشحات»⁽²¹⁾ ويلخص تطور الموشحات وفقاً للشكل الآتي:

وهناك فريق آخر من الدارسين العرب لا يؤمن بأن هذه الخرجات الرومانشية أغان شعبية قديمة أو نحو ذلك، بل يظن أنها من تأليف الوشاحين الأندلسيين أنفسهم.

والموضوع في واقع الأمر-أعمق من أن يتناول من زاوية ضيقة، أو تقدم

فيه آراء لا تتكئ على العلم والموضوعية.



وما يضير الأدب العربي في شئ أن تكون الموشحات قد تأثرت في الخرجات ببعض الأغاني المحلية الإسبانية، كما لا يضيره أن يكون الدوبيت- أو غيره- يتضمن عناصر أجنبية، فالبحت في ميادين الثقافة الإنسانية يقود إلى التسليم بأن هذه الثقافة ليست إلا ثمرة التزاوج بين حضارات شتى، على مدى الدهور.

وإذا كانت هناك نظرية تشير إلى وجود بعض خرجات رومانثية مستعارة من الغناء الإسباني القديم، فإننا نجد- في مقابلها- نظرية أقوى تأثيراً وأجل أهمية، تنادي بأن الموشحات والأزجال أثرت تأثيراً جوهرياً في نشأة الشعر الأوروبي كله، وتقول بأن أغاني ((الترو بادور)) ليست إلا «الصورة الأوروبية»

لهذين الفنين العربيين اللذين ظهرا على أرض الأندلس. ولهذه النظرية مؤيدون عديدون منهم-على سبيل المثال ريبيرا، ومنندث بيدال، وجونثالث بلنثيا، وجومث، وليفي بروفنسال، وشارل بلا، وهنري بيريس، وجب، ونيكل، وجرومباوم... الخ.

5- أوزان الموشحات:

قسم ابن سناء الملك في كتابه «دار الطراز» الموشحات إلى قسمين:
الأول: ما بنى على أشعار العرب.
الثاني: مالا علاقة له بهذه الأوزان.
وأوضح أن «ما بنى على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى قسمين:

الأول: وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي. وقد هاجم ابن سناء الملك هذا النوع من الموشحات هجوماً شديداً، وقال إنه «بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء»، ولكنه استثنى من الذم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل موشحة:

يا شقيقَ الرُّوح من جسدي

أهوى بي منك أم لمم

فالجزء الأول من هذا القفل على قافية الدال، أما الثاني فعلى قافية الميم، والجزءان معاً من بحر المديد، بدون أي تغيير.

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع، فمن ذلك موشحة:

أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

وقد جاءت على بحر الرمل⁽¹⁾

ومثل موشحة ابن بقى:

لست من أسرهوائك مُخللاً

إن يكن ذا ما طلبت السماحا

وهي بدورها على بحر المديد، وخرجتها بيت لابن المعتز.

هذا عن القسم الأول من أقسام الموشحات التي تتكى على أوزان الخليل بن أحمد، أما القسم الثاني من هذا النوع فهو «ما تخللت أقفاله وأبياته

كلمة أو حركة ملتزمة، كسرة كانت أم ضمة أو فتحة، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقرضاً محضاً. وضرب ابن سناء الملك مثلاً لذلك قول أبن بقي:

صبرتُ والصبرُ شيمَةُ العاني
ولم أقل للمطيل هجراني مُعذِّبي كفاني
فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي «معذبي كفاني» لكنا أمام نص من بحر المنسرح.

وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخرى مثل:

يا ويح صبَّ إلى البرقِ
لله نَظْرُ
وفي البكاء مع الورقِ
لله وَطْرُ

فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيتاً عادياً كما في الشعر التقليدي لو أنها جعلت:

يا ويح صبَّ إلى البرقِ له نَظْرُ
وفي البكاء مع الورقِ له وَطْرُ
وبذا تصبح من بحر البسيط.

وننتقل الآن للموشحات التي لم تجئ على أوزان أشعار العرب، وأمرها - ولا شك - أكثر تعقيداً، فضلاً عن أننا لا نجد عنها شيئاً ذا بال، باستثناء ما في «دار الطراز»، ويمكن أن يذكر في هذا الصدد كذلك قول أبن بسام إن «أوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، (يقصد كتابه الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب»⁽²⁾.

وابن سناء الملك يذكر أن هذا النوع يمثل الكثرة الغالبة، ويحدثنا أنه حاول أن يستخلص عروضاً لهذا النمط من الموشحات، ولكن محاولته لم يقدر لها النجاح، لأنه وجد أنها كثيرة العدد من ناحية، ورأى - من ناحية أخرى أنه لا يمكن ضبطها إلا بالتلحين: «وأكثرها مبنى على تأليف الأَرغن، والغناء بها على غير الأَرغن مستعار، وعلى سواء مجاز».

ويشير كذلك إلى لونين من الإيقاع، الأول واضح المعالم تدركه الأذن، كما تدرك الأوزان التي تبني عليها القصائد، والثاني خافت النغم، لا يكاد

يبين له وزن مستقيم، ويورد مثلاً لذلك:

أَنْتَ اقْتَرَحْتَ رَاحِي
لَا قَرَبَ إِلَـهَ إِلَّا وَاحِي
مَنْ شَاءَ أَنْ يَقُولَ فَإِنِّي لَسْتُ أَسْمَعُ
خَضَعْتُ فِي هَوَاكَ وَمَا كُنْتُ لَا أَخْضَعُ
حَبِي عَلَى رِضَاكَ شَفِيعَ لِي مُشَفِّعُ
نَشْـوَآنَ صَاحِي
بَيْنَ ارْتِيَاعٍ وَارْتِيَا حِ
وَعَلِقَ عَلَى هَذَا النِّصِّ قَائِلًا:

«فها أنت ترى نبو الذوق عن وزن هذا الكلام وما له عند الطبع الضعيف نظام، ولا يعقله إلا العالمون من أهل هذا الفن... وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسدة، وسامة من مكسورة، إلا بميزان التلحين».

ومما يتصل بمسألة الصعوبة في الأوزان حديث صاحب «دار الطراز» عن تلك الموشحات التي لا تراعي فيها وحدة الوزن، بل تجيء الأبيات فيها على وزن مخالف للوزن الذي يبتدى في الأفعال. والتغيير في الإيقاع، كما يقرر ابن سناء الملك يتطلب حدقاً بالغاً، لا يقوى على عمله إلا من تمرس على صناعة الموشحات وكان على علم بمتطلبات اللحن والغناء.

وتجدر الإشارة هنا إلى محاولة قديمة قام بها المستشرق ارتمان (في كتابه Das Muwassah) لضبط أوزان الموشحات قاعدته إلى استخراج 146 شكل يتوافق والعروض العربي، كما ذكر ثلاثة أنواع لا تتوافق وهذا العروض. وقد حاول أحد الباحثين المعاصرين وهو الدكتور سامي النشار-أن يحلل أوزان موشحات وأزجال أبي الحسن الششتري، وانتهى إلى نتائج هامة، منها أن موشحات الششتري التي كتبت في المغرب تشد على نحو مغاير لما ألفه في المشرق وإلا اضطرب الوزن والموسيقى المصاحبة للإنشاد⁽³⁾.

ويمكن في ضوء ما مر بنا-القول بأن الموشحات تنقسم من حيث الوزن إلى ما يلي:

- موشحات تأتي فيها الأفعال في صورة البيت الشعري، وتأتي أبيات الموشحة على نسق الأشطار، وبمعنى آخر إن الموشحة التي من هذا النوع لا تتضمن خروجاً على الأوزان التقليدية المعروفة.

- وهناك موشحات تأتي فيها الأوزان أقرب ما تكون للإيقاعات التي وضعها الخليل، لكن الموشح يقسم القفل (والبيت) إلى عدة أقسام، وبمعنى آخر أن صورة الوزن العروضي الخليلي يطرأ عليها تغيير جزئي.
- وقسم ثالث لا يخضع بمجموعه لوزن ثابت لأن الممول فيه يكون على أسلوب الأداء (intonation) وابن سناء الملك يقول إن هذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير».

6- الموشحات ونظام التقفية:

نظر كثير من الدارسين إلى الموشحات فلم يروا فيها-في نهاية الأمر-إلا لوناً من الشعر يعتمد أساساً على التنويع في القوافي، شأنه في ذلك شأن الخمسات والمسمطات وما شاكلها مما عرف في المشرق، وانظر على سبيل المثال ما يقوله د. شوقي ضيف في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» من أنه: «لا يبقى للأندلسيين في موشحاتهم سوى التجديد في القافية، وهو ضرب من الحرية في صناعة المقطوعة، أوجدته ظروف إنشاد المغنين مع الجوقات للشعر، ونحن لا يمكن أن نعتد بهذا الجانب كمذهب جديد في الشعر، إلا إذا كنا ممن يؤمنون بالشكليات، ويتخذونها أصولاً للمذاهب الفنية»⁽¹⁾.

ويقول د. إبراهيم أنيس في كتابه «موسيقى الشعر»: «وليست الموشحات قبل تلحينها إلا نوعاً من الشعر المسمط، ففيها تتكرر قوافي الأقفال حتى نهاية الموشح»⁽²⁾.

وفي ظننا أن هذه الأحكام أطلقت بتأثير من أنماط موشحات مثل موشحة ابن زهر:

أيها السَّاقِي إِلَيْكَ المَشْتَكِي

قَدْ دَعَوْنَاكَ وَأَنْ لَمْ تَسْمَعْ

وموشحة لسان الدين بن الخطيب:

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمِي

يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ

فهذا النوع من الموشحات يشبه من بعض الوجوه أشكال الخمسات والمسمطات التي عرفنا عنها لمحة في التمهيد.

نشأة الموشحات الأندلسية

وموشحة ابن زهر مما يطلق عليه ابن سناء الملك تسمية «الموشح الشعري» الذي يأتي الوزن فيه مطابقاً لأوزان الشعر التقليدي «ولا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسيج فهو المرذول المخذول، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء... اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة، فانه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن الخمسات...»

وابن سناء الملك يسوق في ذلك مطلع موشحة «أيها الساقى» والمطلع التالي:

يا شقيق الروح من جسدي
أهوى بي منك أم لمم

وكأن الموشح الشعري يشبه الخمسات في قوافيه، وإن كان يختلف عنها في أن قافية الجزء الأول تأتي مغايرة لقافية الجزء الثاني.

والأشكال الأخرى-أي ما كان غير (الموشح الشعري) تأتي أكثر تعقيداً من حيث القافية، تبعاً لتعدد أجزاء كل من القفل والبيت فيها.

وقد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشح «يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات» وهناك عدد من النصوص خرج على هذه القاعدة، ومن أشهر النماذج التي تذكر في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب.

جاءك الغيث إذا الغيث هـمى

يا زمان الوصل بالأندلس

وتضم أحد عشر قفلاً (من ضمنها القفل الأول «المطلع» والقفل الأخير الذي يسمى بـ «الخرجة»).

7- لغة الموشحات:

رأينا في الصفحات السابقة، وفي ما أوردناه من نصوص كيف أن لغة الموشح تعد في مجموعها لغة صحيحة تتفق وقواعد اللغة العربية، ولا شك في أن القارئ قد لاحظ ما تتسم به الموشحات من رقة وعذوبة وصفاء، حتى يمكن قراءة مجموعة كاملة منها دون أن يصادف فيها لفظة تستعصي عليه، أو تركيباً فيه لون من ألوان التعقيد.

وغني عن القول أن صنيع الوشاحين الأندلسيين يأتي امتداداً لما سار عليه الشعراء المحدثون، من أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتز وإذا كان من الشعراء العباسيين من حرص في مدائحه على الديباجة القديمة والجزالة العربية، فإن الموشحات بحكم قالبها الجديد وموضوعاتها، وغنائيتها كانت في غنى عن الديباجة الفاخرة، والأساليب التي تتسم بطابع البداوة. ونستطيع أن نقول إن الموشحات الأندلسية جاءت بصورة عامة- بعيدة عن الإمعان في المحسنات البديعية والألأعيب اللفظية.

ونحن لا نتعرض هنا بطبيعة الحال للخرجات وما فيها من استعمال للعامية أو للغة الرومانث، فقد سبق أن مررنا على هذه القضية، ولكن ما نريد أن نوضحه الآن هو أن دارسي الأدب متفقون على عدم جواز استعمال العامية في ثنايا الموشحة.

وقد أشار ابن سناء الملك إلى «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون والحن لا يجوز استعماله في شئ من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فإن جاء اللحن في الموشحة اعتبرت «مزممة».

وهناك وجهات نظر متضاربة حول لغة الموشحات، فباحث مثل د. جودت الركابي يحمل على الموشحات حملة شعواء في كتابه «في الأدب الأندلسي» ولا يرى في موشحة ذائعة الصيت مثل موشحة ابن سهل:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صاب حلة عن مكنس

إلا المعاني التافهة، والمبالغة في الزينة، مع قدر من العذوبة في نغماتها وقوافيها، وينتهي إلى القطع بأن «لغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة، وهي في لينها وحريتها واثنتلافها مع روح العامية قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأسأت من هذه الناحية إلى اللغة العربية. (1).

وفي مواجهة هذا الرأي نجد د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» يعيب على عبادة بن ماء السماء وغيره أنهم في موشحاتهم مالوا لأن يشبثوا «براعتهم واقتدارهم وثروتهم اللغوية، ثم استوحوا الشعر القديم، واقتبسوا منه، وأخذوا أنفسهم بسننه ومعانيه و بأوزانه أحياناً...» (2).

وليس في الموشحات-فيما نظن-لا ضعف ولا ركاكة في اللغة بل إننا لنذهب إن القول بأن لغة الموشحات-في شفافيتها وتدققها وأسرها-ساعدت

نشأة الموشحات الأندلسية

على تدعيم مكانة الفصحى، لأنها أشاعت هذه اللغة الجميلة بين الناس، ومن ثم حالت دون سيطرة العامية، وجعلت للزجل مكانة ثانوية في الأدب، على الرغم من أن بيئة الأندلس كانت تغري بإضعاف مكانة الفصحى، لأنها تتركب-إلى جانب الجنس العربي-من عناصر بشرية أيبيرية وبربرية ويهودية... إلخ.

والذين يطلقون أحكاماً قاسية على لغة الموشحات، إنما ينظرون إلى أعمال المتأخرين، وفي أيامهم كان الضعف اللغوي قاسماً مشتركاً، فلم نحمل على الموشحات وحدها، ونضع على كاهلها أخطاء عصر بأسره؟

القسم الثاني

الأغراض

أغراض الموشحات الأندلسية

إن أقدم الموشحات المعروفة لنا تعود إلى القرن الخامس الهجري وإذن فهناك فترة طويلة ضاعت معالمها، ومن ثم فإن الآراء التي يمكن أن تقال عن أغراض الموشحات في فترة النشأة لا تعدو أن تكون ترجيحية، ومع ذلك فإن هناك شبه اتفاق على أن الموشحات ارتبطت منذ أطوارها الأولى بالموسيقى والغناء، ومن الطبيعي-والأمر كذلك-أن تكون الموضوعات الذائعة ذات صلة بالوصف والحنين والغزل والخمریات، و يبدأ الشعراء في طور لاحق في معالجة الفنون الأخرى التقليدية من مديح وهجاء ورتاء وشعر ديني، إلخ...

ولا نجد في «دار الطراز» عن أغراض الموشحات شيئاً ذا بال، فقد اكتفى ابن سناء الملك هنا بجملة قال فيها:

«والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرتاء والهجر والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أفعاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفره، ومستقيل ربه عن شاعره ومستغفره».

١ - الغزل:

ليس هناك شك في أن الغزل يحتل محل الصدارة في الموشحات الأندلسية وإذا صدقت رواية ابن شاعر الكتبي صاحب «فوات الوفيات»، فإن الموشحة التي مطلعها:

مــــن ولى
في أمة أمراً ولم يعدل
يُــــعــــزــــل

إلا لحاظ الرشا الأكل
تكون من أقدم النصوص التي وصلت إلينا، إذ أنه نسبها لعبادة بن ماء السماء، (المتوفى نحو سنة 419 هـ) ^(١) وموشحة «من ولى» كلها في الغزل، وكذلك موشحة أخرى نسبت له كذلك في «الفوات» أولها:

حبّ المـــــهـــــا عـــــبـــــادة
من كل بسّام الســـــواري
ومن أجمل الموشحات الغزلية:

ضاحكٌ عن جـــــمـــــان
سافـــــرٌ عن بـــــدر
للأعـمى التـطـيـلـى، وقد ذكرناها بتمامها. وموشحة لأبي بكر بن زهر، يقول فيها:

حـــــي الـــــوـــــجـــــوـــــة المـــــلـــــاحـــــا
وحـــــي ثـــــجـــــل العـــــيـــــون
هل في الـــــهـــــوى من جـــــنـــــاح
أو فـــــي نـــــديـــــم وـــــراح
رام الـــــنـــــصـــــيح صـــــلـــــاحـــــي

وكيف أرجو صـــــلـــــاحـــــاً
بـــــين الـــــهـــــوى والمـــــجـــــون
أبـــــكي العـــــيـــــون البـــــوـــــاكـــــي
تـــــذكـــــار أخت الـــــســـــمـــــاك
حـــــتـــــى حـــــمـــــام الأـــــراك

بكي شجونني وناحا
على فروع الغُصُون⁽²⁾
ومن هذا الطراز «الموشح الشعري» الذي أورده ابن سناء الملك في «دار
الطراز:

يا شقة يقيق الرُّوح
أهوى بي منك أم لمم
ضعت بين العذل والعذل
وأنا وحدي على خبل
ما أرى قلبي بمختبل

ما يريد البين من خلدي
وهو لا خصم ولا حكم

وموشحة الأعمى التطيلي:
دمع سفوح وضلوع حرار
ماء ونزار
ما اجتمعا إلا لأمر كبار⁽³⁾

ويمكن أن نجمل ملحوظاتنا عن الموشحات الغزلية فيما يلي:
- تحتل الموشحات الغزلية المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية.
- هناك في الوقت نفسه، موشحات عديدة يختلط فيها الغزل بموضوعات
أخرى وصفية أو خمرية أو مدحية.
- الجانب الأعظم من هذه الموشحات الغزلية لا يعكس لنا صدقاً عاطفياً،
ولا نحس فيه بلوعة المشاعر وعمق الأحاسيس، ولكن الوشاحين استطاعوا،
في أحيان كثيرة، التغلب على هذا الضعف عن طريق اصطناع الألفاظ
الرقيقة، والصور الشعرية الأسرة، والموسيقى المدفقة الموحية.
- وتتناول الموشحات الغزلية موضوع الحب من زوايا مختلفة، وهناك
تيار عذري قوي في هذه الموشحات، كما في موشحة «ميتات الدمن»، وهي
من الموشحات التي ترد في «دارا لطراز» وفيها:

يــــا رــــمــــ الــــذي
 أــــتــــاح حــــيــــيــــنــــي
 ظــــمــــنــــت فــــذي
 دــــمــــوعــــيــــنــــي
 تــــهــــمــــي فــــاغــــتــــنــــي
 مــــنــــهــــا بــــعــــين
 بــــل يــــا مــــن ظــــعــــن
 عــــلــــيــــك ذنــــبي
 فــــقــــد أن لــــي
 أ ن
 أقــــضــــي نــــحــــبي
 فــــو يــــا تــــاه
 و آ ه
 يــــا رنــــع الــــهــــوى
 هــــل أنــــت مــــودي
 فــــذا كــــالــــجــــوى
 إلــــى مــــزــــيد
 أــــتــــتــــك الــــنــــوى
 إــــثــــر الــــصــــود
 فــــيــــا مــــتــــحــــن
 بــــكــــل خــــطــــب
 كــــم تــــأســــى وتــــحــــزن
 وتــــشــــقى بــــحــــب
 ســــال هــــواه
 لا ه
 عــــنــــد الــــي لا
 أروم ســــا
 أنا المــــبــــتــــلــــي
 بــــريــــم ذرّوة

ذَكَرَ رَأْءَا عَـلَى

حَشَائِ حُـلُـوَةً.. الخ (4)

وتتردد إلى جانب عبارات الشوق واللوعة-إشارات عن الواشي والعاذل والرقيب....

ويكثر في الموشحات-في الوقت ذاته-التغني بجمال المحبوبة أو المحبوب «وصيغة التذكير لا تعني بالضرورة أن الشاعر يتغزل بالذكر» مثلما نرى في موشحة ابن سهل «هل درى ظبي الحمى...:

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتَّوَدِّهِ

بِأَبِي أَفْـدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقُ

مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ

أَقْحُوَانَا عَصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقُ

أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرْبُودَةُ

وَفُؤَادُ سُكْرُهُ مَا إِنْ يَضْفِيقُ

فَاحِمِ الْجُمَّةِ مَعْسُولُ اللَّامِ

أَكْـحَلُ اللَّحْظِ شَهْيَ اللَّعَسِ

وَجْهُهُ يَتْلُو الضَّحَى مَبْتَسِمًا

وَهُوَ فِي إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسٍ (5)

وقاد هذا الوصف لجمال المحبوبة إلى الغزل الصريح المكشوف في بعض الاحايين، كما أن الخرجات، وخاصة ما كان منها باللهجة العامية-احتوت على جانب كبير من الأحماض.

وهناك موشحات تضمنت غزلا في المذكر، كما في خرقة موشحة «من ولى» التي تنسب في العادة لعبادة بن ماء السماء (أو ابن عباد القزاز):

يِيَا عَـلَى

سَلَطْتَ جَفْنِيكَ عَلَى مَقْتَلِي

فَـبَاقِ لِي

قَلْبِي وَجُدْ بِالْفَضْلِ يَا مَوْئَلِي

وكما في موشحة للأعمى التطيلي، أولها «حت الكؤوس روية» وفيها:

عَبْدُ الْمَلِكِ أَحَبَّكَ

وَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ

مولاي حسبي وحسبك
 قد ذبتُ وجداً عالياً
 حتى ما تُضنّي محبّك
 وبرؤيه في يديك⁽⁶⁾

وموشحة أخرى له مطلعها:
 قد دعوتك بالأشجان
 فكنّ مُجيباً
 والبيت الثاني منها جاء فيه:
 سهامُ البين يا عمّ
 أقعدنّ عبيدك
 فقل لي كيف اصطبر
 والقة لبّ عندك
 أمالوساق القدر
 ما ساق بعبدك⁽⁷⁾

2- الخمریات:

وهي كثيرة الشيوع في الموشحات، وبخاصة ما دار منها حول موضوعات الحب والوصف، وبعبارة أخرى إن الخمر لا تشغل في العادة الموشحة كلها، بل تأتي كعنصر مساعد، باستثناء نماذج قليلة بنيت أساساً على وصف الخمر ومجلسها، مثل موشحة أبي بقي:

أدر لنا أكواباً
 يُنسّى بها الوجد
 واستحضر الجلاس
 كما اقتضى الوؤد⁽¹⁾

وهذا النص استهل بوصف الخمر وختم بها، وإن تخلله مقطع في المديح. ولا بن زهر موشحة استهلها بالحديث عن الخمر، ثم ما لبث أن عرج فيها على الوصف والغزل وأول النص:

شَمْسٌ قَارَنْتُ بِدِرَا
 رَاحٌ وَنَدِيمٌ
 أَدْرَكُؤُسَ الْخَمَرِ
 عَنبَرِيَّةَ النَّشْرِ
 إِنَّ الرُّوضَ ذُو بَشَرِ
 وَقَدْ دَعَى النَّهْرَا
 هَبِوْا النَّسِيمُ

ومن هذا النمط أيضا موشحة جاءت في «دار الطراز»⁽²⁾ أولها:
 بَاكِرٌ إِلَى الْخَمَرِ
 وَاسْتَنْشَقَ الزَّهْرَا
 فَالْعَمْرُ فِي خُسْرِ
 مَا لَمْ يَكُنْ سَكْرَا
 فَقُلْ مَا أَسْلُو
 عَنْ مَرَشَفِ الْأَكْوَاسِ
 وَسَامِرِ الطَّرْفِ
 مَسَاعِدِ الْجُلَاسِ
 فَسَقِينِي.. بِنْتَ الزَّرَاجِينِ
 فَهَاتِيهَا صَرْفَا
 يَا ذَا الرِّشَا الْأَحْوَرِ
 رَاحٌ حَكَتْ وَصْفَا
 مِنْ خَدِّكَ الْأَقْمَرِ
 رَشَا هُوَ النَّبِيلُ وَالْعَدْلُ بَيْنَ النَّاسِ
 وَالْمَسْكُ فِي الْعُرْفِ مِنْ نَفْحَةِ الْأَنْفَاسِ

وقد يمزج الوشاح بين موضوعات الخمر والغزل، لينتهي بعد ذلك للمديح،
 كما في النص التالي:⁽³⁾

رُحْ لِّلرَّاحِ وَيَاكِرُ
 بِالْمَعْلَمِ الْمَشُوفِ

غَبَوْقاً وَصَبُوحُ
عَلَى الْوَتْرِ الْفَصِيحُ
لَيْسَ اسْمُ الْخَمْرِ عِنْدِي
مَأْخُوداً فَأَعِائِمُ
إِلَّا مَن خَاءَ الْخَدَّ
وَمَيِّمَ الْمَيْسِمِ
وَرَاءَ رِيْقِ الشَّهْدِ
الْعَاطِرِ الْقَفَمِ
فَكُنْ لِّلْهَمِّ هَاجِرُ
وَصِلْ هَذَا الْحُرُوفِ
كَي تَغْدُو وَتَرْوِحَ
بِجَسَمٍ لَهُ رُوحُ
بِاللَّهِ سَقْنِيهَا
فِي وَدِّ الْوَاثِقِ
فَإِنْ مِنْهُ فِيهَا
شِبْهُ الْخَلَائِقِ.. الخ

3- الوصف:

ويشكل الوصف، بصورة عامة، عنصراً أساسياً من عناصر الموشحة الأندلسية، والوصف يأتي في العادة ممزوجاً بالغزل والحديث عن الخمر، ولكن هناك في الوقت نفسه عدداً من الموشحات بنيت على الوصف، مثل موشحة أبي عبد الله البطليموس المعروف بالكميت⁽¹⁾.

لَا حَ لِّلرَّوْضِ عَلَى غُرِّ الْبِطَاحِ
 زَهْ زَهْ زَاهِ رُ
 وَثْنَا جِيداً فَنَعْمَ الْأَقْبَاحِ
 نَوْرُهُ النَّضِضُ رُ
 زَارَنِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَّاحِ
 أَرْجُ عَطَا رُ

نثر الطل عليها حين فاح
 أيُّمما عـقـد
 حبّذ البشر لي عند افتتاح
 وجنّة الورد
 يُضحكُ الروضُ مسایل السحاب
 ملء أجفانهُ
 ومشت فيه لآلى الحباب
 فوق غدرانهُ
 فتراه كيف يكشف النّقاب
 عند تهتانه

ينتهي طول تناوح الرياح
 وسط الرعد
 وترى البرق كصارم مُشّاح
 سُلّ من غمـد
 رقصة وسط رياضها الغصون
 رقصة نـشـوان
 وأرتنا من لطائف الجُـون
 كل إحسان
 فنسينا عند وشيّه المصون
 وشي صـنـعان

فاغتني ما قد صفا من الزمان
 واخـلـع العـذرا
 واشرب الراح على سمع القيان
 مـرّة صـفـرا
 واغتيقها من سلافة دئان
 عتّة دهرأ

كَأَسْهُمَا مَبْسُومٌ طِفْلَةٌ رَدَاخُ
نَاعِمٌ الْقَدُّ
تَمَزَجُ الرَّاحُ بِرِيقِهَا الْقُرَاخُ
شَرِيبٌ بِالشَّهْدِ... الخ

ومن أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشحة أبي جعفر بن سعيد وأولها:

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
فَضَّةُ النَّهْرِ
أَيَّ نَهْرٍ كَالْمَدَامَةِ
صَيَّرَ الظِّلَ فِدَامَةً
نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
وَتَنَتْ لِلْغُصْنِ لَامَةً
فَهُوَ كَالْعُضْبِ الصَّقِيلِ
حُفَّ بِالشَّفْرِ (2) ... الخ

ولابن بقي من موشحة وردت في «جيش التوشيح» ويحتل الوصف فيها مكان الصدارة:

سَاعِدُونَا مَصْبِحِينَ
نَرْتَشِفُهَا قَدْ ظَمِينَا (3)
كَنْضَارٍ فِي أُجَيْنِ
نِعْمَ أَجْرَا الْعَامِلِينَ

وهو يمزج فيها الوصف بالحديث عن الخمر والتغزل في الساقى، كما يتضح من هذا المقطع:

يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنْيَقُ
يَوْمٌ شُرْبٍ وَالْتِمَازِ
طَرَزْتُ فِيهِ الْبَرُوقَ
لَا يَسْأَلُ أَثْرَ وَابٍ لَذِ

وسقى النعيمُ الرقيقُ
مماء وردٍ بـ—————رذاذٍ

أظهر السَّحرَ المبينَا
حينَ رشَّ الياسمينَا
وبكى من دون عَيْنِ
فضحكنا فأكْهينَا
أيها السَّاقِي المُحيَا
برياحين التَّمَنِّي
سحر عَيْنِيكَ الحُمَيَا
فاصرف الصَّهْبَاءَ عَنِّي
لا تَسْأَطْهَا عَلَيَا
فالهوى قد نالَ مِنِّي

وهي من الموشحات التي صفت عباراتها، وبلغت الذروة في حيوية الأداء، ودقة الصور. وخرجة هذه الموشحة بالعامية، وقد مهد لها في البيت الذي سبقها قائلًا إنه سيقول، لمجرد إدخال الكمد على الحسود:

قد بُلِينَا وابتَلِينَا
واش يقول الناسُ فِينَا
قم بنا يا نور عَيْنِي
نَجْعَل الشُّكَّ يَقِينَا!

وهناك موشحات كثيرة بدئ فيها بالوصف كتمهيد لمقطع المديح، منها- على سبيل المثال-الموشحة التي تستهل بـ:

جيشُ الظلام بالصَّبحِ مهزومُ
فقم يا نديمُ⁽⁴⁾

وهي موشحة للأعمى التطيلي وموشحة:

روضةٌ وسيمَةٌ الأقحوان
تُجَنِّنِي بالأمانِي⁽⁵⁾

لأبي بكر محمد بن الأبيض، وكذلك موشحة «روضة زيرجدية»⁽⁶⁾ وموشحة «شق النسيم كمامة» لأبي بكر يحيى الصيرفي⁽⁷⁾ وموشحة «كم بالكتيب من غصن نضر»⁽⁸⁾ لابن لبون، والموشحة التي مطلعها:
حُثَّ كَأْسَ الطَّلَا عَلَى الزَّهْرِ⁽⁹⁾
وَأَدْرَهَا الْأَنْجَمَ الزَّهْرَ

لأبي بكر بن مالك السرقسطي... وهذه الموشحات جميعاً مما ورد في مجموعة «جيش التوشيح» لسان الدين بن الخطيب.

4- المديح:

عرفنا فيما مر بنا من ملاحظات أن الموشحة تحتوي في العادة، على أكثر من فن، وإن كانت معظم الموشحات جاءت في أغراض الغزل والوصف والخمریات، وهو ما يتناسب وما سارت عليه الموشحات من طابع غنائي. وقلنا في اللمحة السالفة عن فن الوصف-إن هذا الغرض الوصفي جاء في أحيان كثيرة بمثابة التمهيد لغرض آخر، مثله في ذلك مثل المقاطع الغزلية.

وكثير من الدارسين الثقات يميل إلى الاعتقاد بأن الموشحات في ظهورها الأول لم تكن تعالج الموضوعات التقليدية من مديح ورثاء وهجاء، ويقول د. مصطفى عوض الكريم في هذا الصدد:

«كانت الموشحات في أول الأمر وقفاً على الغناء، فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمریات ووصف الطبيعة.

وما لبثت أن صارت مطية ذلولاً للأمداح، حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم...»⁽¹⁰⁾. ويقول د. عبد العزيز الأهواني إن الوشاح الأول:

«كان قريب العهد بالأصل المشترك-الأغنية الشعبية-فكان فنه قريب الشبه بها، ولعله في أول الأمر لم يكن حريصاً على أن ينقي إنتاجه من اللغة العامية في جميع مقطوعاته.. كما كانت البساطة طابعاً مميزاً لهذا الطور. ثم انتقل الأمر على يد عبادة بن ماء السماء وغيره من المثقفين، أصحاب الشعر، وناظمي القصائد، ومداحي الأمراء، ومرتادي القصور، إلى مرحلة

جديدة، التزموا فيها اللغة الفصحى التزاماً صارماً، ولم يسمحوا للعامية أن تتجاوز حدود الخرجة، عربية أو أعجمية، وشغفوا بالتعقيد، والإكثار من القوافي...» (11) الخ، وهذا الرأي يقود بدوره إلى الاعتقاد بأن الموشحات القديمة كانت بعيدة عن طابع المديح وغيره من الموضوعات التقليدية. ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن «أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت بين الطبيعة والغزل (والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح» (12) ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح، وهي للوزير أبي عامر بن ينق، وذكرها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» وأولها:

سراجٌ عَدْلُكَ يُزْهِرُ
قد عمَّ كلَّ العباد
ونورُ وجهك يَبْهَرُ
سناءُ لـلـخـلق باد (13)

ويستمر المديح بعد هذا المطع (أو القفل الأول) في بقية أجزاء الموشحة:

أنت العـزـيزُ الأبـي
والمـلـكُ مـلـكُ الأناـم
أنت السـراجُ الوضـي
والبـدرُ بـدرُ التـمـام
ليثٌ إذا ما الكـمـي
قد هـاب روع الحـمـام

والخرجة في هذه الموشحة باللغة الفصحى، ونصها:

يا حَبِذاً مِنْهُ مَنْظَرُ
بـالـنـورِ بـاد وهاـدي
كأنَّه الصـبـحُ أسـفـرُ
على جـمـيعِ البـلـادِ

وليحيى بن الصيرفي الغرناطي المؤرخ المتوفي سنة 557 هـ (1179م)-

وتنسب كذلك لابن باجة المتوفي 533 هـ (1139م)-موشحة مدحية شهيرة
مطلعها:

جَرَّرَ الذَّيْلَ أَيْمًا جَرَّ
وَصَلَ السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسُّكَّرِ

ويشغل المقطع الخمري هنا حيزاً كبيراً من الموشحة، ثم يفضي بنا هذا
المقطع إلى المديح الذي يستغرق بقية النص كله:

ذَاكَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ لَاحَا
وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ قَدْ فَاحَا
لَا تَقْدُ فِي الظَّلَامِ مَصْبَاحَا
خَلَّ عَنْهُ وَشَعْشَعُ الرَّاحَا

حِينَ تَنْهَلُ أَدْمُعَ الْقَطَرِ
وَتَرَى الرُّوْضَ بِاسْمِ الزَّهْرِ

نَظَمْتَ جَوْهَرَ الْعَلَا سَلَكَا
كَفَّ مَلِكَ يَزِينُ الْمُلُوكَا
مَا بَرَا اللَّهَ مِثْلَهُ مَلِكَا
لَا حَ بَدْرًا وَفَاحَ لِي مَسْكَا

كَالْحَيَا كَالْأَمَانِي كَالذَّهْرِ
كَعَلِيٍّ فِي الْحَرْبِ أَوْ عَمْرُو

أَيَّ بَحْرٍ وَأَيَّ ضَرْغَامٍ
أَيَّ رَمَحٍ وَأَيَّ صَمَامٍ
طَاعَنُ فِي الصَّدْرِ ضَارِبُ الْهَمَامِ
بَيْنَ كَرَوْبَيْنِ إِقْدَامِ
مُخْلَفُ الْبَيْضِ بِالْحَلِيِّ الْحُمْرِ
وَمُرُوي الْقَنَاةِ فِي النَّحْرِ

حينما لاح وهو مبتسم
كهلال تحفه الـديم
خافقاً فوق رأسه عالم
غنّت العربُ فيه والعجم
عقد الله راية النصر
لأمير العلى أبي بكر (1)

وهناك في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة:
جاءك الغيث إذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلسي

وتعد بدورها من مرشحات المديح، وإن كان الناس لا يذكرون في العادة-
إلا قسمها الأول الذي يدور حول الغزل ووصف الطبيعة.

5- الرثاء:

لم يؤثر عن الوشاحين الأندلسيين أنهم كرسوا للمراثي عناية تستحق
الذكر، ولم تشتمل المجموعات المعروفة مثل «دار الطراز» و«جيش التوشيح»
و«توشيع التوشيع» و«عقود اللال في الموشحات والأزجال» و«العذارى
المائسات في الأزجال والموشحات»... الخ على موشحات ما في موضوع
الرثاء. ولكن كتاب «المغرب في حلى المغرب» يمدنا بموشحة لابن حزمون
ذكر ابن سعيد أنه قالها «في رثاء أبي الحملات قائد الأعنة ببلنسية وقد
قتله النصاري».

والنص الذي نتحدث عنه في بابه، فيه حيوية وحرارة وصدق، وهذا كله
يتمثل للقارئ منذ الكلمات الأولى، وحتى الخرجة، وبمعنى آخر إن المرشحة
كلها ليس فيها إلا موضوع واحد هو الرثاء.

يا عين بكّي السراج الأزهر النيرا اللامع
وكان نعم الرتاج فكسرا
كي تُنْشِرا مدامع

مَن آل سَعْدُ أغرُّ
 مثلُ الشَّهابِ المتقدِّ
 بكى جمیعُ البَشَرِ
 عليه لما أنْ فُتدَ
 والمَشْرِفِ الذَّكَرِ
 والسَّهمِ هَريَّ المطردِ
 شقَّ الصَّفوفِ وكَرَّ
 على العدو متئدً

والبيت الأخير والخرجة:

ماءُ المدامعِ صاب
 عليكِ أولَى أنْ يَجُودُ
 سَقَى البَرِيَّةَ صابُ
 رزءُ أحلكِ الأَحودُ
 فكلَّ خَلْقٍ أَصابُ
 إلا النَّصارى واليهودُ
 ناديتُ قلباً مصاب
 يُجْرى على المَيِّتِ العُهودُ

يا قلبِبي المُهْتَاجُ
 تصبِّرا زان الثُّرى مُدافع
 ابن أبي الحَجَّاجِ فهل تُرى
 لَمَّا جَرى مُدافعُ

ولابن جبير خمس موشحات في رثاء زوجته، ضمن «نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرين الصالح»، وهو مجموعة شعرية كلها في رثاء رفيقة حياته (2)، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الموشحات.

الموشحات الدينية والصوفية:

لا نعرف متى بدأ النظم في هذا اللون من ألوان الموشحات وأقدم ما

أغراض الموشحات الأندلسية

هنالك منها ينسب لابن عربي (توفي سنة 638 هـ) وسنعود إلى موشحاته الصوفية، أما في غير ذلك من الأغراض، فهنالك، على سبيل المثال، ما أطلق عليه ابن سناء الملك اسم «لكفر» ونص عبارته:

«والرسم في المكفر خاصة ألا يعمل إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفرة⁽³⁾»، ولكنه لم يورد أمثلة عن المكفرات الأندلسية والمغربية، واكتفى بأن قدم نموذجاً من موشحاته هو⁽⁴⁾، ولكن هذه القاعدة-قاعدة أن يأتي المكفر ملتزماً بصورة الموشحة الأخرى الماجنة، منتهياً بنفس خرجتها-قد اهتزت خرجتها، بعد أن «تداوله العامة ومن لا أنس له بالقواعد، ومن عجز عن الإعراب، حتى صاروا ينظمونه ملحوناً وما لأحد منهم في وزنه وقافيته ما يستغفر منه، بل على طريق العبث وذلك خطأ» (وفقاً لتعليق الصفي الحلي).

وهناك وشاح يدعى ابن الصباغ الجذامي خلف عدداً من الموشحات مما يمكن اعتباره من نوع المكفر، وأن كانت الخرجات فيها ليست مما ألف هو، بل مما نظم غيره، مثال ذلك موشحته:

آه من فرط الوجيب
أورثت قلببي خبلاً

فخرجتها مستلة من زجل زجال يدعى اليعيع:
يا النبي إن ريت حبيبي
افتل اذنو بالرسىلا
لأنه أخذ عنق الغزىل
وسرق فم الحجىلا⁽⁶⁾

ومن غرر موشحات ابن الصباغ في المديح النبوي:

لأحمد بهجة
كالقمر الزاهر في
أبرج السعد
علاؤها يسبى
بنوره الباهر

كَلَّ سَنَا مَجْدٌ (7)

وموشحة زهدية أخرى مطلعها:

نَأَتْ بِي الْأَوْطَانُ
عَنْ حَضْرَةِ الْإِحْسَانِ وَلَا
مَمَعَيْنِ
فَمَنْ لَذِي إِحْسَانٍ
لَطِيبَةٌ قَدْ كَانَ لَهُ
حَنَنَيْنِ (8)

والمقري في «النفح» يقول، وقد وصل إلى الأراضى المقدسة:
«وكان حظي في هذه الحالة تذكر قول بعض الوشاحين من الأندلسيين،
الذين كان لهم ارتحال إلى تلك المعاهد الطاهرة، والمشاهد الزاهرة، والتي
تشد إليها الرحال:

يَا مَنْ لَعَبْدَ بِهِ افْتِقَارُ
إِلَى أَيَادِيهِ جَسَامُ
فَضْلُكَ مُدُنٌ لَخَيْرُ مُدُنٍ
حَلَّ بِهَا سَيِّدُ الْأَنْبَاءِ
لَمْ يَهْفُ قَلْبِي لِحُبِّ لَيْلَى
وَلَا سَمْعِي لَوَادِ الْوَرِيَاءِ
لَا قَى شَجَوْنًا وَنَالَ وَيْلًا
مَنْ هَامَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ
بَلْ مَالُ مَنْيَ الْفَوَاذِ مَيْلًا
لَمَنْ لَهُ الْحُبُّ لَا يَعَابُ

ومن مقاطعها الجميلة:

يَا طَيْبُهُ حَزَتْ كُلَّ طَيْبٍ
بِسَيِّدِ فَيْكِ ذِي حُلُولٍ
نِدَاءُ مُسْتَضْعَفٍ غَرِيبٍ
فِي غَرَامِدَاحِهِ يَقُولُ

وهو من السامع المُجيبُ
لمدحه يسألُ القَبُولُ:
مستمسك منك حسن ظني
بعُزوة مالها انفضام⁽⁹⁾

ومن الطراز العالي قول ابن زمرك:
لو ترجعُ الأيامُ بعدَ الذهابِ
لم تقدح الأيامُ ذكرى حبيبُ
وكل من نام بليل الشَّبابِ
يوقظُهُ الدهرُ بصبح المشيبِ

وفيهما يتحدث عن ضعف الإنسان واغتراره بالدنيا، وهو لا يعلم أن
«العيش نوم والردى يقظة» ويتعامى عن رؤية الحقائق، منخدعاً بلمع السراب،
وهو يذكر الإنسان بألا ملاذ له سوى العلي القدير ولا مناص من الأوبة
إليه، مهما طال بنا المسرى في ركب الحياة، وينهي الموشحة بقوله:

يا مصطفى والخلقُ رهنُ العَدَمِ
والكون لم يفتق كِمامَ الوجودِ
مَزِيَّةُ أعطيتهَا بالقدمِ
بها على كل نبيّ تسودُ
مولدك المرقوبُ لَمَّا نَجَمُ
أنجز للأمة وعد السَّعودِ
ناديتُ لويسمح لي بالجوابِ
شهرُ ربيع: يا ربيع القلوبِ
أطلعت للهدى بغير احتجابِ
شمساً ولكن مالها من غُرُوبِ⁽¹⁰⁾

وأما ابن عربي فإن ديوانه الأكبر يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات
والأزجال والمزجمات، وكلها تسبح في جو الرموز الصوفية من قبيل الموشحة
التي تبدأ بـ:

تَدْرَجُ لَاهُوتِي بِنَاسُوتِي
 وَحَصَلَ مُوسَى الْيَمَّ تَابُوتِي⁽¹¹⁾
 ومن هذه الموشحات واحدة جاءت على نسق موشحة ابن زهر «أيها
 الساقى» أولها:
 عِنْدَمَا لَاحَ لَعَيْنِي الْمُتَّكَ
 ذَبْتُ شَوْقاً لِلَّذِي كَانَ مَعِي

أَيُّهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُشْرِقُ
 جَاءَكَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُسْرِفُ
 عَيْنُهُ بِالْدمْعِ شَوْقاً تَذْرِفُ

غَرِيبَةٌ مِنْهُ وَسُكْرٌ فَالْبُكََا
 لَيْسَ مَحْمُوداً إِذَا لَمْ يَنْفَعِ

وتنتهي الموشحة بـ:

أَيُّهَا السَّاقِي اسْقِنِي لَا تَأْتَلْ
 فَلَقَدْ أَتَعَبَ فِكْرِي عَذْلِي
 وَلَقَدْ أَنْشِدُهُ مَا قِيلَ لِي:

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي
 ضَاعَتْ الشَّكْوَى إِذَا لَمْ تَنْفَعِ⁽¹²⁾

أما ديوان الششتري فإن الأزجال تطفئ فيه على الموشحات، هذا
 بالإضافة إلى قدر كبير مما تختلط فيه الفصحى بالعامية (المزجمات)، أو
 التي تبني على غير الأنماط التقليدية للموشحة. ومن الموشحات التقليدية
 قوله:

صَاحَ هَذِهِ الْأَسْرَارُ
 قَدْ أَشْعَلَتْ فِي
 الْحَشَامَتِي النَّارُ

مد لاح لي سر من نهواه
لم أستطع كتم ما ألقاه
من شجو قلبي ومن شكواه
ويح قلبي قد طار
في ذا الهوى سابحاً
ذا استهتار⁽¹³⁾

وكذلك موشحة أخرى لاحظ د. النشار-محقق الديوان-أن الششتري متأثر فيها بفكرة الكهف الأفلاطونية:

عد عن الوهم والخيال
واستعمل الفكر والنظر
ما الناس إلا كما الخيال
فانظر إلى ماسك الصور
من يعتير يجد اعتباره
ويشهد الحق في الشهود
مثل هديت الوجود ستاره
وانظر لمن أطاع الوجود
بدا له قبل أن أداره
وأول السعد في الصعود
من يرق من سافل لعال
يعاين العين في الأثر
ما الناس إلا كما الخيال
فانظر إلى ماسك الصور⁽¹⁴⁾

وهذه اللازمة الأخيرة تتردد في الأقفال جميعاً، وهذا مما استحدثه المتأخرون، أما الموشحات الأندلسية كما وصلت إلينا من مؤلفات مثل «دار الطراز» و«جيش التوشيح» و«توشيع التوشيح» و«المغرب» و«عقود اللال» ونحوها فلا تتضمن شيئاً من هذه الأجزاء المتكررة، وربما كانت هذه الظاهرة من سمات الإنشاد الجماعي بمعنى أن المنشد يترنم بالمقاطع الأخرى حتى

إذا ما وصل إلى هذا الجزء صاحبتة المجموعة.
وكان لانتقال متصوفة المغرب-من أمثال ابن عربي والششتري-إلى المشرق
أثره البعيد في انتشار هذا اللون من الموشحات الصوفية في كل أنحاء
العالم الإسلامي، وإلى تغلغله في أوساط الشعب، حتى أصبحت كلمة
«التوشيح» مرتبطة في الأذهان بالأناشيد الدينية والصوفية.
وتتضمن مجموعة «الموشحات المغربية» للدكتور الجراري ومجموعة
«الأغاني التونسية» للصادق الرزقي العديد من هذه المنظومات، التي تقترب
حيناً من بنية الموشحة التقليدية، وتبتعد حيناً آخر عن ذلك، نتيجة لإقدام
غير العارفين بصناعة التوشيح على التأليف في هذا المضمار.
لقد تعددت موضوعات الموشحات-كما مر بنا-وعالج الشعراء في إطار
هذا الفن الجديد مختلف الأغراض (15) التي عولجت في إطار القصيدة
التقليدية لكن الشيء الثابت أن الموشحات تبقى-أولاً وأخيراً-قالباً شديد
الصلة بالموسيقى والإنشاد ومن ثم كانت أهم موضوعات الموشح ما اتصلت
بالغزل والخمریات والوصف، يضاف إليها-في فترة لاحقة-الموشحات
الصوفية.

القسم الثالث
وشاحو الاندلس والمغرب

وشاحو الأندلس

لا نسعى في هذا الفصل لأكثر من محاولة أولى تهدف إلى جمع أطراف الحديث-المتناثر هنا وهناك- عن وشاحي الأندلس والمغرب، ورصد لأعمالهم في هذا المضمار تاركين التفاصيل لدراسات أكثر رحابة، ولإمكانيات أكبر مما هو متاح لنا في الوقت الحاضر.

ولا نريد أن نخضع هذه المحاولة للترتيب التاريخي الصارم، فلا شك أن هذا الترتيب يعتريه الاضطراب، خاصة حين يتم فحص ما هنالك من مجموعات خطية، ومؤلفات أندلسية لم يزح النقاب عنها بعد-كذلك لن نلتزم بما التزم به مؤرخون مثل ابن بسام صاحب «الذخيرة» وابن سعيد في «المغرب» من تصنيف الشعراء وفقا للمدن والأنحاء، فهؤلاء الشعراء لم يكونوا أبنية لا تبرح الموضع الذي نشأت فيه، وما أكثر ما انتقل وشاحونا من مدن لأخرى، ومن قطر لغيره فضلا عن أن هذه التقسيمات المكانية لا تكاد تفصح عن شيء ذي بال، ولا تنتج إلا حشدا من التفريعات المعقدة.

بل إننا لم نر كبير فائدة في إخضاع ترتيب هؤلاء الشاحين لتقسيمات العصور⁽¹⁾ التي كثيرا ما يلجؤون إليها في المؤلفات التاريخية والأدبية

العامّة عن الأندلس، لأن هذه المراحل-فضلا عن تداخلها-لا تعكس تحولات
فنية تستحق الذكر، وإن كنا لم نغفلها إغفالا كلياً، وحرصنا على أن نحدد
المرحلة الزمنية لكل وشاح، طالما كان ذلك متاحاً.

طور النشأة

لا شيء أصعب من الحديث عن نشأة فن من الفنون، فالمصادر عادة ما تكون شحيحة، والمعلومات متناقضة مبتورة، والصورة غائمة مطموسة، ولا يكون أمام الباحث إلا التزام الحذر وعدم الانسياق للاستنتاجات المتسرفة وإلا هوت به إلى الحضيض قدمه-شأنه في ذلك شأن الذين يغامرون في ساحة الشعر، وهم من غير سلاح.

وإذن فإننا في إطار هذه الدراسة العامة عن الموشحات، نؤثر ألا نخوض في خضم هذه القضية الشائكة، آخذين بوجهة النظر القائلة بأن الموشحات جاءت وليدة الأغنية الشعبية⁽¹⁾، ويمكن الارتكاز في هذا الصدد على عبارة تعد من أقدم الإشارات عن نشأة الموشحات، وقائلها هو

ابن بسام صاحب «الذخيرة»، ونص العبارة: «وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريققتها، فيما بلغني، محمد بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان..»⁽²⁾

وهذه العبارة من الإيجاز والغموض بمكان، خاصة فيما يتصل بالدلالات الاصطلاحية لكلمات مثل «التضمين» و «الأغصان» و «المركز»، فضلاً عن أنها تغامر بتحديد اسم «أول من صنع الموشحات»، وفي رأينا أن الموشحات مرت بطور مجهول إلى أن كانت أخريات القرن الثالث الهجري، حيث بدأ شعراء معروفون يؤلفون في هذا القلب.

* محمد بن محمود القبري (نسبة إلى قبرة، قرية من أعمال قرطبة):

* مقدم بن معافي القبري:

* ابن عبد ربه، صاحب «العقد»:

نسب ابن بسام-على ما رأينا-«اختراع» الموشح لمحمد بن حمود القبري أو بالأحرى لمحمد بن محمود القبري، كما جاء اسمه في معظم المصادر.. وفي «بغية الملتمس» للضبي: «محمد بن محمود المكفوف القبري، أديب شاعر، ذكره ابن حزم، وأنشد له في خيل السباق:

تَرى مَنْ يَرى المِيدانَ يَجهلُ أَنه

لأهل التباري في الشطارة ميدانُ

كَأَنَّ الجيادَ الصافنات وقد عَدَّتْ

سطورَ كتاب والمقدّم عنوانُ⁽³⁾

هذا كل ما ذكره عنه صاحب «البغية» والنص نفسه (وما خلا البيت الأول) جاء في (المغرب)، ونقله ابن سعيد عن الحميدي صاحب «جذوة المقتبس»⁽⁴⁾

ويذكر د. شوقي شيف أن الثعالبي ترجم له في «اليتيمة» ولا نعرف إلى أي طبعة رجع (فقد ذكر طبعتين مختلفتين في قائمة المراجع) وقد عدنا للطبعة القاهرية فوجدنا في الجزء الثاني منها:

«المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي، قال:

لا يُبْعِدُ اللهُ أَياماً نَعَمْتُ بِها

بين الغواني وشَمْلُ الحَيِّ مِلْتَمُ

بكل ناعمة الأطراف مشرقة

تكدأ تُسْفِرُ من إشراقها الظلمُ⁽⁵⁾

الخ...

والمرجح أن «الغنوي» هذه ليست سوى «القبري» بعد أن اعتراها

التصحييف...

وأيا كان الأمر فإن هذه الجمل الموجزة لا تكشف عن شيء ذي قيمة، يبرز لنا صورة الرجل وشاعريته وموشحاته، بل لا تقدم تحديداً للحقبة التي عاش فيها وان كان المرجح أنه كان من شعراء أخريات القرن الثالث الهجري.

وإذا كانت المعلومات قليلة عن محمد بن محمود فإنها-على النقيض من ذلك مستفيضة عن ابن عبد ربه صاحب العقد، الذي يجيء عنه في «الذخيرة»:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» (وابن عبد ربه توفي سنة 328 هـ).

وأما ابن سعيد في «المقتطف من أزهار الطرف» فإنه يقول: (واستند إلى الحجاري صاحب «المسهب في غرائب المغرب»): «إن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وهذه العبارة نفسها وردت في مقدمة ابن خلدون⁽⁸⁾ مع اختلاف يسير، ذلك أنه جعل كنية عبد ربه (أبو عبد الله) بدلا من الكنية المعروفة (أبو عمر)، ووردت العبارة نفسها بعد ذلك في كل من «نفع الطيب»⁽⁹⁾ و «أزهار الرياض»⁽¹⁰⁾ ولكن بغير كنية.

وعجيب أن يكون ابن عبد ربه من أوائل الذين ألفوا في الموشحات، لأن كتابه الموسوعي «العقد الفريد» لا يحتوي على شيء عن هذا الفن، ويتضمن في الوقت نفسه العديد من قصائده ومقطعاته (وكان ابن عبد ربه غزير الإنتاج في الشعر، وقد ذكر الحميد أنه رأى من شعرة نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر)⁽¹¹⁾ ومن جانب آخر، فإن ابن عبد ربه هاجم في «العقد» جنوح الناس إلى الأساليب السوقية، وتخليهم عن الفصاحة، والموشحات-كما هو معروف-فيها، وبخاصة في الخرجات، عامية-بل أعجمية-في اللفظ والمعنى.

وقد قدم د. الكريم في كتابه «فن التوشيح» مجموعة من التساؤلات حول هذه النقطة، فقد شكك في أن يكون لابن عبد ربه صاحب العقد دور في نشأة الموشحات» وأضاف: «ويخيل لي في بعض الأحيان أن ابن عبد ربه

الذي كان علاقة بالتوشيح ليس هو هذا الرجل، بل ابن أخيه سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه، فقد ذكر (في المغرب): أن الناصر المرواني استحضره لينظر عليه في العلم القديم، فقابله من الكلام العامي الجلف بما كرهه من أجله وأبعده. فهذا الرجل، صاحب الكلام العامي الجاف، أدنى إلى أن يكون ممن نظم الموشحات-خارجاً بذلك على التقاليد القديمة- من صاحب العقد» ويضيف:

«هذا وقد ذكر بعض المؤرخين (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 299 المقرئ: نفح الطيب ج 1 ص 368) أبا عبد الله محمد بن عبد ربه من أحفاد ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد، وكانت له رحلة إلى مصر، لقي فيها ابن سناء الملك، وأخذ عنه من شعره. وهو أول من سمعه عبد الواحد المراكشي يذكر ابن سناء الملك بالأندلس ويروي شعره. فربما كان اتصال هذا الرجل المنتمي إلى صاحب كتاب العقد بابن سناء الملك الوشاح المشرقي العظيم سبباً في ذكر جده عند التعرض لبدء الموشحات، وربما يكون هو الذي خلق تلك الفرية، محاولاً رفع قدر جده، وهو من الموشحات براء»⁽¹²⁾.

وقضية نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه صاحب العقد محيرة حقاً، ولكن من العسير دفعها بمثل التساؤلات التي أثارها د. الكريم في دراسته عن التوشيح لأنها تخطيء مصادر أساسية مثل «الذخيرة» و«المقتطف» على أساس ظنون لا تستند إلى برهان. لقد تحدثت بالفعل مصادر مختلفة عن أبي عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه-ابن أخ صاحب العقد على اعتبار أنه كان-على حد تعبير ابن أبي أصيبعة-«طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً»⁽¹³⁾ كما أن صاحب «اليتيمة»⁽¹⁴⁾ أورد له شعراً لا بأس به، ولكننا-على كل حال-لا نعرف مصدراً واحداً قرن اسمه بفن التوشيح.

وأما الحديث عن دور ما في هذا الأمر لحفيد ابن عبد ربه، فلا نجد له مبرراً على الإطلاق، لأن الإشارة إلى دور ابن عبد ربه (صاحب العقد) في الموشحات ترد في «الذخيرة» لابن بسام المتوفى سنة 542 هـ ونحن نعلم أن ابن سناء الملك ولد نحو سنة 550 هـ، وبمعنى آخر أن ابن بسام الذي روى الخبر توفي قبل أن يولد ابن سناء الملك، فكيف يفترض أن منشأ نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه يعود إلى فرية قصها حفيد ابن عبد ربه على ابن سناء الملك؟

وهكذا يفضي بنا الحديث إلى «مقدم بن معافي القبري» الذي تحير في أمره مؤرخو الأدب الأندلسي، وإن كانت المعلومات عنه على كل حال أكثر وضوحاً مما وصل إلينا عن محمد بن محمود القبري.

وقد جاءت عنه في «المقتطف» لابن سعيد عبارة يتيمة تقول: «فأما الموشحات، فقد ذكر المجاري في كتاب «المسهب في غرائب المغرب» أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد⁽¹⁵⁾، وهذه العبارة وردت عند ابن خلدون، وظهر اسم معافي في بعض طبعات المقدمة وبخاصة طبعة كاترمير على النحو التالي:

«مقدم بن معافى الفريري»⁽¹⁶⁾ ففقد هذا التصحيف إلى حشد من سوء الاستنتاج⁽¹⁷⁾ كما أدى اشتراك معافي ومحمد بن محمود في النسبة (القبري) إلى الظن بأن الاسمين قد يكونان لشخص واحد، لكن المتفق عليه، الآن غير ذلك⁽¹⁸⁾.

والمعروف أن الأمير عبد الله المرواني توفى سنة 300 هـ، كل ألف مقدم موشحاته في ظل هذا الأمير أم بعده؟

لسنا نعلم شيئاً واضحاً عن هذا الأمر، والحميدي في «الجدوة»⁽¹⁹⁾ يقول إن مقدما هذا كان من شعراء بلاط عبد الرحمن الناصر (300-350 هـ)، وهذا كله لا يساعد في شيء إلا في إيضاح أن مقدما عاش حقبة من عمره في القرن الرابع الهجري.

ونتقدم إلى الأمام نحو قرن من الزمان، لنتقابل مع «الجيل الثاني» من الوشاحين إذا صح التعبير.

الجيل الثاني

والمعلومات التي لدينا عن هذا الجيل أغزر بكثير مما كان عليه الحال مع محمد بن محمود القبري ومع مقدم بن معافي، هذا إذا استثنينا المكرم بن سعيد وابن أبي الحسن، وقد ذكرهم ابن بسام في كلمته عن أوائل الوشاحين، ولكن لا يعرف عنهم شيء في المصادر المعروفة.

وصاحب «الذخيرة»-بعد ذكر محمد بن محمود ومقدم وابن عبد ربه-يضيف:

«ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (يعني ابن ماء السماء)»⁽¹⁾.

والملاحظ أن ابن سعيد في «المقتطف» (ومن أخذ عنه كابن خلدون والمقري) لا يشير إلى اسم الرمادي بين الوشاحين الذين ذكرهم، ولا يقدم عنه في «المغرب»⁽²⁾ شيئاً ذا بال، وكل ما هنالك مقتطفات تملأ صفحة وبعض صفحة، تنصدها عبارة نقلها عن الحميدي في «الجدوة» نعرف منها أن شاعرنا هذا «قرطبي كثير الشعر سريع القول،

مشهور عند الخاصة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: «فتح الشعر بكندة، وختم بكندة، يعنون امرأ القيس، والمتنبى ويوسف بن هارون (3)- المتوفى سنة 403 هـ. وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته «دار الطراز» ترد عبارة تتعلق-فيما يبدو-بالرمادي، وهي:

«وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها أيضاً في

العجمي سفسافاً نطلياً، ورمادياً زطياً» فما دلالة رمادياً هنا؟

لقد ظن الحميدي أن نسبة شاعرنا «الرمادي» جاءت من أن «أحد آبائه كان من أهالي الرمادة، وهي موضع بالمغرب» لكن د. أحمد هيكل ينفي هذا الظن، ويقول إن هذا اللقب «هو الصورة العربية للقب رومانثي كان يطلق على الشاعر، كأثر من آثار امتزاج العربية بالرومانثية في المجتمع الأندلسي. ومما يؤكد هذا أن بعض المصادر الأندلسية قد حفظت لنا هذا اللقب بصورته الرومانثية، ونهت كذلك إلى نقل هذا اللقب من صورته غير العربية إلى صورته العربية، فقال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة، في ترجمته للشاعر يوسف بن هارون: كان يلقب بأبي جنيش، فنقل إلى الرمادي، فكلمة جنيش هي الكلمة الرومانثية التي صارت في الإسبانية (Cenisa) تيسا، ومعناها رماد. فأبو جنيش هي أبو رماد أو الرمادي»⁽⁴⁾.

وقد ضاع ديوان الرمادي ولم تصل منه إلا شذرات، وضاعت موشحاته التي أشار إليها ابن بسام. عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز:

ونتحدث عنهما معاً لما بين أخبارهما من تداخل، لأنهما كانا معاصرين من جانب، وللتشابه بين الاسمين في لفظة «عبادة» من جانب آخر.

وإلى عبادة بن ماء السماء يشير ابن بسام قائلاً: «نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز.. ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التغيير وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمونها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز» ويقول في بيان فضله:

«وكان أبو بكر في ذلك العمر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة، سلك في الشعر مسلكاً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقته، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود، ولا منظمومة العقود، فأقام عبادة هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم

الجيل الثاني

تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته» (5)

ويقدم ابن بسام نبذة لا بأس بها عن عبادة القزاز، منها:

«من مشاهير الأدباء الشعراء، وأكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس.. وهو ممن نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديوانه ورصع تاجه، وكلامه نازل في المديح، فأما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف» (6)

وفيما يبدو أن موشحات ابن عبادة (شأنها في ذلك شأن موشحات عبادة بن ماء السماء) كانت عزيزة الوجود منذ قرون وقرون، كما قد يستدل على ذلك من قول ابن فضل الله العمري عن ابن القزاز:

«.. صاحب الموشحات الموشعات، والكؤوس المشعشعات، والبدائع التي لم يحصرها وزن، والوشائع التي لم يلبس مثلها روض الحزن، والروائع التي لا عيب في درها إلا أنه لم يذخر بالحزن...» (7)

أما ابن سعيد، فإنه في «المغرب» لا يكاد يقدم شيئاً يستحق الذكر عن حياة ابن عبادة. (وإن أورد نماذج من شعره، وبعض موشحات-سنذكرها بعد قليل) ولم يجيء شيء عن عبادة بن ماء السماء في النسخة المطبوعة من الكتاب، كما لا يذكر اسم ابن ماء السماء في الفصل الذي عقده عن الموشحات والأزجال ضمن كتابه «المقتطف» ولكنه يورد عن ابن عبادة القزاز:

«فأما الموشحات، فقد ذكر الحجاري في كتاب المسهب في غرائب المغرب أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبيري.. وأخذ عنه ابن عبد ربه.. ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية. وقد ذكر الأعلام البطليوسي أنه سمع ابن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز في ما اتفق له من قوله:

بدرُ تمَّ	شمسُ ضحى	غصنُ نقا	مسكُ شمَّ
ما أتمَّ	ما أوضَحَا	ما أروقا	ما أتمَّ
لا جرمَ	من لَمَحَا	قد عَشَقَا	قد حُرِمَ

وزعموا أنه لم يشق غباره وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف (8).

وقد توفي عبادة بن ماء السماء سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، أو سنة تسع عشرة وأربعمائة⁽⁹⁾ أما ابن عبادة القزاز، فإنه كان الشاعر المقدم في بلاط المعتصم بن صمادح صاحب المرية، وفي ذلك يسوق صاحب «النفح» أن ابن عبادة أنشد المعتصم شعراً يقول له فيه:

ولو لم أكن عبداً لآل صُمادح
وفي أرضهم أصلي وعيشي وموَلدي
لما كان لي إلا إليهم تَرْحُلُ
وفي ظلهم أمسي وأضحى وأغتدي

فارتاح وقال: يا ابن عبادة، ما أنصفناك، بل أنت الحر لا العبد، فاشرح لنا أملك. فقال:

أنا عبد جودكم كما قال ابن نباتة:
لم يبق جودك لي شيئاً أوْمله
تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

فالتفت إلى ابنه الواثق ولي عهده، وقال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمه إليك، وافعل ما تقتضيه وصيتي به، ونبهني إليه كل وقت، فأقام نديماً لولي العهد المذكور. وله فيهما المرشحات المشهورة كقوله:

كم في قد ود البانِّ تحت اللَّمَم من أقمر عَواط
بأنمل وبنانِّ مثل العنَم لم تُنَبِّر لِعَاط⁽¹⁰⁾
وفي «معجم السفر» للسلفي إثارة أخرى لإحدى موشحات ابن القزاز في مدح المعتصم أولها:

هل يُتَاح للأرواح من ظُبَاك يا سَفَّاح
أنْ تُرَاح أو ترَاح أو ترَاح في مَرَّآك⁽¹¹⁾
وهو نص نادر لا نجده في غير كتاب السلفي.

أما ابن سعيد في «المغرب» فإنه يذكر له قسماً كبيراً من موشحة أولها:

أَذَابَ الْخَ _____ د
ن _____ ه _____ ه _____ ن _____ د

وَعَصَصْنُ تَاوَدَ
فِي دَعَصِ مَابَدَ
عَنْ سَقَمٍ مُكَمَدَ
لَاةَ

فَفَدَعَ عَدَلِي
يَا مَن يَالوومُ
فَالوومُك لِي
فِي الْحَبِّ لُوومُ
أَقْصَا أَمَلِي
ظَبِي رُخِييمُ (12)

وقسماً من موشحة أخرى أولهما:

صِلْ يَا مُنَى الْمُتَيِّمِ مَن رَاخُ
مَقْصُوصِ الْجَنَاحِ
صَاغَ الْجَمَالَ مِنْ كُلِّ لَأَلَاءِ
خَدَّ أَدِيمُهُ مِنَ الصَّهْبَاءِ
وَوَجَنَّةُ أَرْقُ مِنْ الْمَاءِ
كَأَنَّهَا شَقِيْقَةٌ تُفَاحُ
لَمْ تُلْمَسْ بَرَاخُ (13)

وهناك نصوص لا يعرف على وجه الدقة أهي لعبادة بن ماء السماء، أم لابن عبادة القراز، ففي «فوات الوفيات» (14) موشحتان لابن ماء السماء، الأولى تبدأ ب:

مَنْ وَلَى
فِي أَمِهِ أَمْرًا وَلَمْ يَعْدِلْ
يُوعِزُّ
إِلَّا لِحَاظِ الرُّشَا الْأَنْحِلِ

والثانية:

حُبِّ الْمَهْأَعِبَادَةِ
مِنْ كُلِّ بَسَّامِ السَّوَارِ
لكن الصلاح الصفدي في «الوافي بالوفيات» (15) يجعل الأولى لمحمد

بن عبادة القزاز ويجعلها هو نفسه في كتابه «توشيح التوشيح»⁽¹⁶⁾ لعبادة بن ماء السماء! ويذكرها ابن الموائعيني في «ريحان الألباب»⁽¹⁷⁾ مصدرة بـ «وغريب التوشيح ما أنشد به أبو عامر ابن ينق قال: أنشدني عبادة بن ماء السماء لنفسه من موشحة قليلة الأمثال..» النص
وإذن فلا يبقى لابن ماء السماء سوى موشحة واحدة لا خلاف عليها في المصادر وهي التي أولها:

حُبِّ الْمَهَامَا عِبَادَةَ

مَنْ كُلِّ بِسَامِ السَّوَارِ

ولكن د. إحسان عباس يقول عنها إنها «شبيهة بموشحات القزاز، والخرجة فيها معربة. وإذا كان كذلك فقدنا آخر مثل من الموشحات المبكرة نسبياً»⁽¹⁸⁾، ونحن لا نطمئن كثيراً لمثل هذا الاستدلال، لأن ابن القزاز فيما وصل إلينا من موشحاته لا يسير على نمط ثابت، وهناك فروق فنية واضحة بين موشحاته التي تتعدد فيها الأجزاء في القفل، أو في البيت، مثل قوله في موشحة «بأبي. ظبي حمى»:

بَدَّرْ تَمْ شَمْسُ ضُحَى غَصْنُ نَقَا مِسْكُ شَمِّ

وبين قوله:

صِلْ يَا مُنَى الْمُتَيْمِ مَنْ رَاخْ

مَقَّة صَوَّصَ الْجَنَّاخْ

ومن جانب آخر، فإن الترجيح لا يمكن أن يقوم، إلا إذا كنا نملك قدراً من موشحات ابن ماء السماء، يسمح بأن نتبين من خلاله الخصائص الفنية عنده، ونقارنها بموشحات ابن القزاز، ثم نحكم بعدها على موشحة «حب المها عبادة».

والقضية تصبح أكثر تعقيداً عندما ينظر المرء في نصوص «دار الطراز»، وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لكتابه، لأن صاحب «الدار» لا يذكر إلا «عبادة» من غير تحديد، مثال ذلك موشحة:

بِأَبِي عَرَّاقْ

بِالْفَسْ عَالِيَقْ

وقد أوردها بتمامها⁽¹⁹⁾ وذكر في المقدمة: «هذا الموشح لعبادة» وقد يظن ظان أن الاكتفاء باسم «عبادة» يفرض على الباحث أن يرجع نسبة

الجيل الثاني

النص لعبادة بن ماء السماء لا لابن عبادة القزاز، لكن المشكلة أن هذا الأخير يذكر كذلك على أنه «عبادة القزاز» فضلاً عن أن بعض الموشحات التي اكتفى ابن سناء الملك بنسبتها إلى «عبادة» تأتي منسوبة لابن عبادة القزاز في عدد من المصادر، كما تنسب لابن ماء السماء في غيرها، مثل:
بأبي ظبي حمى تكفُّهُ أسدُّ غيلٍ
التي عرفنا أن ابن المواقيني جعلها لابن ماء السماء⁽²¹⁾، أما ابن سعيد في «المقتطف من أزاهر الطرف» فنسبها إلى «عبادة القزاز»، وقد مر بنا قول ابن زهر إن «كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بَدَّرَ ثَمَّ شَمْسُ ضُحَى غَصْنُ نَقَا : مَسْكُ شَمٍّ.. الخ
وهذا المقطع لا يعدو أن يكون أو «البيت» الثاني من أبيات موشحة «بأبي: ظبي حمى». والموشحة نفسها ترد في «جيش التوشيح»⁽²²⁾ منسوبة هذه المرة لأبي بكر بن بقي!

وهناك موشحتان أخريان في «دار الطراز» تحويان في ثناياهما ما يؤكد نسبتهما لابن عبادة القزاز، الأولى هي موشحة:

دعني أشمُّ: برقاً جمدٌ: مرجانٌ: قد انتظم فيه البردُ: فازدان فالخرجة فيها تقول:

قُلْ هل عَلمٌ: أو هل عَهدٌ: أو كانُ: كالمعتصم والمعتضد مَلِكًا
والثانية أولها.

رُحْ للراح وبأكِرْ بالمُعَلِّمِ المُشَوِّفِ غبوقاً وصَبُوحْ على الوترِ الفصيحْ
وخرجتها:

ما أَمَلَحَ العساكِرُ وترتيب الصفوفُ والأبطالُ تصيحُ الواثقُ يا مَلِجٌ
ففي الخرجة الأولى إشارة إلى المعتصم والمعتضد (صاحب أشبيلية) وكان بينهما تحالف في فترة من الفترات، وأما الواثق المشار إليه في الخرجة الثانية فهو عز الدولة ابن المعتصم، وفي هذا ما يدل على أن الموشحاتين من نظم ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم وابنه.

على أن الاشكالات لا تنتهي عند هذا الحد مع عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز، فهناك اسم ثالث يتردد في بعض المصادر الأندلسية هو اسم «عبادة بن محمد بن عبادة-القزاز» وهذا الاسم يرد في «الخريدة»-

على سبيل المثال-دون أي تحديد لعصره أو مكانته أو الفنون التي برع فيها،
ويأتي بعد الاسم مباشرة بيتان هما :

إِنَّمَا الْفَتْحُ هِلَالٌ طَالِعٌ
لَا حَ مِنْ أَزْوَاجِهِ فِي قَلْبِكَ
خَدُّهُ شَمْسٌ وَلَيْلٌ شَعْرُهُ
مَنْ رَأَى الشَّمْسَ بَدَتْ فِي حَلَاكِكَ (24)

وعلق محققا هذا القسم الخاص بشعراء الأندلس وأدبائها على الاسم
بأن المعنى هنا «أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة.. ويعرف
بابن ماء السماء» وبذا حسما الأمر دون اعتبار لصفة «القزاز».
وتوقف هذا المستشرق شترن أمام هذا الاسم فتساءل عما إذا كان
«عبادة» هذا ابنا لمحمد بن عبادة القزاز أو ابن القزاز الذي نعرفه، ولم
يستطع أن يحسم في المسألة. (25)

والحق أن المغامرة بتقديم حل حاسم لمثل هذه المشكلة قد تقود للشطط،
خاصة حين تتدخل مصادر أخرى فتقدم إشارات عن «عبادة بن محمد بن
عبادة الأقرع»، صاحب الموشحات، فهل هذا شخصية أخرى تشترك في
تأليف الموشحات كما تشترك في نعت «عبادة»، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون
هفوة من هفوات التأليف أو النسخ، وأن المقصود بهذا الاسم الثالث محمد
بن عبادة القزاز؟ ولم لا نجد عن عبادة «الثالث» هذا إلا إشارات مقتضبة
تتسم بالغموض؟

إن تكرار الحديث عن الشخص الواحد في كتاب مثل «الخريدة»-بما
يوهم أحيانا انهما شخصيتان منفصلتان- (26) يجعلنا نشك في وجود وشاح
ثالث يحمل اسم عبادة (27) غير ابن ماء السماء وابن «القزاز».

أم الكرم بنت المعتصم:

جاء عنها في «المسهب» ونقل صاحب «المغرب» (28) :

«كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها حين نظمت الشعر
والموشحات» لكن شيئا من هذه الموشحات لم يصل إلينا، ولم يبق من شعرها
إلا أبيات متفرقة تدور حول موضوع الحب.

وأم الكرم هي أول شاعرة أندلسية يذكر أنه كان لها إسهام في تأليف

الجيل الثاني

الموشحات والمملوحظ أن شاعرات الأندلس-إلا قلة قليلة-لم يؤثر عنهن أنهن ألفن موشحات.

فترة النضج والازدهار

● ابن عمار (ذو الوزارتين، أبو بكر بن محمد، المهدي، الأندلسي، الشلبي) ⁽¹⁾ المتوفى سنة 477: لخص ابن سعيد في «المغرب»-استنادا إلى «القلائد» و«الذخيرة» و«المسهب» حياة ابن عمار العاصفة في سطور، فذكر أنه من قرية شنبوس، من المملكة الشلبيية وكان من أصحاب المعتمد في زمن الصبا، فلما آل الأمر للمعتمد، قرب ابن عمار وصار عنده كجعفر عند الرشيد، إلى أن داخل ابن عمار العجب،.. فوثب على مرسية لما أخذها للمعتمد، وانفرد فيها بنفسه، وهجا ابن عباد وزوجته الرميكية «وانتهى الأمر إلى الوقوع في الأسر وقتله المعتمد بيده».

ولا يذكر ابن عمار في أي من المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين، وتفرد الصفدي في «توشيح التوشيح» ⁽²⁾ بعده من بين كبار وشاحي الأندلس.

● ابن زيدون (أحمد بن عبد الله): ⁽³⁾ الوزير الشاعر الكاتب، صاحب الرسائل الهزلية والجدية، والقصائد الوجدانية ذات الشهرة المدوية، وبخاصة «النونية» التي طالما عارضها الشعراء عبر العصور:

أضحى التثائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا ولم يذكر ابن زيدون في المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين كما أن ديوانه لا يضم شيئاً في هذا المضمار، وفيه مسمطتان «سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى» و «تنشق من عرف الصبا ما تنشقا» ومن الدارسين المحدثين⁽⁴⁾ من يعدهما-خطأ-من الموشحات.

● ابن ارفع رأسه (أبو بكر محمد) (5) :

جاء عنه في «المقتطف» في معرض الحديث عن أوائل الوشاحين الذين ظهرُوا بعد ابن عبادة القزاز:
«وجاء مصلياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه، شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة. قالوا قد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له، حيث يقول:

الْعُودُ قَدْ تَرَرْنَا
بِأَبْدَعِ تِلْكَ حِينِ
وَشْحَةً مِثْلَ الْمَذْنَبِ
رِيَاضِ الْبَسَاتِينِ
وفي انتهائه حيث يقول:
تَخْطُرُ وَلَيْسَ تَسْأَلُ
عَسَاكَ الْمَأْمُونُ
مُرُوعَ الْكَتَائِبِ
يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ

وذكره ابن سعيد في «المغرب» ولم يورد عنه شيئاً يذكر: «نبه الحجارى على بيته بطليطلة، وإن المأمون بن ذي النون اشتمل عليه وشهر عنده ذكره.. وله موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب، منها في مدح المأمون بن ذي النون» ولم يذكر إلا ثلاثة أبيات قالها في مدح ابن ذي النون يجيء في مصادر أخرى أنها قيلت على البديهة، وفي حسابنا أن عبارة «المغرب» توحى بأنه سيسوق شيئاً من هذه الموشحات، لكن الأمر وقف عند هذا الحد⁽⁶⁾.

ومن موشحة «العود قد ترنم» قطعة ترد في «مجموع الأغاني والألحان

من كلام الأندلس» منها:

و غ ن ن ا ء الط ي و ر
ع ا لى غ ص و ن ا ب ا ن (7)
و ض ح ح ا ك ا ل س ر و ر
و ا ن س ل ل ا م ي د ا ن
و ك ل ا ن ن ا أ م ي ر
ب ا ل ر ا ح و ا ل س ا ط ا ن .. الخ

ومن حسن الحظ أن مجموعة «جيش التوشيح» تضمنت عشر موشحات لابن ارفع رأسه، وقد صدرها لسان الدين بن الخطيب بعبارة مسجوعة فيها:

«رفع في التوشيح رايته، وبلغ منه غايته، واستوفى أمره ونهايته، فجلا برائق مبانيه أنوار معانيه، فجاءت ألفاظه يرف رونقها، و يشف تأنقها، إن مدح جاءت المدائح إليه تترى، أو تغزل رأيت جميلا بوادي القرى، جدد بني ماء السماء المتقدمين في التمييز، وانضوى به إلى الملوك والتحييز...» والموشحات التي بين أيدينا تدور حول الغزل والمديح، وفي بعضها ما يمكن أن يعد من «التزنييم»-أي الخروج على الفصحى- إلا إذا كان مرد ذلك إلى سوء النسخ، وانظر موشحته:

ق د ك ن ت ف ي ع د ن ف ا خ ل ت و ا ل ه ف ي ك ا ن ا ب ل ي س ا ق د و ش ي إ ل ي إ ل ف ي
و ا ص ل إ ي ح ح ا ش ي
م ن ع ه د ه ا ن س ي ...
ب د ر ب د ا م ا ش ي
ك ي ي ك س ف ا ل ش م س (8)

ومن أقفالها:

ح ا ش ا ك ي ا خ د ن ي ا ن تُ د ي نَ بِالْحَلْفِ ف ي و س ن ي ي و م ا و ح د ه م نَ الأ ل ف
و غ ي ر ه :
أ ج ل م ن الحُ س ن ق ب ل ر ج ع ا الط ر ف م ن ع ر ش ب ل ق ي س ا مُ نِع ت ب ا ل ن ص ف
و ه ن ا ك ف ض ل ا ع ن ذ ل ك ج م ل لا ن ح س ب أ ن ه ا ك ا ن ت ت غ ن ي ع ل ي الن ح و الذ ي
ت ت ط ق ب ه ب ا ل ف ص ح ي م ث ل :

الخُلفُ لـاـوَعُد

نـاـقـضُ عـُـرى الـوَد

ففي اعتقادنا أنه كان يوقف بالسكون في «ناقض». ومن أشهر الموشحات المنسوبة لابن ارفع رأسه قوله:

مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أذنِ الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ الْمَرْطَا الْعُصْنَ النَّضْرَا⁽⁹⁾

وبعض خرجات موشحاته تمتزج فيها العامية بالرومانث كقوله في موشحته «الراح والرضا:

يامم شنت لاب ذا الوعد ذا الحجج دَعْ هَجَر مِم قَطَعْ فالقطع في سمح
أو قوله في خرجة موشحته «اللهوى في القلب أسرار:

بـعـنـايش لـحـت إن لـحـت

كـم هـاـش مـن يـدى

بـوـن بـلاش اـمـتـار

أو لحت عمن عن كـفـرى

* ابن اللبانة (محمد بن عيسى بن محمد، أبو بكر اللخمي):

الدانى (نسبة إلى مدينة دانة، بالأندلس) وكان شاعر المعتمدين عباد،

وتوفى في سنة 507⁽¹⁰⁾

أورد له ابن سناء الملك في «دار الطراز» ثلاث مرشحات الأولى (وتجئ

بدورها في مجموعة «جيش التوشيح»):

عَلَى عيون العين رعى الدراى مَنْ شَعَفَ بِالْحَبِّ

الثانية (وترد كاملة في المغرب):

كم ذا يورقني ذو حدق مَرَضَى صَحَاحْ لَا يُلَيْنَ بِالْأَرْقِ

والثالثة: (ومنها قطعة في «المغرب» وتجيء كاملة في «جيش التوشيح»):

كذا بقتاذ سنا الكوكب الوقاذ إلى الجلاس مشعشة الأكواس

ومن أشهر موشحاته-وعارضها كثيرون-موشحة:

فـي نـرجـس الأـحـقـاذ

وَسَوَّسَ ن الأَجِيَاد

نَبَّـتُ الهـوى مـغـرُوس

بـين الـقـنـا المـيـاذ⁽¹¹⁾

ويستغرق الغزل جل الموشحة، ولكنه يختمها بمديح بني عباد.

وأشهر من الموشحة السابقة قوله:

هلا غُدُولِي قد خلعتَ العذار لا اعتدَا زُ
عن ظُبا الإنس وشُرْب الغُفَارُ
وخرجتها بلغة الرومانث:

وغادة تشكو بعباد الخليل
غُدُوها تبكي ويوم الرحيل
بضفة البحر وظلت تقول:
... امار الفرار وليس دمار

ومن الموشحات المنسوبة لابن اللبانة، وترد في «توشيح التوشيح»⁽¹²⁾
وفي «عقود اللال في الموشحات والأزجال»⁽¹³⁾ وفي غيرها⁽¹⁴⁾

شاهدي في الحب من حُرقي
أدمع كالجمر تَنذرُ
تعجز الأوصاف عن قَمَر
خده يَدْمَى من النَّظَر
بَشَرُيْسمو على البَشَر
قد براه الله من عَاق
ما عسى في حُسنه أَصْفُ

ويعد نموذجاً للموشح «الشعري» بل لعله-إذا صحت نسبته لابن اللبانة-
أقدم ما وصل إلينا من هذا النوع.
* ابن لبون (أبو عيسى، لبون):⁽¹⁴⁾

أمير مريبطر Murviedro

له في «جيش التوشيح» عشر موشحات من أجملها موشحته:
ما بدا من حالي قد كفى عُدالي عاذلي لا تكثر في الهوى تعدّالي
عَذْلُكم يُغريني
فانت هوا عن عَذْلي
كَلَفِي بالعين
زَادَ في فضائي
وموشحة:

من أطلع البدر في كمال
غصن أعْتَدال

بمُهَجَّتِي شَادِنٌ غَرِيرُ
يَجُورُ حَكْمًا وَلَا يُجِيرُ
وَمَا سَوَى أَدْمَعِي نَصِيرُ
تَفْعَلْ عَيْنَاهُ بِالرَّجَالِ
فَفَعْلُ الْعَمَلِ

وتنتهي وكلها حول موضوع الحب-بالحبیب وقد لان بعد طول تدلل:

لِلَّهِ يَوْمًا بِهِ نَعْمًا
رَاقٍ أَصِيلًا قَرَّاقٌ حُسْنًا
عَاتِبَتْهُ مَازِحًا فَغْنَى:
إِيَّاكَ يُغَرِّقُكَ صَرَفُ مَالٍ

يَا مَنْ بَدَأَ لِي (15)

وهذه الخرجة معربة، وفي موشحات ابن لبون ما تكون فيه الخرجات بالعامية مثل موشحة «كم ذا يعذل» وينتهي بالحديث عن هذه الحسنة التي:

تَشْدُو خَالَهَا
تَدْعُوهُ لِوَصْلٍ وَالْعِنَاقِ:
سَمَّارُكَ حَالُو
أَنَّهُ مِنْ شَارِبِ الْعَدَدِ

كما أن لابن لبون موشحة ذات خرجة اختلطت فيها العربية بلغة الرومانث، وهي موشحة «شكا جسمي» وفيها تشدو المحبوبة حزنا لما علمت بما حل به:

عَزِيزِي كَمَدَ سَيْدٍ يَا قَوْمَ تُرَى بِاللَّهِ سَمِ الْأَسْمِ نَدِ رَلُو
* ابن الرقاق (أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية) (16) المتوفي نحو
سنة 530 هـ (17): جاء عنه في «المسهب»:

«من فتیان عصرنا الذين اشتهر ذكرهم وطار شعرهم، وهو جدير بذلك،
فلشعره تعشق بالقلوب، وتعلق بالسمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل
كونه استمد من خاله أبي إسحاق بن خفاجة ونزع منزعه».

ولسنا نملك شيئا ذا بال عن موشحات ابن الرقاق، باستثناء ما يجيء
في «توشيع التوشيع» (18)، فقد عده الصفدي «ممن سبق إلى التوشيع،

وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»، ونسب إليه موشحة (تجيء بدورها في مخطوطة «عقود اللال»⁽¹⁹⁾ منسوبة كذلك لابن الزقاق) يقول فيها:

خُذْ حَديثَ الشَّوْقِ عَن نَفْسِي

وَعَن الدَّمْعِ الَّذِي هَمَّ عَا

مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ اتَّقَا

وَهَمِّي بِالْدمْعِ وَاطَّرَدَا

وَاجْتَدَى قَلْبِي عَلَيْهِ سُدَى

آه من ماء ومن قُبْس بين طرفي والحشا جُمعَا

وهي موشحة رفيعة المستوى، من نوع «الموشح الشعري» فألفاظها غاية في الرقة ومعانيها تلفها غلالة من البساطة، والصور الخلابة، والنغم الحار والمشكلة أن المصادر الأخرى لا يذكر فيها شيء عن موشحات ابن الزقاق، ولا يوجد إلا نص واحد منسوب له، وهذا النص نفسه يرد في «نفع الطيب» على أنه من موشحات ابن بقي⁽²⁰⁾.

وسواء كانت هذه الموشحة من شعر ابن الزقاق أو ابن بقي، فإنها تعد من عيون الموشحات الأندلسية، وخرجتها معربة، ينشد فيها العاشق:

أَيْنَ ظُبِّي الْقَفَرِ وَالْكُنْسِ

من عزال في الحشَا رَتَعَا

* ابن جاح (الصباغ البطليوسي):

وصفه المقرئ بأنه «من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ ولا يكتب»⁽²¹⁾ وروي عنه أخبارا مع الوزير ابن عمار، تدل على سرعة بديهة، وحسن ارتجاله، كما أورد خبر قدومه إلى بلاط المعتضد بن عباد، وازدراء الشعراء به وسخريتهم منه، حتى جاءت ساعة الإنشاد، فإذا به يقول مدحة من عيون الشعر (ذكر المقرئ منها ثلاثة عشر بيتا) عندئذ قال له المعتضد: «اجلس، فقد وليتك رئاسة الشعراء، وأحسن إليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده».

وقد ترجمت بعض المصادر لابن جاح، ولكن أيا منها لم يذكر شيئا عن موشحاته، وعده الصفدي في «توشيح التوشيح» من المبرزين في هذا الفن الأندلسي⁽²²⁾.

* ابن الأرقم (أبو الاصبغ عبد العزيز بن محمد، النميري):

قال ابن الأبار في «التكملة» إنه كان:

«كاتباً بليغاً شاعراً، أقام بدانية، عند إقبال الدولة على ابن مجاهد، ثم صار إلى المعتصم بن صمادح، فكان من وجوه رجاله، ونبهاء صحابه. وله رسائل وتأليف في الأدب. وتوفى في عهد المعتمد بن عباد» (23) ووصفه المقري بأنه «كان آية الله تعالى في الوفاء»، وذكر خبر إعجاب المعتمد بن عباد به، وسعيه لضمه إلى دولته، ورفض ابن الأرقم وفاء منه لابن صمادح. وفي معرض الحديث عن موضحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان» يضيف المقري:

«وممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم، إذ قال>:

مَبَسَّمُ الْبَهْرَمَانِ
فِي الْمُحَايَا الدَّرِي
صَادَقَ أَبِي وَبَانَ
وَأَنَّنَا لَمُؤْمَرٌ أَدْرُ (24)

وهذا كل ما يعرف من أمر موشحات ابن الأرقم. ولا يستبعد شترن (25) أن يكون المقري قد أخطأ عندما ذكر أن ابن الأرقم هو الذي عارض التطيلي، وأن يكون العكس هو الصحيح، على اعتبار أن ابن الأرقم أقدم عهداً من التطيلي، إذ كان الأول في أخريات عمره، عندما كان الثاني في سن الشباب. * ابن الفرج (ذو الوزارتين أبو عامر): (26)

وزير المأمون بن ذي النون، ملك طليطلة ثم وزير ابنه عبد القادر. ذكر ابن سعيد-نقلاً عن «المسهب» أن بني الفرج كانوا من أعيان بلنسية «الذين توارثوا الحسب، وجلوا عن أن يحيط بهم نظم من الشعر أو نثر من الخطب، وما منهم إلا من تهادته الملوك...» ثم ذكر خبر تفرقهم على حواضر ملوك الطوائف، واستقرار أبي عامر بن الفرج في بلاط بني ذي النون، وأضاف:

«قال (يعني الحجاري، صاحب «المسهب»>) وله في التوشيح طريقة حسنة»، ولا نملك من هذه الموشحات شيئاً.

* والحصري (أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضري): (27) وصفه صاحب الخريدة «بأنه» حب تصنيفات وتأليفات وإحسان في النظم» (28) (ولا ينبغي الخلط بينه وبين ابن خالته أو خاله أبي إسحاق

إبراهيم الحصري، صاحب «زهر الآداب»، وأشهر ما عرف له قصيدته «يا ليل الصب» التي عارضها كثيرون في الماضي والحاضر.

والحصري ينتمي إلى مدينة القيروان، وتركها بعد المحن التي حلت بها واستقر فترة من الزمن في سبته، وانتجع بلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية، كما قصد غيره من ملوك الطوائف. وأقام في أخريات حياته بطنجة، وفيها توفي سنة 488 هـ.

وقد عدّه الصفدي في «توشيع التوشيح» «ممن سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (ولا يذكر غيره شيئاً عن صلة الحصري بفرن التوشيح) ونسب له موشحة هي:

مَنْ عُلِقَ الْقُرْطَا فِي أذنِ الشَّعْرَى وَأَلْحَفَ الْمَرْطَا الْعُصْنَ النَّضْرَا⁽²⁹⁾
وهي من غرر الموشحات الأندلسية، على الرغم من ثقل قافية الطاء التي تتخلل كل أفعالها. والمشكلة أن هذه الموشحة وردت بدورها في «جيش التوشيح» منسوبة لابن ارفع رأسه⁽³⁰⁾ وهي بموشحات هذا الأخير ألصق منها بالحصري، الذي لا يعرف له أي إسهام في مجال الموشحات.

● ابن نزار (أبو الحسن):

أحد الشعراء الأمراء، ذكر المقرئ في «النفح»⁽³¹⁾ شيئاً من أخباره، وقال انه «لما انتثر سلك نظام ملك لمتونة- (من البربر المرابطين) تفرق ملك الأندلس رؤساء البلاد، وكان من جملةهم الأمير أبو الحسن بن نزار، لما له من أصالة في وادي آش، فحسده أهل بلده، وقصدوا تأخيرهم عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الأندلس «محمد بن مردنيش»، وانتهى الأمر بأن جيء به وهو في الأغلال إلى مرسية، وأودع السجن ويضيف المقرئ أنه: «لم يزل على حاله في السجن إلى أن تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي أولها:

نَا زَعَاكَ الْبِدْرُ الْيَاخُ
بَبْنُوتِ الْبَدْنَانِ
فَلَمْ يَدْعُ لَكَ اقْتِرَاحُ
عَلَى الزَّمَانِ

وفيهما يقول:

يَا هَلْ أَقُولُ لَأَحْسُوذُ
وَالْعَيْسُ نَحْدَى:
يَا لَأَتَمِي عَلَى السَّارَاحِ
كَأَنْتَ أَمَانِي
أَخْرَجَهَا ذَاكَ السَّمَّاحِ
إِلَى الْعَيْسَانِ

وجعل يليقها على الجارية حتى حفظتها وأحكمت الغناء بها، وأهداها إلى ابن مردنيش بعدما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء غنته بهذه الموشحة...، واتفق أن ظفر بما أوصاها به، وأحسن غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش... وفي بقية الحكاية أنه لما عرف أن الموشحة لابن نزار أمر على الفور بفك قيوده، وقال له: «يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك، مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس لا وادي آش» وقدر لابن نزار أن يتولى الرئاسة من جديد في وادي آش، والياً عن ابن مردنيش.

ويخلو المغرب من ترجمة لابن نزار ولكن ابن سعيد ذكر موشحة جميلة أولها:

اشربْ على نعمة المثاني ثاني

قال إنها «لابن نزار، وتروى لابن حزمون»، وخرجتها:

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ وَالسَّوْدِ عُوْدِي⁽³²⁾

* الأعمى التطليلي⁽³³⁾: (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي):

نشأ بأشبيلية، وفيها عظم شأنه في الموشحات، ويقول ابن سعيد عنه

في «المقتطف»-بعد أن ذكر ابن عبادة القزاز وابن رافع رأسه:

«ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة المثلثين، فظهرت لهم البدائع،

وفرسا رهان حليتهم الأعمى التطليلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد

من أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا

في مجلس بأشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها،

فقدموا الأعمى للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضَا حَا كُ عَنْ جُ مَّانُ

سَا فَرُّ عَنْ بَا دَرُ

ضاقَ عَنِّهِ الزَّمَانُ

وَحَدَّثَنَا وَاهُ صَا دُرِي

(34) خرق ابن بقي وتبعه الباقر.

والحق أن الأعمى التطيلي وصل إلى درجة لا نظن أن واحداً من
الشواحين بلغها من قبله أو من بعده، وربما احتاج الأمر إلى طول تحليل
لكي يبرهن على صحة هذه النظرة، ولكن بحسبنا الآن الإشارة إلى أن
لسان الدين بن الخطيب اختار له تسعة عشرة نصاً بينما لم يختار لأي من
الآخرين أكثر من عشر موشحات (هذا إذا افترضنا أن جيش التوشيح
وصل إلينا كاملاً) وقدّم لموشحات التطيلي بقوله:

«أي آية أعجاز، وتطويل في البراعة وإيجاز، وألفاظ أرق من الهواء، مقسم البدائع بالسواء، من اختراع في الطرائق، والسبك البديع والمعنى الرائق، حتى صار توشيعه مثلاً في سائر الناس. وهاك من توشيعه ما يعرف نسيمه وبروقك»

وقد سلم للتطيلي عدد كبير من الموشحات، يجدها القارئ في ديوانه، (اثان وعشرون موشحاً)⁽³⁵⁾، وترد مبعثرة في مصادر مختلفة، أهمها إلى جانب «جيش التوشيح» مجموعة دار الطراز وبها ست موشحات يرجح أنها للتطيلي (وابن سناء الملك لا ينسب الموشحات التي يوردها ولكن هناك قرائن تدل على أنها من موشحات التطيلي) كما يذكر ابن سعيد بعضاً منه في «المغرب»، ويتفرد «توشيع التوشيح» بإيراد موشحة، «يا نازح الدار سل خيالك».

وأجمل موشحات التظليل هي «ضاحك عن جمان» التي مر مطلعها، وقد وصفها ابن سعيد بأنها «موشحة مشهورة». وهي أول نص يسوقه ابن سناء الملك، وما أكثر ما عارضها الوشاحون على مر العصور. والنص-وموضوعه الغزل-يتدفق في سلاسة وعذوبة ألفاظ وبساطة لا يقدر عليها إلا القليلون. ومنها بعد المطلع:

آه ممّ ا ا ج د

شَفَّنِي مَا أَجْدُ

قام بى وقعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلَمَّا قَالَتْ قَدْ..
 قَالَ لِي أَيُّنَ قَدْ؟
 وَأَنْثَى غُصْنٌ بَانَ
 ذَا فَتْنٍ نَضْرُ
 لَاعِبٍ تَهْ يَدَانُ
 لَصَّابَا وَالْقَطْرُ

ولها خرجة بالعامية. وهناك موشحات لها خرجات بالفصحى، أما موشحة:

دَمْعٌ سَفُوحٌ حَرَارٌ مَاءٌ وَنَارٌ مَا اجْتَمَعَا إِلَّا لِأَمْرٍ كِبَارٍ
 فَانْ خَرَجَتْهَا بَلْغَةُ الرُّومَانِثْ، وَتَرَدَّ فِي «جَيْشِ التُّوشِيحِ» عَلَى هَذَا النِّحْوِ:
 مَا وَالْحَبِيبِ دَمُ صَارٍ فَادَّرَ شَنَارٌ بِنَفْسِ آسَتْ كَسَادَمُو عَارٍ
 وَوَرَدَتْ فِي «عِدَّةِ الْجَلِيسِ»:
 مَوَالِحِيبُ أَنْضَرْدِ ذِي مَوَأْمَرٍ
 كَنْ دَشْتَرِ نَنْفِيسِ أَمْبِي كَسْدِ نَوَلِغَرِ

وترجمها غومث على النحو التالي:
 حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك؟ ألا ترى أنه لن يرجع
 إلي أبداً؟

Mev'1 habib enfermo de meu amar

Que no d'estar ?

Non yes a mib que se ha de no llegar

* الأبيض ⁽³⁶⁾ (أبو بكر محمد بن أحمد، الأنصاري، الاشبيلي):

جاء عنه في «المغرب»-نقلا عن «المسهب»:- أصله من قرية همدان،
 وتأدب باشبيلية وقرطبة، وهو شاعر مشهور.. «قتل على يد أمير قرطبة
 سنة 525 هـ»، أو نحو ذلك. ⁽³⁷⁾ قال لسان الدين بن الخطيب عن موشحاته:
 «.. صقل ألفاظه وجلاء، وهو في التوشيح ابن جلا، فقلد الزمان حليه،
 وأمطر بروض الإحسان وسميه ووليه، فاخترع وولده، واشتمل بالسحر
 وتقلد، ونظم شعره وتوشيحه في قالب الأعجاز» ⁽³⁸⁾

أما ابن سعيد في «المقتطف» فيسوق هذا الخبر:
 «وأخبرني أبو الخصيب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر

لأبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه أحد الحاضرين فقال:
كيف تغض ممن يقول:

مَا لِي شُرْبُ رَاحٍ
عَلَى رِيَاضِ الْأَقْصَاحِ
لَوْلَا هَضِيمُ الْوُشَاحِ
إِذَا انْتَنَى فِي الصَّبَاحِ⁽³⁹⁾ .. الخ

ولعل هذه الموشحة كانت النص الوحيد المعروف من موشحات الأبيض،
قبل أن يزاح النقيب عن مجموعة «جيش التوشيح»، التي تضم عشر موشحات
من نظمه، من أجملها موشحة:

مَنْ سَقَى عَيْنِيكَ كَأْسَ الْمُدَامِ
يَا مَنَى الْمُسْتَهَامِ
رَشَاءُ أَسْهَرْنِي وَهُوَ نَائِمٌ
رَقَ لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَازِمِ
عَجِباً مَنْ دَمَعَهُ وَهُوَ بِاسْمِ
خَنْثٌ يَمْزُجُ تَحْتَ اللَّثَامِ
عَبْرَةٌ بَابِ تَسَامِ

وفيهما مقطع في مدح وزير صاحب قرطبة، والخرجة تأتي هنا-لا على
لسان العاشق أو المحبوبة أو الحمام، بل على لسان مدينة غرناطة:

شَرَفُ الْمَلِكِ بِهِ حِينِ حَاطَةِ
فَشَدَتْ وَجِداً بِهِ غَرْنَاطَةَ
إِذْ تَوَخَّى بِسَوَاهَا ارْتِبَاطَةَ:

كُلَّ يَوْمٍ أَقْرَبِيكَ يَا حَبِيبَ سَلَامٍ

وَنَسِيَّتْ أَنْتَ ذِمَامِ⁽⁴⁰⁾

* ابن رحيم (ذو الوزارتين، المشرف، أبو بكر محمد بن أحمد) ⁽⁴¹⁾

المتوفى نحو سنة 530 هـ:

جاء عنه في «قلائد العقيان»-ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب»-

«رجل الشرف سؤددا وعلاء، وواحدة احتمالا على الفضل واستيلاء.

استقل بالنقض والابرام، وأوضح رسم المجاملة والإكرام» ولا يعرف على

وجه التحديد، تاريخ مولده، أو وفاته، لكن ابن سعيد ذكر له مطلع قصيدة

قالها في مدح تميم بن يوسف بن تاشفين:

على المرهفات البيض والسمر الملد

تدور رحي الملك المتوج بالمحد

وذكر له الفتح في «القلائد» ونقل عنه العماد الأصفهاني في «الخريدة»- قصيدة مدح بها الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة خمس عشرة وخمسمائة وفي «الخريدة» كذلك: «ذكره لي الفقيه أليسع بمصر، قال: أدركته سنة عشرين وخمسمائة»⁽⁴²⁾

وقد عده الصفدي في «توشيع التوشيع» من كبار وشاحي أهل المغرب والأندلس، ولدنا له في «جيش التوشيع» عشرة نصوص تعد من عيون الموشحات من ذلك:

مَنْ صَبَا كَمَا أَصْبُو فَهُوَ لِلصَّبَا نَهْبٌ وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْقَلْبُ
لَوْ أَذَابَكَ الْحَزَنُ مَا حَيَّيْتُ لَا أَسْلُو اقْضِ فِي الْهَوَى عَزْمَكَ
لَا يَضُرُّكَ الْعَمَلُ نَذَلُ

كتمك الهوى حرق هكذا حكّت فرق أنهم متى علقوا
وسباهم الحسن برّحوا به قبل إنني أرى كتمك للهوى هو الدُّلُ
وخرجتها عامية. وهناك موشحتان أخريان تختمان بخرجتين بلغة الرومانث، وقد مهد لأحدهما (موشحة: من لقلبي بإدراك الوصال) بقوله:

وَفَتَاةٌ ذَاتُ حُسْنٍ بَهِيَّةٍ
أَعْرِبْتُ عَنْ مَنْطِقِ أَعْجَمِيَّةٍ
تَلْقَى مَنَعَ الْجَمَالِ السَّنِيَّةِ

لمرنني اوكدش دبيب

حسب سم بغا درد مسيد

ومعظم خرجات ابن رجم تأتي على لسان المحبوبات كما في المثال السابق وكذلك موشحة «نسيم الصبا» وفي خاتمتها يأتي له المحبوب ليغنيه:

لَأَيِّ قِصَّةٍ تَبَيْتُ وَحْدَكَ وَأَنَا وَحْدِي

كما بتَ عندك حتما تبیت عندي⁽⁴³⁾

ابن باجة (أبو بكر محمد بن الحسين، و يسميه الأوروبيون Avenpace المتوفى في سنة 533 هـ)⁽⁴⁴⁾

قال عنه ابن سعيد في المغرب: «فيلسوف الأندلس وأمامها في الألحان..

أطنب في الثناء عليه صاحب المسهب والسمط، وكان جليل المقدار، وقد استوزره أبو بكر بن تيفلويت ملك سرقسطة، وأكثر ابن باجة من رثائه وغنى بها في ألحان مبكية».

وليس في «المغرب» إشارة لعلاقة ما بين ابن باجة والموشحات، وقد جاء في «المقتطف» ونقل عنه ابن خلدون والمقري:-

«وكان في عصره (يعني عصر ابن بقي) من الوشاحين المطبوعين، وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَرَّرَ الذَّيْلَ أَيْمًا جَرَّ
وصل السُّكْرَ مِنْكَ بِالسُّكْرِ

طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عَقَدَ الْإِلَهَ رَايَةَ النَّصْرِ

لَأَمِيرِ الْعُلَى أَبَى بَكْرٍ

صاح: واطرباه، وشق ثيابه، ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلفه بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، خاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه» (45)

والمشكلة أن هذه الموشحة ترد في «جيش التوشيح» (46) منسوبة لأبي بكر يحيى الصيرفي، وزير صاحب غرناطة، وربما قيل أن كلام ابن سعيد أرجح، على اعتبار أنه سبق زمناً من لسان الدين بن الخطيب، وأن ابن باجة توفي سنة 533 هـ بينما توفي ابن الصيرفي بعد هذا التاريخ بربع قرن تقريباً، ومع ذلك فإنه ليس من اليسير الجزم بشيء في هذا الصدد، لأننا لا نجد لابن باجة موشحات غير هذا النص، ولأن عبارة ابن سعيد نفسها فيها قدر من الإبهام، إذ لا تتحدث عن ابن باجة كمؤلف للموشحة، بل تقول إنه علم قينات ابن تيفلويت إنشادها، فكان ما يثبت من العبارة أن ابن باجة وضع لهذه الموشحة لحناً، ويبقى التساؤل قائماً بلا جواب عن واضع الموشحة نفسها.

ونضيف في النهاية أن ابن باجة ينعت في بعض المصادر بابن الصايغ (47) فهل للتشابه بين (ابن الصيرفي) و (ابن الصايغ) أثر في الخلط بينهما؟ خاصة وأن اسم الأول (أبو بكر يحيى بن محمد) والثاني (أبو بكر محمد بن

(يحيى)؟

* الكميت (48) (أبو عبد الله ⁽⁴⁹⁾ محمد بن الحسن البطليوسي): له في «جيش التوشيح» عشر موشحات، من أشهرها:

سَرَى طَيِّفُ الْخَيْالِ
مَنْ أَمْ جُنْدٌ نَنْدُبُ
وقد جاء منها في «المغرب» قسم لا بأس به.

وجل موشحات الكميت تدور حول موضوعات الحب والمديح، وإن كان الوصف يستغرق معظم موشحاته:

لَاخَ لِّلرَّوْضِ عَلَى غَرِّ الْبَطَاحِ
زَهْرُ زَاهِرُ زَاهِرُ
وثنَا جِيداً مَنْعَمَ الْأَقَاخِ
نَوْرُهُ الْبَنَانُضِرُ
زَارَنِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ
أَرْجُ عَطَا طَرُ

ولكنه ينثني بعد الوصف إلى الدعوة للشراب من سلافة دنان:

كَأَنَّهَا مَبَسَمُ طُفْلَةٍ رِدَاخِ
نَاعَمُ الْقَدِّ
تَمَزَّجُ الرَّاخَ بِرِيقِهَا الْقُرَّاخِ
شَيْبُ الْبَالِ شَهْدِ
وَفَتَاةٌ فَنَنْتُ بِحُسْنِهَا
وَتَثْنِي هَا
تَشْتَكِي طَوْلَ جُفَاءِ خَدْنِهَا
حِينَ يُؤْذِي هَا
وَتُغْنِي بِرَفِيعِ لَحْنِهَا
وَمَغَانِي هَا
ذَبْتَ وَاللَّهِ اسَى (50) نَطَاقُ صِيَاخِ
قَدْ كَسَّرَ نَهْدِي
وَعَمَلُ لِي شَفِيفَاتِي جَرَاخِ
وَتَثْنِي عَقْدِي

وتأتي الخرجة في بعض الأحيان بلغة الرومانث، مثل قوله في موشحة
«لواظ الغيد»:

لا كان في بون أسى مرور

بـ

الوذ سم نون مومر زير

يـ

وموشحات الكميت مفعمة بالحيوية والرشاقة، و بخاصة في خرجاته
التي تذكر من بعض الوجوه-بحيوية أزجال ابن قزمان، وقدرته على التقاط
الأشياء الصغيرة الموحية.

● ابن بقى ⁽⁵¹⁾ (أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن):

وتختلف المصادر في تحديد بقية اسمه، كما تختلف في ذكر البلد الذي
ينسب إليه، ففي «المطمح» و «الذخيرة» و «الوفيات» و «معجم الأدباء» انه
قرطبي، ونسبه الحافظ السلفي إلى سرقوسة، وفي «المغرب» و «التكملة»
أنه من طليطلة، أما ابن الزبير صاحب «صلة الصلة» فينسبه إلى «وادي
آش» (Gaudix). وتعليل ذلك أن ابن بقى ما كان يستقر في مكان. وقد وصفه
صاحب «القلائد» بأنه «ضفا عليه حرمانه، وما صفا له زمانه، فصار قعيد
صهوات، وقاطع فلوات، مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب دهر كواهي
الجمان» ⁽⁵²⁾. وتوفى ابن بقى سنة 540 هـ أو نحو ذلك ⁽⁵³⁾.

ولدينا من شعر ابن بقى قدر لا بأس به، يصلح أن يجمع في ديوان، أما
موشحاته فكانت كثيرة للغاية، وفي «الخريدة»-نقلا عن ابن بشرون صاحب
«المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر»-وهو مفقود-أن «جل شعره
من التوشيح، وله ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة، ومثلها قصائد ومقطعات
منقحة» ⁽⁵⁴⁾ ويقول لسان الدين بن الخطيب عن موشحات ابن بقى:

«رب الصنعة ومالكها وناهج الطريقة المثلى وسالكها. أكثر فأجاد، وتقلد
ذلك الصارم المحلى والنجاد، بما اخترع فيه من الشعر وابتدع.. وكثرة
توشيعه وإحسانه في تنميق الكلام وتوشيعه».

وقد تحدثنا من قبل عن مكانة الأعمى التطيلي في الترشيح، و ينبغي
أن نقول هنا إن منزلة ابن بقى لا تقل عن منزلة التطيلي، وقد بلغا معا (ومن

بعدهما ابن زهر، وسيأتي) درجة عالية من السلاسة والرفقة والموسيقية والصفاء.

ولم يصل إلينا من موشحات أبي بكر بن بقي إلا شيء يسير وضاع-إذن- الجانب الأكبر من آثاره (وإن كنا لا نكاد نصدق قول ابن بشرون، فما نظن أن شاعراً بعيته يمكن أن يؤلف ثلاثة آلاف موشحة) وترد معظم الموشحات في «دار الطراز» (عشر موشحات) و «جيش التوشيح» (عشر موشحات، عدد منها مما جاء في الدار)، ولم يجيء له في «المغرب» إلا قسم من موشحه «ما الشوق إلا زناد» وعلق د. شوقي ضيف بهامشها: «يبدو من نهاية هذه الموشحة أن خرما تلاها، سقطت فيه بعض الموشحات لابن بقي»⁽⁵⁵⁾ وهو افتراض نأخذ به، لأننا لا نتصور أن ابن سعيد يكتفي بأن يورد قسماً واحداً من موشحة لابن بقي وهو من هو شهرة وأصالة.

ومن موشحات ابن بقي التي تجيء في «دار الطراز» واحدة أولها:

أعجب الأشياء رعيي ذمامَ مَنْ أبى الرّعياءِ وَشَاءَ حمامي
تَمَّ مَا قَدَّ تَمَّ
مَنْ حُبِّ المِلاخِ
ليس من تُيِّمَ
كَمَنْ هَوَّصَاخِ
مَا تُرَى أسَا مَ
مَنْ مَرَضَى صَحَاخِ
فَوَقَّتْ أسهُ مَ
لَا حَيْنَ المِتَاخِ

والخرجة معربة:

إِنَّمَا يَحْيَى سليلُ الكرامِ واحدُ الدُّنيا ومعنى الأنام⁽⁵⁶⁾
ومن موشحاته الأخرى الشهيرة: «مالي شمول» وموشحة:

لَسْتُ مَنْ أَسْرَهُوَائِكَ مُخَلَّأً
إِنْ يَكُنْ ذَا مَا طَلَبْتُ سَرَاخاً⁽⁵⁷⁾

وجعل خرجتها بيتاً لابن المعتز:

عَلَمُونِي كَيْفَ أَسْلُوْا
فاحجُّبوا عَنْ مَقَلَّتِي المِلاخاً

وقد عارضها كثيرون. ومن أجمل موشحاته مما يرد في «جيش التوشيح»:
ساعدونا مصبحينا نرتشفها قد ظمينا كضار في لجين نغم أجر العالمينا
وأجمل ما فيها خرجتها، وهي غير معربة، يقول فيها العاشق لمجرد
إقلاق الحسود:

قد لبينا وابتلينا واش يقول الناس فينا قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا
وهناك موشحة مشهورة مطلعها:

أعيا على العود زهين بلبال مؤرق.. الخ
وخرجتها:

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلعه العرب فأرنا مثله يا مشرق

وقد جعلها صاحب «جيش التوشيح» ضمن موشحات الأعمى التطيلي،
أما ابن سعيد فيجعلها لأبي بقى. (58)

● المرسى الخباز (أبو الوليد يونس بن عيسى):

شاعر وشاح، لا يكاد يعرف عنه شيء، قال عنه محقق جيش التوشيح:
«لا توجد له ترجمة في أي مرجع مطبوع-على ما نعلم-ويستنتج من الترجمة
الفريدة التي أثبتتها ابن الخطيب في جيش التوشيح هذا أن أبا الوليد لم
يتلمذ على أحد، ولا اختلف إلى مدرسة..»

وقد ورد ذكر هذا الشاح في كتاب المطرب عرضا، إذ ذكره ابن دحية
ضمن من قرأ عليهم الوزير الشاعر محمد أبي العافية الأزدي القتندي
الغرناطي⁽⁵⁹⁾ و«في» زاد المسافر «بعض مقتطفات من شعره. والنبذة التي
جاءت في «جيش التوشيح» لا تقدم شيئا ذا بال، سوى أن المرسى الخباز
أديب من عامة الشعب علم نفسه بنفسه، حتى «عذب سبكه وراق ترصيعه
وحبكه مع طبع في نظم الكلام سيال... والذي حداه الاختراع والتوليد...
ذكاء أرهف فؤاده، وأقام في البديهة مناده».

وذكر لسان الدين بن الخطيب له عشر موشحات لعل أجملها موشحته:

من لي بظبي ريب يسطو بأسد الغياض لوى بديني لما أملت للتناضي
وترد بدورها في مجموعة ابن بشرى «عدة الجليس»⁽⁶⁰⁾ وتدور كلها

حول موضوع الغزل وتختتم بـ:

لَا إِلَهَ ظَنُّبِيَّةُ
 قَدْ رُوعَتْ بِالْفَرَقِ
 بَنَتْ ثَلَاثَ وَعَشْرَ
 تُسَيِّلُ دَمْعُ الْمَاقِي
 تَقُولُ فِي حَالِ سُكْرِ
 لِأَمَّهَا فِي اشْتِيَاقٍ⁽⁶¹⁾

يامم مو الحبيب تيبش أن نرتباض غار كفري يامما أنن يجنال للشاض⁽⁶²⁾
 وموشحات المرسي الخباز مفعمة بروح التدفق والعذوبة، وهي لا تقل
 في انسجامها عن أعمال مشاهير الوشاحين.

● ابن ينق (أبو عامر، محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة، الطبيب،
 الوزير)⁽⁶³⁾:

أحد الشعراء العلماء من أهالي شاطبة جاء عنه في «التكملة» أنه تلقى
 العلم في قرطبة، ومال إلى الأدب، والعربية، والعروض، فمهر في ذلك، و
 بلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر، ولقي أبا العلاء ابن زهر، فلامزه
 مدة، وأخذ عنه علم الطب. وفي «الخريدة»:

«قال أليسع: طبيب كاتب شاعر، وأنا أروي عنه شعره كله وأجازني،
 ومصنف «القلائد» وصفه بالذكاء الباهر، والذهن الزاهر، والفهم الحاضر
 وحدة القريحة والخطر»، وتوفي ابن ينق سنة 547 هـ.

أما في مجال الموشحات فإن الصفدي عده ممن «سبق إلى التوشيح،
 وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»⁽⁶⁴⁾ (ولكن أعماله في هذا المجال ضاعت
 ولم تحفظ منها إلا عشرة نصوص ضمنتها مجموعة «جيش التوشيح» ومن
 غريب الأمر أن ابن الخطيب صدرها بقوله:

«وشعره رائق المحيا والأقسام، مسفر عن المعاني والوجوه الوسام، إلا
 أنه قليل المادة في التوشيح، يسير السبك له والتوشيح» والذي نظنه أن
 موشحات ابن ينق فيها الطواعية والتناسق والعذوبة، فن ذلك:

يا حادي العيس بالرحال عَجَّ بِالطَّلُولِ وَسَلَّ بِهَا بِالْأَرْبَعِ الْبَوَالِي أَيْنَ الْخَلِيلِ
 حُثَّتْ بِهِ الْبُزْلُ وَالْعِشَارُ

يَوْمَ الْفَتْحِ

يَا هَلْ لَهُ الْعَقِيْق دَارُ
 أَم بِبَابِ الْوَاقِعِ
 أَمْنَهُ بِالْوَابِلِ الْقَطَارِ
 حَيِّثُ ثَوِي
 وجادُهُ الْعَيْثُ بَانِهْمَالِ كُلِّ أَصِيلٍ يَحْدُوهُ مِنْ نَفْعَةِ الشَّمَالِ رِيحُ أَصِيلٍ
 والموشحة-من مستهلها إلى نهايتها-يسيطر عليها جو عذري بدوي شفيف.
 والمحوظ أن خرجة موشحة «شم ذائب العسجد»
 أما ترى السيّد في المَرْتَقَى الْعَالِي لَا يُلْحَقُ
 كَانَ لَهُ الْعَرَبُ إِذْ حَارَ كُلُّهُ وَالْمَشْرِقُ
 تتشابه وخرجة موشحة «أعياد على العود» التي تنسب في العادة لابن
 بقى (56) وجعلها صاحب «جيش التوشيح» للأعمى التطيلي.
 * ابن سعيد (أبو جعفر أحمد بن عبد الملك) المتوفى سنة 550 هـ (66):
 هو عم علي بن موسى بن سعيد مؤلف «المغرب» وكان أديباً شاعراً، ولاء
 عثمان ابن عبد المؤمن الوزارة، ثم قتله لما كان من اشتراكهما في حب
 حفصة الشاعرة، وانتهز ابن عبد المؤمن فرصة فرار عبد الرحمن (شقيق
 أبي جعفر بن سعيد) إلى ابن مردنيش ملك شرق الأندلس، فضرب عنقه.
 وله في «المغرب» مرشحة وصف فيها حور مؤمل، وهو من متنزهات
 غرناطة، وأول الموشحة:

ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
 فَضْضَةُ النَّهْرِ
 أَيَّ نَهْرٍ كَالْمَدَامِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامِ
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
 وَثَنَتْ لَهَا غُصْنُ لَامَةٍ
 فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّقِيلِ
 حُفَّ بِالْأَسْمَرِ
 وقد مزج فيها المؤلف الوصف بالحديث عن الشراب ثم انتهى إلى ذكر
 المحبوب:

وَعَدَ الْحَبَّ فَأَخْلَفَ

واشتهى المَطْلَ فسوَفَ
ورسولي قد تعرَفَ
مننه ما أدري فحرفُ:
بأله قُلْ يا رسولي
لش يغيب بدري؟

● ابن هانئ الأصغر (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي): ذكره الصفدي في «التوشيح»⁽⁶⁷⁾ من بين مشاهير وشاحي الأندلس، أما العماد الأصفهاني فإنه تحدث عنه في القسم المصري من «الخريدة» وقال إنه «معروف بالانظم المذهب وتوفى في آخر أيام الصالح بن رزيك، قبل سنة ستين على ما سمعته من المصريين، وطالعت ديوانه بمصر»⁽⁶⁸⁾، ولم يؤرخ له الصفدي في «الوافي» كما لم يذكره القفطي في «المحمدون من الشعراء»، ولعله ممن هاجر من أهل الأندلس إلى مصر.

ورجح الزركلي⁽⁶⁹⁾ أنه توفى نحو سنة 555 هـ، وهو ترجيح مقبول.
* ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى الأصغر) المتوفى سنة 555 هـ⁽⁷⁰⁾:

أحد مشاهير الأدب الأندلسي وفيه يقول ابن سعيد في «المغرب»: «إمام الزجالين بالأندلس. وذكر الحجاري أنه كان في أول شأنه مشتغلاً بالانظم المغرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس».

ووصفه المقرئ بـ «صاحب الموشحات»⁽⁷¹⁾ ولعله كان يعني «الأزجال» لأنها الفن الذي اشتهر به ابن قزمان، ومن جانب آخر فإن مفهوم الموشح سيختلط في بعض الأحيان بمفهوم الزجل في العصور المتأخرة وسنرى أن المقرئ يصف الزجال مدغليس قائلاً إنه «صاحب الموشحات» كما أن الحلبي في (العاطل الحالي) يقول إن أهل العراق لم يكونوا يميزون بين الموشحات والأزجال وفيه أن ابن قزمان:

«نظم موشحة معربة خمسة أبيات، وأثبتها في ديوانه، ولم يسلم له منها بيت من الترقيم (أي وجود كلمات غير معربة في ثنايا الموشحة) والموشحة

المقصودة تبدأ بـ:

مَعَشَرَ الْعُدْلِ * بِي مَنْ الْأَقْمَارِ * أَغْصَنُ مِيَادَةً * مَسَنَّ فِي أَكْفَالِ
 قَدْ جَنَّبَنِي مَن لَّامَا
 كُلَّ عَمَانٍ صَابَّ
 بِبُيُودِهَا مَا
 طَالَعْتُ فِي قُضْضِ
 مَن قُودِهَا مَا
 فِي هَوَاهَا قُلُوبِي

رَبَّةُ الْخَلْخَالِ قد براها الباري لَعْدَابِي غَادَةً هَيَّجَتْ بَلْبَالِي
 وهذه الموشحة ذات خرجة غير معربة، ويقول الحلي إن كل بيت فيها لم
 يخل من التزنيـم والألفاظ الزجلية، وهو غير معذور فيها، والبيت الذي
 أوردناه «فيه لفظة ذا ما يريد بها إذا ما، وهي زجلية لا تجوز في الموشح
 أبداً وربما لم يكن هذا بالعيـب الخطير لو أن هذه الموشحة المنسوبة لابن
 قزمان قد حفلت بما في أزجاله من حيوية وعدوبة وظرف نفتقده في هذه
 الموشحة.

● مدغليس (عبد الله بن الحاج) المتوفى سنة 555 هـ (72):

نعتـه المقري في «النفع» بـ «صاحب الموشحات» ولا يستبعد أبداً أن يكون
 صواب النعت «صاحب الأزجال» فهذا هو الفن الذي برز فيه مدغليس
 والمقري نفسه يقول:

«وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة
 ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين
 بمنزلة المتبـي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع
 والصنعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغليس ملتفت إلى اللفظ.
 وكان أديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل
 أنجب اقتصر عليه» (73).

وكان لمدغليس أزجال رآه الصفي الحلي ونقل عنه عدداً من الشواهد
 أودعها «العاطل الحالي» كما جاء بعضها في سفينة ابن مباركشاه (74) وفي
 «المغرب».

ولا نعرف معنى كلمة مدغليس، والحلي يزعم أنها اسم «مركب من كلمتين، أصله: مضغ اللبس، والجمع ليسة، وهي ليقة الدواء، وذلك أنه كان صغيراً بالمكتب ي مضغ ليقته، فسمى بذلك، ولسان المغاربة والمصريين يبدلون الضاد دالاً»⁽⁷⁵⁾

- ابن مسلمة القرطبي (أبو الحسين) ⁽⁷⁶⁾ المتوفى سنة 585 هـ
- ذكر ابن سعيد في «المغرب»: >«وله رسائل وموشحات وأزجال» ولم يصل إلينا من موشحاته. إلا قطعة من موشحة في وصف وادي رية (قرب مالقة)، أولها:

بِوَادِي رَيْة
اخْلَاعُ عَذَارِ التَّصَابِي
أَمَّا تَرَى مُفْرَع
مِثْلَ الصَّبَاحِ الْمُرْصَعِ
بِالرَّوْضِ عَادَ مُجَزَع
سُقَاهِ رَيْة

من صفو ماء السحاب
وهناك بعد الوصف مقطع خمري، ثم تأتي الخرجة، على لسان هذا الشادن (حلو الهوى متماجن) الذي:

يُنَادِي سَيِّدَةً
يَا عَمَّ احْرُزْ ثِيَابِي
وَقَسْرَ ابْنِ سَعِيدِ النَّدَاءِ بِأَنَّهُ «مِنْ اصْطِلَاحِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ يَسْبَحُونَ
هَذَاكَ».

- ابن الصيرفي ⁽⁷⁷⁾ (أبو بكر يحيى بن عمد بن يوسف الأنصاري)
المتوفى سنة 557 هـ:

ذكره ابن سعيد في «المغرب» تحت اسم أبو بكر يحيى بن الصيرفي المؤرخ الغرناطي، وأضاف: «أخبرني والذي أن له تاريخاً ومرشحاته مشهورة..» وأشار ابن الأبار في «التكملة» إلى تاريخه هذا الذي وضعه في ذكر الدولة اللتونية.

أما لسان الدين بن الخطيب في «الجيش» فيلقبه بـ «الوزير» إذ كان من كبار رجال دولة اللمتونيين (المرابطين) وقال إن «له في الدولة اليوسفية مدائح لاخصاصه بأربابها وتعلقه بأسبابها»⁽⁷⁸⁾ وذكر له عشر موشحات، هناك اثنتان منهما محل خلاف، الأولى وأولهما:

جَزَرَ الذِيلَ أَيَّ مَجَرٍّ

وصل السُّكَّرَ مِنْكَ بِالسَّكَّرِ

فقد جعلها ابن سعيد في «المقتطف» (ومن نقل عنه كابن خلدون والمقري) للفيلسوف أبي بكر بن باجة⁽⁷⁹⁾ والثانية موشحة:

شَقَّ النَّسِيمُ كَمَامَهُ

ونسبها الصفدي في «الوافي بالوفيات»⁽⁸⁰⁾ لابن اللبانة.

ومن موشحات ابن الصيرفي واحدة تتضمن مديحا في تاشفين وأولها:
رَوْضَةُ زَبَرْجَدِيَّةٍ وَنَسِيمٌ يَبْجَحُزُّ فِي غَلَائِلِ نَدِيَّةٍ أَشْرَبَتْ مَسْكَاً وَعَنْبَرٌ
سُحَّابٌ مِّنْ لَّا زَوْدٍ

وَبُورُوقٌ مِّنْ نَّضَارٍ

كَلَامًا أَتَتْ بِوَعْدٍ

كُحِّلَتْ بِمِثْلِ نَارٍ

فَبَكَتْ مِّنْ مَّاءٍ وَرَدٍ

فِي خُدُودِ مَنْ بَهَارٍ

ولا يكاد يمضي فيها قليلا في الوصف حتى ينفلت منه إلى المديح الذي يمتد إلى نهاية الموشحة:

فَانْبَرَى الْكُلُّ يَنْادِي

وَصَفَّ مَرَأَةَ الْجُمَيْلِ

يَا حَمَى الْمُلِكِ عَشِيَّةٍ وَعَلَى الْجَوَادِ الْأَشْقَرِ غَرَّةُ الشَّمْسِ الْمُضِيَّةِ

تاشفين الله أكبر

ومن موشحاته الجميلة موشحة «طلعت من مباسم الزهر» وكلها تدور حول الغزل (في المذكر) وفي خاتمتها:

قَدْ دَعَانِي إِلَى الْهَوَى دَاعِي

فَأَجَبْتُ الْهَوَى

أَمَنْ أَلَهُ كُلُّ مَرْتَعٍ
مَنْ حُـالُولُ النُّـوَى
أنت يا مهجتي به همت فاجملي⁽⁸¹⁾ واصبري ثم يا عين أنت أبصرت
فادمعي واسهري

● عصا الأعمى (أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي):
ينسب إلى قرية منيش، من كورة اشبيلية، ولقب بعصا الأعمى لأنه كان
يقود الأعمى التطيلي.
أرخ له كثيرون، منهم ابن دحية في «المطرب» وابن سعيد في «الرايات»
وفي «المغرب» والفتح بن خاقان في «المطمح» وقال عنه إنه «لم يزل يعيشو
لكل ضوء، وينتجع مصاب كل نوء، فيوما يخصب ويوما يجذب، وآونة يفرح
أخرى ينتدب.. وما تصوف إلا في أنزل الأعمال ولا تعرف إلا بأخون العمال..»
له أدب ولسن ومذهب فيهما يستحسن، لكنه نكب عن المقطع الجزل، وذهب
مذهب الهزل... وليس من شرط كتابي هذا إثبات بذائه، ولا أن أقف
حذاءه..»

وقد قرأ د. الكريم صاحب «فن التوشيح» هذه الجملة فرأى أن الفتح
ابن خاقان لمح فيها «للموشحات تلميحا خفيفا فيه كثير من الاستهانة
والتحقير»⁽⁸²⁾ وما نظن أن للعبارة صلة بالموشحات، بل جاءت تبرما بما في
شعره من فحش ومجون وتصريح ولو أن الأمر على ما ظن د. الكريم
لوجدنا في «المطمح» و «القلائد» عبارات من هذا القبيل عن الوشاحين
الآخرين، ولكن ابن خاقان يتحدث في كتابيه عن كبار الوشاحين فيذكرهم
بالتقدير (وإن لم يورد شيئا من موشحاتهم) وقد ذكر في «القلائد» ابن بقى
فقال فيه «رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض»⁽⁸³⁾،
وذكر عن الأعمى التطيلي شيئا يشبه ما قال عن ابن بقى.⁽⁸⁴⁾

وتحدث لسان الدين بن الخطيب في «الحيش» عن موشحات المنيشي
حديثا يفيض بالإعجاب، أوضح فيه أنه اقتفى آثار أستاذه الأعمى التطيلي،
حتى «كاد يدرك شأوه» وذكر له عشر موشحات (ولعله المصدر الوحيد
المعروف، الذي يحتفظ بموشحات له) وما نظن إلا أن ابن الخطيب بالغ في
تقدير مكانة موشحات المنيشي هذا، وهناك فارق كبير بينها وبين موشحات

الأعمى. ومن أحسن ما وقع له قوله:

يا قَمَرًا للعاشقين وهو تَمَّ يُعْصَى النَّصِيحُ وَيُذَمُّ
لـا هـ مـا أـبـدي
وأعـيـد
مـن لـوعـة تـعـدي
وتـزـيـد
فـي رـشـأ يـروى
مـن يـريـد

● ابن غرلة (٩):

شاعر مجهول لا يعرف عنه إلا ما جاء في «العاقل الحالي:

«كان ابن غرلة الشاعر المغربي، وهو من أكابر أشياخهم، ينظم الموشح والزجل والمزمن، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل، تقصداً منه واستهتاراً ويقول إن القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكان الوزير (!) ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك، ولهذا لم يثبت شيئاً من موشحاته في «دار الطراز»، فمن موشحاته المزمعة الموشحة الطنانة المشتهرة الموسومة بالعروس، التي نظمها عند عشقه رميلة أخت عبد المؤمن الأموي (!) (يقصد عبد المؤمن الكومي خليفة الموحدين) ملك الأندلس، وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه اجتماعه بها، والواقعة مشهورة، وكان حسن الصورة جميل القدر، ذا عشيرة، وكانت هي أيضاً جليلة القدر، جميلة الخلق، فصيحة اللسان، تنظم فيه الأزجال الرائقة الفاتقة» (85)

وذكر قسماً من موشحة أولها:

مَنْ يَصِيدُ صَيْدًا فليَكُنْ كما صَيَّدي صَيْدي الغزالة من مراتع الأسد
ويضيف الحلي «أنه لما أخرجه الملك ليقبله، نظر إلى الناس وارتجل بيتاً في الوزن، يستجد به عشيرته لأخذ ثأره:

خـدـهـا الأـسـيـلُ
بـدَّتْ مـنـه أنـوارُ
طـرْفُها الكـحـيلُ
سُـلِّ مـنـه بـتـارُ

هـَا أَنَا الْقَتِيلُ
فَهَلْ يُؤْخَذُ الثَّارُ
قد أسرتُ عبداً ولم أكُ بالعبد متُّ لا محالة فاطلبوا دمي بَعْدِي

وواضح من عبارة الحلي أنه يشير إلى قول ابن سناء الملك في «دار الطراز» عند حديثه عن القفل المركب من سبعة أجزاء: «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون، واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح إلا الخرجة خاصة، فلهذا لم نورد مثاله»
وقد لوحظ أن القفل في الموشحة التي أوردها الحلي يتألف من أربعة أجزاء لا سبعة، واستنتج د. الاهواني أن حديث الحلي عن الزجل الأندلسي «يفتقر إلى كثير من الدقة وينبغي أن يؤخذ بكثير من الحذر»⁽⁸⁶⁾ أما د. الكريم فيرى أن حديث الحلي عن ابن غرلة يدل على أنه يتحدث عن شيء يعرفه حق المعرفة⁽⁸⁷⁾ لكن المحير أن المصادر لا تذكر شيئاً عن ابن غرلة هذا، ولا يخفى أن حكاية إخراجه لقتله، وارتجاله بيتاً على نفس الوزن، واستنجاهه بعشيرته للأخذ بثأره، مما يغري بالشك في صحة ما جاء بكتاب «العاطل الحالي» عن ابن غرلة هذا.

● اليكي (أبو بكر يحيى بن سهل):⁽⁸⁸⁾

يوصف بـ «هَجَاءِ الْمَغْرِبِ»، وقال عنه صاحب «المسهب»: «ابن رومي عصرنا وخطيئة دهرنا، لا تجيد قريحته إلا في الهجاء». وجاء في «الخريدة» أنه توفي سنة ستين وخمسمائة.

ولسنا نملك من موشحات اليكي شيئاً، وفي «المغرب» موشحة أولها:

مَا لِبَنَاتِ الْهَدِيدِ
مَنْ فَوْقَ أَغْصَانِ
هَيَّجْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ
شَوْقِي وَأَحْزَانِي

ذكر أنها «موشحة لابن المريني، وتروى لليكي».

● ابن مهلهل (أبو الحسن علي الجلياني):⁽⁸⁹⁾

في «المغرب» قطعة من قصيدة له مدح بها أبا بكر بن سعيد، صاحب

أعمال غرناطة في مدة المثلثين، وذكر جزءاً من موشحة له يقول فيها:

النَّهْرُ سَلَّ حُسَامَا
عَلَى قُدُودِ الْغُصُونِ
وَالنَّسِيمُ مَجَالٍ
وَالرُّوضُ فِيهِ اخْتِيَالٌ
مُدَّتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ
وَالزَّهْرُ شَقَّ كَمَامَا
وَجَدَّ بِتِلْكَ اللَّحُونِ

وبقيتها في الوصف، وهي تمضي على هذا النسق المفعم بالنغم والبساطة، والصور الفنية الرقراقة.

● الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) المتوفى سنة 560 هـ الجغرافي الشهير صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» انظر ما بعده:

● اليتربي (محمد بن محمد، القرطبي)⁽⁹⁰⁾

جاء عنه في «الخريدة» أن معظم ما يذكره ابن بشرون في «المختار» من أخبار متعلقة بالأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في صقلية «لمتلكها رجار الإفرنجي (وَأَلَفَ لَهُ) فِي مَسَالِكِ الْأَرْضِ وَمَمَالِكِهَا كِتَابًا كَبِيرًا أَسْمَاهُ نَزْهَةُ الْمَشْتَاقِ فِي مَخْرَقِ الْآفَاقِ.. ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني في الشعر.. لاسيما في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح، فإنه حاذق زمانه، وسابق ميدانه»

وقد قرأ شترن⁽⁹¹⁾ الفقرة السابقة فاستدل منها على أن المقصود هو الشريف الإدريسي صاحب «نزهة المشتاق» وأما محققا «الخريدة» فإنهما يشيران إلى أن ترجمة هذا الشاعر (محمد بن محمد، القرطبي اليتربي) مضطربة في الأصل، و يبدو من ثناياها أنها للشريف الإدريسي، وإن كانت المصادر لا تسميه باليتربي والقرطبي.

والمحوظ أن المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق يتخللها نقص بعد عبارة (لمتلكها رجار الإفرنجي) مما يرجح احتمال أن يكون «اليتربي»

غير الشريف الإدريسي.

● ابن الزيتوني (علي): (92)

نقل العماد عن ابن بشرون إنه «صاحب توشيع وتوشيح، وتقصيد وتطليع».

● ابن الهازي (إبراهيم): (93)

جاء في «الخريدة» نقلاً عن ابن بشرون أنه «صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصد»

● المرسى (أبو بكر): (94)

نقل العماد عن ابن بشرون أنه «من اشبيلية، وأقام بمرسية فنسب إليها، وله يد في التوشيح قوية».

● ابن حمديس (95) (عبد الجبار، أبو محمد، الصقلي) المتوفي سنة

:527

شاعر صقلية الشهير، وله ديوان طبع أكثر من مرة، ولا يضم كل شعره، وليست فيه موشحات كما إن المصادر لا تعدّه من بين أصحاب التوشيح، لكن الصفدي في «التوشيح» عدّه من المبرزين فيه.

● ابن شرف (أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل):

سليل أسرة أسهمت أيما إسهام في الأدب، فجده (أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني) كان أحد أعلام المغرب هو وابن رشيق، وكانا متعاصرين، فلما خربت القيروان اتجه إلى الأندلس، وبها توفي سنة 460 هـ، ووالده (أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن شرف) كان من الشعراء المجودين في بلاط المعتصم بن صمّاح، وقد ترجم له كثيرون منهم ابن سعيد في «المغرب» والفتح في «القلائد» وابن دحية في «المطرب» الخ... وتوفي سنة 534 هـ (96) وأما أديبنا هذا فتأتي عنه نبذة في المغرب هي: «أخبرني والدي: أنه كان فيلسوفاً أديباً، ومن «السمط»: ذو السلف والشرف، والنخب والطرف. وذكر أنه اعتبط شاباً، وانشد له (97) ثم أورد نماذج من شعره، وموشحة

كاملة له، هي التي مطلعها:

يَا رِبَّةَ الْعُقَّةِ
مَتَى تُقَادُ
بِالْأَنْجَمِ الْزَهَرِ
ذَاكَ الْمَقَّةِ أَدُ

وما تعرضنا له بهذا القدر من التفصيل إلا لأن بعض المراجع اضطرب في شأنه، فن ذلك ما يقوله هلال ناجي في التعليق على ابن شرف (أبي عبد الله بن الوزير أبي الفضل بن شرف):

«بالنسبة لهذا الوشاح توجد عدة ملابسات في ترجمته، فالذي اختار له ابن الخطيب في جيش التوشيح هو أبو عبد الله ابن الوزير أبي الفضل بن شرف، وقد ذكره بكنيته ولم يذكر اسمه. واسمه-فيما توصلنا إليه محمد... فوشاحنا إذن هو حفيد ابن شرف، ومن بيت علم وشعر. والمشكل بالنسبة له أن المصادر التي بين أيدينا تترجم لأبيه وجده ولا تأتي على ذكره إلا لماما... أما موشحاته فقد ضاعت ولم يبق منها سوى قطعة من توشيح أوله:

عُقَّةُ أَرْبِ الْأَصْدَاغِ
فِي سَوْسَنٍ غَضِضِ

ذكرها المقرئ في نفع الطيب ولم ينسبها له...» (98)

وفي حسابنا أن الأمر لا يحتمل ملابسات ولا مشكلات، فكلام لسان الدين ابن الخطيب في أنه يعني ابن شرف (الحفيد)، وقد صدر ما اختار من موشحاته ب: «الوزير الكاتب أبو عبد الله، ابن الوزير الحكيم ذي المعارف أبي الفضل ابن شرف رحمه الله» (99) وفيما يبدو أن هلال ناجي غاب عنه ما جاء في «المغرب» عن وشاحنا، بدليل أنه لم يشر إلى كتاب ابن سعيد هذا وهو يتحدث عن ابن شرف، وبدليل عدم التفاته إلى أن موشحة «يا ربة العقد» تجيء كاملة في «المغرب» واشهر موشحات ابن شرف تبدأ ب:

عقارب الأصداغ في سوسن غضض تسبى تقى من لاذ بالفقه والوعظ

وقد عارضها بعض الوشاحين، وتردد ذكرها في مؤلفات مختلفة مثل «نفع الطيب» (100) و «العداري المائسات» (101) ولا تعد-في نظرنا-أفضل موشحات ابن شرف، وربما ذكروها لصعوبة قوافي أفعالها، وقدرة الشاعر-

مع ذلك-على إضفاء شيء هن الحيوية عليها :
 ظبيُّ له حَدُّ مُفَضَّضٌ مُدْهَبٌ وَأَعْيَدٌ وَرَدَّ في صُدْغِه عَقْرَب
 رقه زهر الياغ في جسمه البضِّ وقسوةُ الفولاذ في قلبه القَطُّ

وفي «المقتطف» لابن سعيد، بعد ذكر أسماء عدد من كبار الوشاحين،
 مثل الأبيض وابن باجة:

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمد ابن أبي
 الفضل بن شرف. قال الحسن بن دور يده، رأيت حاتم بن سعيد يقبل رأسه
 على هذه البدأة:

شَمْسٌ قَارَأَتْ بَدْرًا

رَاحٌ وَنَدِيمٌ

والمشكل أن هذه الموشحة-التي ترد في «دار الطراز» بدون ذكر لاسم
 قائلها-جاءت في مصادر أخرى منسوبة لابن زهر، فن ذلك الصفي في
 «الوافي بالوفيات» وابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»⁽¹⁰²⁾

● السرقسطي الجزار (أبو بكر يحيى):⁽¹⁰³⁾

جاء عنه في «المغرب:

كان في دكان يبيع اللحم، فتعلقت نفسه بقول الشعر، فبرع فيه، وصدر
 له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزرائهم...» وقد وصلت بعض نماذج
 من شعره تفصح عن مقدرة فنية عالية، وصفها لسان الدين بن الخطيب
 بقوله:

«ولّد واخترع، وفي كلتا الحالتين برع، ... حداه إلى

ذلك، وعرفه بما هنالك، طبع وذكاء وقاد...»⁽¹⁰⁴⁾

واشتهر السرقسطي الجزار في فن التوشيح شهرة جعلت الصفي
 يعده من بين «من سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»⁽¹⁰⁵⁾
 لكن موشحاته ضاعت، ولم يبق منها إلا ما حفظ في «جيش التوشيح» ويضم
 عشرة نصوص.

وموشحات ابن الجزار من النمط العالي، الذي يجمع بين ثراء الموسيقى،
 وبساطة التعبير، وحيوية الصور، كقوله في موشحة «ويح المستهلك»>

فَتَاءُ كَعَابٍ نَعِيمُ الشَّبَابِ عَلَيْهَا مُذَابٌ
كروض الغمام لها المسك رِيًّا والدُّرُّ ابتسَامٌ
فكيف السبيل أن يُشْفَى الغليل إذ ظَلَّتْ تقول
مما شو الغلام لابد كلو ليا حلال أو حرام (106)
أو قوله في أخرى:

أما والهَوَى إِنْنِي مُدْنِفٌ
بَحُبِّ رَشَأٍ قَلَمًا يَنْصِفُ
أطاعوه وهو لي مُخْلَفٌ
فَعَمَّا قَلِيلٍ بِهِ أَثْلَفُ
وواعدني السَّقَمَ حتى انتهكُ
فؤادي، فيأويحُتًا قد هَلَكَ
وتبدو بعض خرجات موشحاته وكأنها أغان فلكلورية مفعمة بروح
السذاجة والحيوية:

أحمد محبوبي بالنبِّي تيجي حبيبي بالله جيني حين جي

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد، الأنصاري): (107) شاعر وشاح،
عمل كاتباً لدى محمد بن سعد بن مردنيش (المتوفى سنة 567 هـ) ملك شرق
الأندلس (108) ومن هنا يلقبه لسان الدين بن الخطيب بـ «الوزير الكاتب»
ويقول عنه:

«أي منصب علاء، وإشراف على المعارف واستيلاء... كلفت به الملوك
استتجاحاً وتيمناً وعلماً.. قرط في التوشيح وشنف، ونور في الإعجاز فيه
وصنف، وأخذ نفسه في توشيعه، بتوليد الكلام وتنقيحه.. رحل إلى مصر
فانجلت هناك أنواره.. وله نظر في العلم الفلسفي...» وذكر له ثمانى
موشحات، أولها:

حُثَّ كَأْسُ الطَّلَا عَلَى الزَّهَرِ
وأدرها كالأنجم الزَّهَرِ
أَنَسِيْمٌ يَفْزُوحُ أُمَّ عَطْرُ
وَعَصَوْنُ أَمَالِهَا الْقَطْرُ
تَتَشَنَّى وَمَا بِهَا سُكْرُ

وطيوزنطقن بالسحر

حين هب النسيم في السحر

وهذا النص مما سماه ابن سناء الملك بـ «الموشح الشعري» وقال إن «ما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات.. اللهم إلا إن كانت قوافي قفلة مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات» والمشكلة أن أقفال هذه الموشحة جاءت متحدة القافية، كما القافية، كما أن الحرجة جاءت معربة، وكل ما في الأمر أنه جعلها على لسان المحبوبة:

رُبَّ هَيْفَاءٍ شَفَّهَا بُعْدًا

عَفَّ عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ بُدًا

مَنْ هَوَاهُ فَأَنْشَدَتْ وَجْدًا

رَبَّ قَوْفٍ فِي الْهَوَى صَبْرِي

إن هجر الحبيب كالصبر

أما بقية موشحات ابن مالك فإنها لا تخرج على قواعد التوشيح في شيء.

● نزهون (بنت الوزير القليعي):

هكذا جاء اسمها في مجموعة ابن بشرى⁽¹⁰⁹⁾، أما ابن سعيد فيسميها «نزهون بنت القلاعي»⁽¹¹⁰⁾ وقال إنها كانت «شاعرة ماجنة كثيرة النوادر»، وذكر لها بعض مواقف سخرت فيها من ابن قزمان الزجال، ومن الأعمى المخزومي الشاعر الهجاء والملاحظ أن المقري في «النفح»⁽¹¹¹⁾ يروي بصدد نزهون هذه أخباراً قال إنه نقلها عن «المغرب» ولكنها تختلف عما في النسخة التي حققها د. شوقي ضيف، وفيه أن الحجاري صاحب «المسهب» قال عنها إنها كانت موصوفة «بخفة الروح، والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائع»، وذكر أن الوزير أبا بكر بن سعيد كان مولعاً بها..

وتعرض لها ابن سعيد كذلك في ترجمته للأعمى المخزومي، وقال إنه «أكثر الإقامة في غرناطة، وتعرض لشاعرتها نزهون، وهجاءها»⁽¹¹²⁾

وقد وصل إلينا من موشحة لها مطلعها:

بأبي مَنْ هَدَّ مِنْ جِسْمِي الْقُوَى طرفه الأحرورُ
وصفه د. الأهواني بأنه موشح جميل، وردت في أثناؤه مقطوعات فيها
حياة ورقة مثل قولها:

مَرْبِي فِي رَبِّبٍ مِنْ سَرِيهِ
يَقْطُفُ الزَّهْرَ
وهو يتلو آية من حزيه
يَبْتَغِي الْأَجْرَ
بَعْدَ مَا ذَكَرْنِي مِنْ حُبِّهِ
أَيُّهُ أَخْرَى
والذي لو شاء ما ذَكَرْنِي
بَعْدَ نَسْيَانِي
قَلْبَ الْقَلْبِ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
فَهُوَ وَفِي شَانِ

وتنتهي الموشحة بالبيت والخرجة التاليتين
لَمْ تَزَلْ تُظْهِرْ فِيهِ الْكَافَا
عِنْدَ مَا غَنَنْتُ
غَادَةً لَوْرَامَ مِنْهَا النَّصْفَا
غَيْرَةُ ضَنْتُ
فهو يهواها ويُبْدِي الصَّلَا
فَالَا إِذَا غَنَنْتُ:
يَتَمَنَّانِي إِذَا لَمْ يَكُنْ
يَتَمَنَّانِي
فإِذَا رَأْنِي تَوَلَّى مُعْرِضَا
كُنْ مَا رَأْنِي (113)

● ابن مؤهل (114) (٩):

وشاح مجهول، عده ابن سعيد في «المقتطف» من بين مشاهير هذا
الفن، واستشهد له بـ:

ما العيدُ في حلة وطاق
وشمّ طــــــــــــــــيب

وإنما العيدُ في التلاقي
مع الحــــــــــــــــيب

والنص نفسه يأتي في «مقدمة» ابن خلدون وفي «نفح الطيب» منسوب لابن مؤهل، ولا أثر لهذا الاسم في «المغرب» وإن كنا نجد فيه «موشحة لابن موهّد الشاطبي، وسكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيش ملك شرق الأندلس»، وهي موشحة محكمة النسيج، مفعمة بالنغم والرشاقة:

أما طَـرِيتَ إلى الحُمَيّا
ما بين ندمان وساق
والبدْرُ في عَقَب الثَّـرِيا

والإيلُ ممدودُ الرّواق
خدها على رغم العَدُول
خرقاء تلعبُ بالعُقُول
والنهر كالسيف الصَّـقِيل

على رياض فاح زَيّا
ولاح مصقُولُ التراقِي
تلك المُنَى يا صاحبيّا

لا مُلك مصر مع العراق
وينسل من المقطع الخمري إلى الحديث عن حبه لعزة الذي لا يبيد، وإن بلى الحديد، وفي البيت الأخير والخرجة يدعو محبوبه أن يحنو عليه ويستجيب له:

مَنْ لِي بِمَنْ أَهْوَى وَمَنْ لِي
ليس الهَوَى إِلَّا لِمِثْلِي
وأنت يا بعضي وكُلّي:
أبعدتني بُعْدُ الثَّـرِيا
وأنت تعالِمُ ما ألاقِي
يا مَنْ هويتَ أبقي عليّا

كما أننا عليك باق
وليس في النص كله إشارة لابن مردنيش ولا لأحد غيره، والموشحة في

الوقت ذاته-تأتي تامة، أي أنها تتركب من ستة أقفال، مما يرجح أن ابن سعيد لم يحذف منها المقطع المدحي، ولعلها أنشدت في بلاط ابن مردنیش، ومن ثم حملت على أنها في مدحه، وابن مردنیش هذا توفي سنة 567هـ. وغني عن القول أننا نعتقد أن ابن موهـد هذا هو نفسه ابن مؤهل المذكور في «المقتطف».

● الزويلي (أبو إسحاق):

ذكره ابن سعيد في المقتطف من بين مشاهير الوشاحين في عهد دولة الموحدين، وفيه:

«سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه (أي الزويلي) دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية، إذ كان يسكن بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وجد وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها:

كُحِّلُ الدَّجَى يَجْرِي من مقلة الفجر على الصباح
ومعصمُ الثَّهَرِ في حُلِّ خُضْرٍ من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر. قال: ومن تكون؟ فعرفه فقال: ارتفع، فوالله ما عرفتكَ.» (115)

والنص نفسه يجيء في مقدمة «ابن خلدون» و «أزهار الرياض» و «نفح الطيب» (116) وفيها جميعاً أن اسمه الدويني بدلاً من الزيلي.

● ابن خلف الجزائري:

جاء في «المقتطف» (117):

«واشتهر ببر العدو ابن خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي مطلعها:

يد الاصباح قدحت زناد الأنوار في مجامر الزهر

● ابن خزر البجائي (118):

قال ابن سعيد في «المقتطف» إنه «صاحب الموشحة المشهورة:

ثَغْرُ الزَّمَانِ المَوْافِقِ

حَيَاكَ مِنْهُ ابْتِـسَامِ

● ابن هردوس (أبو الحكم أحمد) المتوفى سنة 572 هـ (119)
 كاتب عثمان بن عبد المؤمن، ملك غرناطة، وعده ابن سعيد في «المقتطف»
 من بين مشاهير الوشاحين في عصر الموحدين وذكر له مطلع موشحته:
 يا ليلة الوصل والسَّعود
 بالـــــــه عُودي (120)
 وغني عن القول أنه استعاره من خرجة موشحة «اشرب على نغمة
 المثاني» التي تتسب تارة لابن نزار، وتتسب تارة أخرى لابن حزمون.
 والموشحة تدور في قسمها الأول حول موضوع الغزل والإقبال على
 اللهو:

كم بتُّ في ليلة التَّمَنِّي
 لا أعرفُ الهَجَرَ والتَّجَنِّي
 ألثُّمُ ثَغَرَ المُنَى وأُجَنِّي
 من فوق رمانتني نُهود
 زَهْرَ الخـــــــود
 يا لائمي اطرحْ ملامي
 فلا براحْ عن الغَرامِ
 إلا أنعكافي على مُدامِ
 بسمع صوت ونقر عُود
 من كفافْ خُود
 لكنه سرعان ما يتذكر أن «مدح الأمير الأجل أولى» وهكذا يترك الغزل
 والكأس ليخاطب الممدوح:

لله يومٌ أغرُّ زاهرُ
 قد حلَّ بالأندلس أمرُ
 قالوا وقد وافتُ البشائرُ
 بالملك السيد السَّعيد
 أبي السُّعود

● ابن المريني (أبو الحسن علي) (121)

قال عنه ابن سعيد في «المغرب»:

«شاعر وشاح مشهور ببلاد المغرب، صحبه والدي، ومات في مدة منصور بني عبد المؤمن، وكان كثير التجول» وأورد موشحة قال إنها لابن المريني، وتروى لابن اليكي»⁽¹²²⁾ أولها:

مَالِبِنَاتِ الْهَدِيلِ
مَنْ فَوْقَ أَغْصَانِ
هَيَّجْنَ عِنْدَ الصَّبَاحِ
شَوْقِي وَأَحْزَانِي
وهي من روائع التوشيح الأندلسي، وله موشحة أخرى لا تقل عنها جمالاً، مطلعها:

فِي نَغْمَةِ الْعُودِ وَالسَّلاَفِ
وَالرُّوضِ وَالنَّهْرِ وَالنَّدِيمِ
أَطَالَ مَنْ لَامَنِي خِلَافَهُ
فَظَلَّ فِي نُصْحِهِ مُلِيمٌ⁽¹²³⁾

● ابن الفرس (عبد الرحيم، الغرناطي، المعروف بابن الفرس)⁽¹²⁴⁾
جاء عنه في «المغرب:

«قرأ مع والدي، وكان يصفه بالذكاء المفرط والتفنن والتقدم في الفلسفة، وهو الذي أعلن الثورة على دولة الموحدين، وزعم أنه «القحطاني» الذي سيدين البشر له بالطاعة، وبث دعوته في قبائل لمطة البربرية، ولكن دعوته لم تنجح، وقتل».

وذكر ابن سعيد في «المغرب» قسماً كبيراً من موشحة وصفها بأنها مشهورة، أولها:

يَا مَنْ أَغَالِبُهُ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ
وَأَرْتَجِي وَصْلَهُ وَالنَّجْمُ أَقْرَبُ
سَدَدْتُ بَابَ الرِّضَا عَنْ كُلِّ مَطْلَبُ
زُرْتُنِي وَلَوْ فِي الْمَنَامِ
وَجُودُ وَلَوْ بِالْإِسْلَامِ
فَأَقْلُ الْقَلِيلُ
يُبْقِي ذِمَاءَ الْمُسْتَهَامِ

وجاء في الموشحة نفسها قفل أورده بعد موشحة ابن عتبة ⁽¹²⁵⁾ وهو:

نُفُضْ مُسْئِكَ الْخُتَامَ
عَنْ عَسْجَدِي الْمُدَامِ
ورداء الأصلي
تَطْوِيهِ كَفَ الظَّلامِ

وذكر أن ابن الفرس كان يزهي بهذا المعنى، وهذا الزهو سياترد صداه بعد ذلك في «النفح» ففي معرض الإشادة بفضائل أهل الأندلس يقول المقرئ:

«وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى...» ⁽¹²⁶⁾ وذكر شيئاً من القفل السابق وقال إن الموشحة لأبي القاسم بن الفرس. ومن هذه الموشحة قسم آخر في «المقتطف» ⁽¹²⁷⁾ وفيه بعد أن ذكر ابن زهر وابن حيون:

«واشتهر معهما في العصر بغرناطة المهر بن الفرس، ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لله ما كان من يوم بهيج
بنهر حمص على تلك المروج
ثم انعطفنا على الخليج
نُفُضْ مُسْئِكَ الْخُتَامَ
عَنْ عَسْجَدِي الْمُدَامِ
ورداء الأصلي
تَطْوِيهِ كَفَ الظَّلامِ
قال: أين نحن من هذا الرداء!»

● ابن أبي حبيب (أبو الوليد): ⁽¹²⁸⁾

ذكر ابن سعيد أن ابن أبي حبيب من أعيان شلب، ونقل من «السمط» أن أبا الوليد هذا كان «نكتة الزمان، ونخبة الأعيان، الذي ملك الحيا عنانه، وأيدت الحكمة لسانه» وذكر له شيئاً من موشحة أولها:

عَسَى لَدَيْكَ يَا رَبِّه الْقَلْبُ
زَادَ لِرَاحِلِ

فودعي فديتُك هيَمانا
لا يستطيعُ دونك سُلوانا
إذا تذكّر البين أوبانا
بكي وحنّ إلى شلُب
حنّين ثاكل

● ابن حبيب (القصري الفيلسوف): (129)

قال عنه ابن سعيد:

«برع في العلم القديم، واشتهر اشتهاه البدر في الليل البهيم، فلاحظته الأعين، وخاضت فيه الآلسن، وصادف اشتهاه إظهار مأمون بني عبد المؤمن طلب الزنادقة، وتطهير الأرض منهم، فكان فيمن ضرب عنقه..»
وذكر له بعض نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات» منها موشحة تستهل بـ:

اشربْ على ضفّة الغدير
وبهجة الروض في المطر
وانظرْ إلى الكوكب المنير
يسعى بكأس لها شرر

ابن نغرة (إسماعيل بن يوسف، اليهودي): (130)

قال عنه ابن سعيد «من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره إلى أن استوزره يا ديس بن حيوس ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها فال أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة..»

● ابن حزمون (أبو الحسن، علي): (131)

ذكره ابن سعيد في «المقتطف»، بعد الحديث عن ابن حيون ومطرف وابن الفرّس: «واشتهر بعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية، أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج دخل عليه في مجلس، فأنشده موشحة لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال على مثال قولِي:

يا هاجري هلّ عن هواك سالي قلبي الغليل؟⁽¹³²⁾
وفي «المغرب» أنه كان «صاعقة من صواعق الهجاء.. وأكثر قوله في
طريقة التوشيح»، وهذا ما أوضحه صاحب «المعجب» حين قال:
«ولعلي بن حزمون هذا قدم في الآداب، واتساع في أنواع الشعر، ركب
طريقة أبي عبد الله بن حجاج البغدادي.. فأربى عليه، وذلك أنه لم يدع
موشحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد، إلا عمل في عروضها ورويتها
موشحة على الطريقة المذكورة»⁽¹³³⁾

واحتفظ «المغرب» ببعض هجائياته هذه، وكذلك مرثية:
يا عينُ بَكَى السَّراجَ الأزهرًا النِّيرا اللامعُ
ولا نملك من موشحات ابن حزمون إلا واحدة فحسب، غير أنها مفصحة
أيما إفصاح عن مهارته في أداء المعاني بأقصى درجة من البساطة والعفوية:
مضى بنفس تُهاج مُصَبِّرا مصطبراً وطائعُ
وباعها في الهياج لقد ذرى ماذا اشترى ذا البائعُ

● المنتاني (أبو العباس أحمد)⁽¹³⁴⁾:
كان-كما أورد صاحب «المغرب»-كاتباً لدى أبي سعيد عثمان بن حفص
صاحب أفريقية، أحد كبار قواد الموحدين، ذكر له ابن سعيد قسماً من
موشحة أولها:

اشربْ على ميسم الزهر
حين رَقَّ الأصيل
والشمسُ تجنح للغرب
والنسيمُ عليل
وكلنا مثل وُرق
لهالديننا هديل

● ابن زهر الحفيد (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن
زهر الأيادي الأشبيلي)⁽¹³⁵⁾ توفي سنة 595:
سليل أسرة شهيرة في العلم والأدب بالأندلس، ونهج هو على منوالهم،
ذكره تلميذه ابن دحية صاحب «المطرب» فقال:

«كان شيخنا الوزير أبو بكر رحمه الله بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب، والمنزلة العليا عند أهل المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال والنشب» وقال قبلها: «والذي انفرد شيخنا به، وانقاد لتخيله طباعه، وأصارت النبهاء خوله وأتباعه المرشحات، وهي زبدة الشعر، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضيء المشرق». وقال عنه ابن سعيد في «المقتطف:

«وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء (يعني وشاحي عصر الموحدين مثل أبي الفضل بن شرف وابن هردوس وابن مؤهل..) أبو بكر بن زهر، وقد شرقت موشحاته وغربت. وسمعت أبا الحسن المذكور (أي: أبو الحسن بن مالك) يقول لابن زهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول مما استحسنته من قولي، وأرترضيه من نظمي:

هل تُسْتَعَاذُ أيامُنَا بالخليجِ وليالينا
إذ يستفادُ من النسيم الأريجِ مسكُ دارينا الخ..

وابن زهر أحد أعلام الأندلس المبرزين في ميدان التوشيح، وفيما يبدو أن شهرته فيه أربت على شهرته في غيره من ميادين الأدب (شأنه في ذلك شأن عبادة بن ماء السماء وابن القزاز والأعمى التطيلي وابن بقى ومن حسن الحظ أن المصادر احتفظت لنا بقدر لا بأس به من موشحاته، فقد ضمت مجموعة «جيش التوشيح» عشر موشحات من نظمه، وجاء في «المغرب» نحو هذا العدد (وإن كان بعض منها غير كامل) واثنان وربما أكثر-في «دار الطراز» واثنان في «المطرب»، وخمس موشحات في «عيون الأنباء»، وله موشحات في «نفح الطيب»، و «الوافي بالوفيات» و «توشيح التوشيح»، و «معجم الأدباء» و «الغذاري المائسات» و «عقود اللآل» الخ.. لكن عدداً منها يتكرر ذكره هنا وهناك، ومن ثم نجد أن ما وصل إلينا منها أقل من عشرين موشحة، لعل أشهرها جميعاً:

أيها السَّاقِي إِلَيْكَ المَشْتَكِي

قد دعوناك وإن لم تسمع

وتذكر خرجتها-في الغالب الأعم-معربة، على نحو ما جاء في «دار

الطراز:

قد نما حبك عندي وزكا
لا تقل في الحب أني مدعي
وترد في «جيش التوشيح غير معربة»:
قد نما حبك بقلبي وزكا
وتقل إنني في حبك مدع

وموشحات ابن زهر من الطراز العالي، الذي يتضمن كل خصائص هذا
الفن في صورتها الأصلية: مزيج من الموسيقى، والصور الموحية، والتعبيرات
البسيطة الشفيفة والاقتراب من أخيلة الشعب كقوله:

كل له هواك يطيبُ
أنا، وعاذلي والرقيبُ

وتدور حول الحب، وفي نهايتها:

لم يدر عاذلي ورقيبني
أن الهوى أخفأ ذنوبي
وأنت يا عذاب القلوب
كم تشتهي إليك القلوبُ
وأنت معرض لا تجيبُ
قالت علي أنت مأولُ
فقلت: ودك المستحيلُ
فأنشد النصوح يقولُ:

من خان حبيب به الله حبيب
الله يعاقبه ويثيبُ
وتبلغ الغنائية ذروتها في موشحة:

حتى الوجوه الملاحا
وحى نُجْل العيونُ
وأعمال ابن زهر تستحق في واقع الأمر وقفة خاصة، وتحليلاً مستفيضاً،
لا يتسع له المجال الآن.

وشاحو القرن السابع المجري

● ابن الياسمين (أبو محمد عبد الله بن حجاج الاشبيلي) ⁽¹⁾ المتوفى سنة 601 هـ:
وصفه ابن سعيد في «الغصون اليانعة» بـ
«الجليس المتقن» وقال إن أول تعلقه كان «بالفقه
والتوثيق، حتى صار من أعلام العارفين بالوثيقة،
ثم اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب، فصار من
أعلام الأدباء والكتاب.
وذكر أن «له موشحات يغني بها» ⁽²⁾ لا نعلم
عنها شيئاً.

● السلمي (أبو حفص عمر بن عبد الله محمد
بن عبد الله بن عمر، ⁽³⁾ المتوفى سنة 603 هـ:
جاء عنه في «الغصون» أنه كان «فقيهاً علامة،
وفي النظم والأدب أندر علامة، جل بين قومه
بمدينة فاس مقداره، وقضيت بها في الجاه والمال
أوطاره، إلى أن كان هنالك من أهل الفتيا، ثم صار
من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا، ثم ترقى
إلى الخطابة والقضاء.. وولاه المنصور قضاء
أشبيلية»
وأردف أن «له موشحات مشهورة يغني بها في
الأقطار، منها:

حَسَّانَةٌ رَخِيْمَةٌ
عَانَقَتْ مِنْهَا الْبَانَةَ
وَالنَّاقَةَ عَلَى الرَّجْرَجِ
وَأَشْوَكَ فِي لَحْسِ سَانَةٍ

● الجلياني (أبو الفضل، عبد المنعم بن مظفر الفساني) المتوفى سنة 603هـ⁽⁴⁾:
جاء في «النفع» أنه كان «أديباً فاضلاً، له شعر مليح المعاني، أكثره في
الحكم والإلهيات وآداب النفوس والرياضيات، وكان طبيباً حاذقاً.. وكان
يقال له حكيم الزمان».

ووقف ابن سعيد على ديوانه فقال إن أكثر شعره «مملوء من السخف
والمجون»

ونقل عنه العماد أن له كتاباً بعنوان «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»
أما ابن أبي أصيبعة⁽⁵⁾ فإنه يقول إن ديوان الجلياني كان يقع في عشرة
أجزاء، قصر الثامن منه على موضوعات «الغزل والتشبيب والموشحات
والدوبيتي..» وفيما يبدو أن الجلياني كان بارعاً في الموشحات، بدليل وصف
العماد له بأنه «صاحب البديع البعيد، والتوشيح والترشيح»

● ابن الفكون (أبو علي حسن) المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري:
ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» وقال إنه من الأدباء الذين تستظرف
أخبارهم، وتروق أشعارهم. غزير النظم والنثر، وكأنها أنوار الزهر. رحل
(من بجاية؟) إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته
عنده من أحسن الجوائز، وله «رحلة» نظمها في سفرته من قسنطينة إلى
مراكش.. وله ديوان شعر، وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم،
وهو من الفضلاء النبهاء.. وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن
يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال. وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها،
ومن كريم أرومتها. وتواشيعه مستحسنة»⁽⁶⁾

● ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني) المتوفى سنة 614 هـ
مولده في بلنسية (سنة أربعين وخمسائة، أو نحو ذلك) وتلقى العلم

بشاطبة، وبرع في الفقه والحديث والقراءات، كما برز في الأدب شعره ونثره، وفي ذلك يقول صاحب «الإحاطة:

«كان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً، ونظمه فائق ونثره بديع، وكلامه المرسل سهل حسن، وأغراضه جليلة، وذكره شهير، ورحلته نسيج وحدها، طارت كل مطار»⁽⁷⁾ وكان له ديوان سماه «نظم الجمان» وآخر بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأيين القرن الصالح» يتضمن المراثي التي ألفها في رفيقة حياته أم المجد، ختمه بخمس موشحات فيها . ولم يصل إلينا شيء منها .

● الأريسي الجزائري (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد) أواسط القرن السابع:

ذكر الغبريني أنه كان «حسن النظم والنثر.. وكان سهل الشعر، وكان كثير التجنيس، يأتيه عفواً من غير تكلف.. وكان مليح التواشيح»⁽⁸⁾ وذكر أنه على رأس كتبة الديوان ببجاية.

● ابن ميمون القلعي (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي)⁽⁹⁾ المتوفى سنة 673 هـ:

ينسب إلى قلعة بني حماد، ونشأ بالجزائر وأقام في بجاية، وكان من شيوخ الغبريني صاحب «عنوان الدراية»، وفيه أنه «كان في علم العربية مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة، النحو، اللغة، والأدب.. وهو أفضل من لقيت في علم العربية.. وهو أكثر الناس شعراً، وتواشيحه حسنة جداً».

● ابن حنون (أبو العباس أحمد، الأشبيلي)⁽¹⁰⁾:

قال عنه ابن سعيد في «المغرب:

«من بيوت أشبيلية وأغنيائها، آل أمره إلى أن اتهم بالقيام على السلطان (يوسف ابن عبد المؤمن الذي حكم من 558 إلى 580 هـ) وهو ممن ذكره صفوان في كتاب «زاد المسافر» وذكر نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات مشهورة» ذكر واحدة منها هي التي أولها:

أبى أن يـجـودَ بالسَّلام

فكيف يـجـودُ بالوصال

مَنْ كَانَتْ تَحْيِيَةُ الْوُدَاعِ
 مِنْهُ قِبَالَةً عِنْدَ الزَّوَالِ
 عِنَاءُ الْمُتَيِّمِ الْمُعَانِي
 أَثَابَ إِلَيْهِ أَوْ تَجَنَّى
 يَرُوقَكَ مِنْظَرًا وَحُسْنًا
 والخرجة تأتي بالعامية على لسان المحبوبة التي تنشد:
 خَلَقْتَ مَا يَحِ عِلْمَتِ رَامِ
 فَلَسْ نَخْلَهُ سَاعَةً عَنْ قِتَالِ
 وَتَعْمَلُ بِذِي الْعَيْنَيْنِ مَتَاعِ
 مَا تَعْمَلُ أَرِيَابَ النَّبَالِ

● ابن غياث (أبو عمرو):

قال عنه ابن سعيد:

«شاعر مشهور من شعراء المائة السابعة، اجتمع به والدي في سبته»⁽¹¹⁾
 توفي سنة 620 هـ، ولا نعرف له إلا قطعة من موشحة، أولها:

طَالَ عَنْكُمْ مَغْيِبِي
 فَلَمْ تَرَأُوا وَدَادِي
 ذَاكَ شَأْنُ الْغَرِيبِ
 يُنْسَى بِطَوْلِ الْبَعَادِ

● ابن جعفر (عبد الله، الأشبيلي)⁽¹²⁾

قال عنه ابن سعيد:

«كان وشاحاً مطبوعاً: ظريفاً لطيفاً، ولم يذكر له موشحات، واكتفى
 ببيتين له. ولم نجد شيئاً عن موشحاته في المصادر الأخرى.

● ابن حريق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة 622 هـ

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني والدي: أنه اجتمع به في سبته، في مدة مستنصر بني عبد
 المؤمن، وقد قصد صاحب أعمالها ابن عبد الصمد مادحاً، للذائع من

وشاحو القرن السابع الهجري

كرمه، فرأى خير من يجتمع به أدباً وشعراً وظرفاً وحسن زي. قال: وشهدت له بحفظ الآداب والتاريخ»

وأورد له موشحة يقول فيها:

سَلْ حَارَسِي رَوْضَةَ الْجَمَالِ
وَصَوِّلْ جَيَّ ذَلِكَ الْعِندَارِ
مَنْ تَوَجَّ الغَصْنَ بِالْهَلَالِ
وَأَنْبَت الْوَرْدَ فِي الْبَهَارِ

ومنها:

وناصح قال يا غريب
أسرفت في الببث والحزن
للمرء من دمه نصيب
والروح ما إن له ثمّن
ويحك لا عيشة تطيب
ولا نديم ولا سَكَن
فخلّ عيني في انهمال
يقرُّ لدمع من قرار
وابك معي رقة لحالي
بكاء غيلان في الديار
وهي من عيون الموشحات الأندلسية.

● الميورقي (ابن عبد الولي) ⁽¹⁴⁾:

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني من اجتمع به أنه كان شاعراً وشاحاً» ولسنا نعرف من موشحاته شيئاً

● المتيطي (أبو جعفر أحمد بن جعفر) ⁽¹⁵⁾

في «المغرب:

«سكن سبتة، ولهذا البيت فيها مجد شامخ، وتصرف في ولايات، وكان

أبو جعفر مشهوراً بالتوشيح» ولم يذكر له شيئاً من موشحاته.

● يحيى الخزرج: (16)

وشاح، ذكره ابن سعيد في معرض الحديث عن موشحات ابن حزمون ويفهم من السياق أن موشحاته كانت تتسم بالتكلف.

● ابن الصابوني (أبو بكر محمد بن أحمد، الأشبيلي، الملقب بالحمار) (17).

جاء عنه في «المغرب»

«اجتمعت به في اشبيلية، والناس يجعلونه شاعرها المشار إليه، وكان قد تقدم عند مأمون بني عبد المؤمن، ثم رأى أن يقصد سلطان أفريقية، فلقبه في مليانه، ومدحه «ثم رحل إلى مصر، فلم يجد فيها من قدره، وعاجلته بها منيته فات بالإسكندرية، قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة» وفي «المقتطف» خبر يقول فيه ابن سعيد:

«وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات له غير مامرة، فما سمعته قال: لله درك، إلا في قوله:

قَسَمًا بِالْهَوَى لَذِي حَجَرٍ
مَا لَيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرِ
جَمَدِ الصَّبْحِ لِي يَطْرُدُ
مَا لَيْلِي فَمَا أَظُنَّ غَدُ
صَحَّ يَا لَيْلِ أَنْكَ الْأَبَدُ
أَوْ فَصَّتْ قَوَادِمَ النَّسْرِ
أَمْ نَجُومُ السَّمَاءِ لَا تَسْرِي

● مطرف

جاء في «المقتطف» بعد الحديث عن المهر بن الفرّس: «وكان معه في بلده مطرف. أخبرني والذي أنه دخل على ابن الفرّس المذكور فقام له وأكرمه، فأشار عليه بأن لا يفعل، فقال: كيف لا أقوم لمن يقول:

قَالَوْبُ تَصَابَتْ
بِالْحَاضِ تَصَيَّبُ

مَنَنَهُمْ بِأَقْعُ
 أَيَمَّنَ الْأَدَمْعُ
 ضَرَّجَهَا دَمًا وَفُهمَ بِالنَّحِيبِ نَقِيمٌ مَأْتَمًا
 كَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ كِتَابُ «الْمَغْرِبِ» قِطْعَةً مِنْ مَوْشَحَةٍ هِيَ:
 فِي طَرَفٍ مَنْ أَهْوَاهُ
 سَيِّفُ الْمُنُونِ
 وَالْقَلْبُ فِي بَاهْوَاهُ
 مَمَّنَّ يَخُونُ
 يَأْقِدُ غَصَنَ الْبَانِ
 إِذَا انْتَشَنَى
 الْفَرَّاحُ وَالْفَرِيحَانُ
 بَلَّ الْمُنَى
 فِي ذَلِكَ الْوَسْنَانُ
 إِذَا رَنَّ
 يَا رَبَّ مَا أَقْسَاهُ
 تُرَى يَهْوُونُ
 وَالصَّبَّ مَا أَرْجَاهُ
 مَا لَا يَكُونُ

● ابن الهيثم (الأديب الهيثم بن أحمد بن أبي غالب) ⁽²³⁾، المتوفي سنة

:630

قال عنه ابن سعيد:

«حافظ اشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، وكان والدي يتعجب منه. ومن أعجب عجائبه أنه كان يملئ على شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجال دون توقف، وتنبه ذكره في مدة مأمون بني عبد المؤمن، وكتب له مدة». ولسنا نملك شيئا من موشحاته.

● ابن عتبة (الطبيب الوشاح، أبو يوسف) ⁽²⁴⁾ المتوفي سنة 636 هـ:

اجتمع به ابن سعيد في اشبيلية، وذكر أنه «كان طبيا وشاحا مطبوعا،

ثم سافر إلى إفريقية، ثم إلى مصر، فمات في مرستان القاهرة». وذكر له بعد ذلك قصما كبيرا من موشحة جميلة للغاية أولها:

الرَّوْضُ فِي حُلِّ خَضِرِ عَرُوسُ
والليل قد أشرق فيه الكُؤُوسُ
وليس إلا حُمَيَّاها شُمُوسُ
نُجُلى بكفِّي غلام
كالغصن لدن القوام
ريقته ساسبيل
يشضي لهيب أوامي
ومنها:

فقم نباكرها لاصطباح
والشهبُ تُنثرُ من خيط الصباح
والقضبُ ترقصُ في أيدي الرياح
على غناء الحمام
والكأسُ ذاتُ ابْتِسام
والظلامُ قَتِيلُ
والصبحُ دامي الحسام

● ابن عربي (محيي الدين، أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي) المتوفي سنة 638 هـ: (25)

الصوفي المعروف. له في «النفح» ترجمة ومختارات في أكثر من عشرين صفحة، موجزها أن مولده بمرسية، سنة 650 هـ، ودرس في أشبيلية، وبها أمضى عشرين سنة، ثم ارتحل إلى المشرق، وأخذ عن العلماء، وطوف في مصر وبلاد الروم، وأقام في أخريات حياته بدمشق، وبها توفي.

وتختلف الآراء في ابن عربي، وإلى هذا يشير الذهبي عندما قال «إن له توسعا في الكلام، وذكاء، وقرة خاطر، وحافظة، وتدقيقا في التصوف، وتوالتيف جمة في العرفان، لولا شطحه في كلامه وشعره» (26)

وأورد الغبريني في «عنوان الدراية» فهرست مؤلفات ابن عربي، وتتضمن ما يزيد عن مائتين وخمسين عنوانا (27)، والذي يعيننا منها ديوانه الأكبر،

ويعد أهم مصدر عن الموشحات الصوفية، ويضم قرابة ثلاثين موشحة، وقد أشرنا إلى واحدة منها عند الحديث عن الموشحات الدينية والصوفية، جاءت على وزن موشحة ابن زهر، «أيها الساقى»، وله موشحة أخرى على وزن «جرر الذيل أيما جر» المنسوبة لابن باجة. وموشحة ابن عربي تبدأ بـ:

ألا بأبي من ضمّه صدي

وأدريه قطعاً وهو لا يدري

لقد أقسم الحقّ بما أقسم

وعلمنا ما لم نكن نعلم

وأوضح لي ما كان قد أبهم

وكلها تسبح في مثل هذا التهويم: لقد اتضح له ما كان مبهماً، وصح ما

كان يشبه وقتاً وينفيه، ثم يأتي المقطع الختامي:

وجارية باتت تغنيه

وتوحي إلى الغُير وتعنيه

وما تبغى إلا لتعنيه

أجرّ ذيلي أيما جرّ

فأوصل منك السكر بالسكر

وموشحات ابن عربي لا تخضع في مجموعها لشكل الموشحة التقليدية،

فضلاً عن أن كثيراً منها تتمثل فيه ظاهرة «التزنيّم».

● ابن سهل (أبو إسحاق إبراهيم، الأشبيلي، الإسرائيلي) المتوفي سنة

649 هـ (٩) قال عنه ابن سعيد في «المغرب»: ⁽²⁸⁾

«قرأت معه في اشبيلية على أبي الحسن الدباج وغيره، وكان من عجائب

الزمان في ذكائه على صغر سنة، يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة، وبلغني

الآن أنه شاعر خليفتهم بمراكش»، وهذه النقطة الأخيرة مثار تساؤل، إذ

يخلو الديوان من أي نص يؤكدها، ولا يوجد ما يعضدها في المصادر الأخرى

عن ابن سهل، والشئ الثابت أن الشاعر عمل كاتباً لدى ابن خلاص، وإلى

سببته من قبل الموحدين ثم الحفصيين.

وهناك نقطة أخرى تثير الجدل، وتتعلق بمدى صحة إسلام ابن سهل،

ونبذه لدين اليهودية، وفي هذا الصدد يذكر ابن سعيد أنه سأله عن هذا

الأمر فأجابه: «لنأس ما ظهر ولله ما استتر».

والذي يعني أن ابن سهل كان شاعراً مجيداً، وبخاصة في الغزل، أما في الموشحات فإن براعته فيها -كما يقول د. إحسان عباس- «لا تقل عن براعته في القصيد الغزلي، وإن كان يسلك لإظهارها طريقاً آخر، هو ذلك التفنن القائم على تنويع النغمات، فوشحاته مظهر للتفاوت الكثير في إظهار قدرته على إتقان نغمات متباعدة، والتخلص بقدرة فائقة -تشبه عفويته في القصيد الغزلي- بين مزاحمة التقسيمات التي لا تخلو من جرأة على البناء المركب.. إن الجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية في هذه الموشحات يجعل ابن سهل في فن الموشح غير متخلف عن أعلامه الكبار، أمثال الأعمى التطيلي وابن بقي وابن زهر الحفيد في تاريخ التوشيح بالأندلس» وقد سلمت أربع وعشرون موشحة مما ألف ابن سهل، أشهرها، ولا ريب، تلك التي تستهل بـ:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صب حله عن مكنس

فهو في حرّ وخفق مثلاً

لعبت ريح الصبا بالقبس

وكلها تدور حول موضوع واحد هو بث المشاعر الوجدانية النبيلة، وحتى الخرجة تأتي متشحة بتلك الغلالة الشفيفة الصافية، وهي -مع البيت الذي يسبقها:

أنفدت دمعني نار في ضرام

تلتظي في كل حين ما يشا

هي في خدييه برد وسلام

وهي ضرّ وحريق في الحشا

أتقى منه على حكم الغرام

أسوداً ورداً، وأهـواه رشاً

قلت لما أن تبدى معلماً

وهو من الحافظه في حرس:

أيها الأخذ قلبي مغنماً

اجعل الوصل مكان الخمس

وفي الخرجة مخالفة لما قرره ابن سناء الملك من ضرورة أن يأتي في البيت الذي قبل الخرجة: قال أو قلت أو قالت.. الخ، إذ أن هذا الشرط جاء في ثانيا الخرجة لا في البيت الذي قبلها.
ومن أشهر موشحات ابن سهل قوله:

يا لحظات لافئ
في كرها أوفى نصيب
ترمى وكأي مقتل
وكلها سهم مصيب
وهي موشحة جميلة، اكتملت فيها كل خصائص الموشحات الأندلسية الأصيلة، من حيوية، وروح شعبية، وبساطة في التعبير والصور. والخرجة تأتي في هذه المرة بالعامية، وفي البيت الذي قبلها يقول العاشق إنه نكاية في الرقباء سيفني:

هذا الرقيب ما أسواه بظن
أش لو كان الإنسان مريب
يا مولتي قم نعملو
ذاك الذي ظن الرقيب!

ولابن سهل موشحة تبدو وكأنها تنتمي لعالم الخيام، بما فيها من تأمل وشجو وجنوح إلى النسيان والأبيقورية:

رحب بضيف الأنس قد أقبل
وأجل دجى الهم بشمس العقار
ولا تسل دهرك عما جناه
فما ليالي العمر إلا قصار
عندي لأحداث الليالي رحيق
ترد في الشيخ ارتياح الشباب
كأنما في الكأس منها رحيق
وفي يد الشارب منها خضاب
وحقها ما هي إلا عقيق
أجريت أنفاسي فيه فذاب

فاجن المنى بين الطلى والطلا
وأقدح على الأقداح منها شرار
وقل لئاه ضل عنه نواه
كفى الصبا عذراً لخلع العذار

● الششتري (أبو الحسن علي بن عبد الله) المتوفى سنة 668 هـ (29)
نسبة إلى ششتر، من أعمال وادي آش، وذكر المقرئ في «النفح» أن
«زقاق الششتري معلوم بها»، ووصفه بـ «عروس الفقهاء، وإمام المتجردين،
وبركة لابسي الخرقة،.. وكان مجوداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه،
من أهل العلم والعمل» ونقل عن الغبريني صاحب «عنوان الدراية» قوله:
«الفقيه الصوفي، من الطلبة المحصلين، والفقراء المنقطعين، له علم
بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية، وتقدم في النظم والنثر على طريقة
التحقيق، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع».
وللششتري ديوان حققه د. علي سامي النشار استناداً إلى سبع عشرة
مخطوطة، يقول في مقدمته إن الششتري «أول من استخدم الزجل في
التصوف، كما أن محيي الدين بن العربي أول من استخدم الموشح فيه،
وللرجلين فضل السبق في هذا المضمار»، ويضم هذا الديوان سبعين موشحة
وزجلاً فضلاً عن أزجال ومقطعات زجلية أخرى وردت في عدد محدود من
النسخ، وهناك قدر لا بأس به من «المزئلات» وعدد منها وصف بأنه من
«الموشحات» ولا يكاد يمت إليها بنسب، وكثيراً ما يخرج الششتري عن
الشكل التقليدي للموشحة، مثل قوله:

طاب نقلي وشرابي
وحبيبي اعتنى بي
فاعذروني يا صحابي
في سؤجودي واقترابي
خمرة راق شذاها
كل نور من سناها
قام ساقها سقاها
اجعلوها احتسابي

أَنَا سَكَرَانُ مَنْ هَوَاهُ
 لَيْسَ لِي رَاحٌ سَوَاهُ
 كَلَّمَا نَادَيْتُ: يَا هُوَ
 كَانَ: (لَبَّيْكَ) جَوَابِي
 أو قوله في أخرى، ويتكرر فيها القفل على نحو يخالف المؤلف في
 الموشحة الأندلسية التقليدية:

قَدْ ظَهَرْتُ فِي مِرَاتِي
 عِنْدَ رَمِيِّ لِمَنْسَاتِي
 لَمْ أَجِدْ بَدَأَ مِنْ بَدِي
 قَدْ أَتَيْتُ لِي مِنْ عِنْدِي
 فَوْقَ مَتْنٍ وَهُمْ الْبُعْدُ
 خَيْرٌ مَوْجُودُ
 عَابِدٌ مَعْبُودُ
 لَيْسَ بِالْمُفْقُودُ
 وَبِمَحْوِهِ اثْبَاتِي
 قَدْ ظَهَرْتُ فِي مِرَاتِي
 عِنْدَ رَمِيِّ لِمَنْسَاتِي
 ولكن هناك عددا من النصوص يأتي وفقا للطابع التقليدي أو قريبا منه، مثل:
 صَاحَ هَذَا الْأَسْرَارُ قَدْ أَشْعَلَتْ فِي الْحِشَا مَنِي النَّارُ
 مَذْلاَحَ لِي سِرُّ مَنْ نَهَوَاهُ
 لَمْ أَسْتَطِعْ كَتْمَ مَا أَلْقَاهُ
 مِنْ شَجْوِ قَلْبِي وَمَنْ شَكَّوَاهُ
 وَبِخَ قَلْبِي قَدْ طَارَ فِي ذَا الْهَوَى سَابِحًا ذَا اسْتَهَارَ
 وله أخرى عارض فيها موشحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان»
 وأول موشحة الششتري:

قَبْلَ كَوْنِ الزَّمَانِ
 وَوَجُودِ السَّكْرِ
 أَسْكَرْتَنِي بِدَانِ
 الْهَوَى وَالْخَمَرِ

قَمَرُ الرُّسْدِ لَاح
وَأَنْارُ الْفُكْرِ رَا
وَنَسِيمُ الصَّبَاحِ
طَابَ مِنْهُ نَشْرَا
وَبِـرُوحِ رَاحِ
عَادَ شَفْعِي وَتَرَا
وَأَنَا فِي مَهْرَجَانِ
طَوَّلَ حَيَاتِي عَمْرِي
عَزَّتِي فِي الْهَوَانِ
وَعِنَائِي فِقْرِي
والتزنيـم واضح (في القفل الأخير) في قوله «طول حياتي عمري»، فضلا
عن خلوه من المعنى.

وهناك بعض نصوص يشك في صحة نسبتها للششتري، مثل النص
الذي أوله:

كَلَّمَا قَلْتُ بِقَرِي
تَنْطَفِي نِيرَانُ قَلْبِي
ويأتي بدوره في ديوان ابن وفا ⁽³⁰⁾، وموشحة رفيعة المستوى أولها:
شَرِيئًا مَدَامَا بَلَا آنِيَّةُ
فَلَا تَحْسِبُوا عَيْنَهَا آنِيَّةُ
وينسب في بعض النسخ الديوان لغيلان المصري، وهي نسبة تؤكدتها
عبارة جاءت في ديوان صفى الدين الحلبي، الذي عارض الموشحة السابقة،
وقال إن الأصل لغيلان الغول المصري ⁽³¹⁾ ونسجل من جانب آخر أن هذه
الموشحة تختلف في نسيجها عن بقية موشحات الششتري.

● ابن مورايطير (أبو الحجاج يوسف):
ينسب إلى مورايطير، قرية من قرى بلنسية. جاء عنه في «عيون
الأنبياء» ⁽³²⁾:

«كان فاضلا في صناعة الطب، خبيرا بها، مزاولا لأعمالها، محمود
الطريقة، حسن الرأي، عالما بالأموـر الشرعية. وكان أديبا شاعرا محبا

للمجون كثير النادرة»

ونقل عن القاضي أبي مروان الباجي أنهما كانا في تونس مع الملك الناصر (من ملوك الموحدين) في وقت اشتد فيه الغلاء، وعز وجود الشعير: «فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحا في الناصر، وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال:

ما العيدُ في حُلّةٍ وطاق
وشمّ طيب
وانما العيدُ في التلاقي
مع الحبيب
فعمل ابن موراطير:
ما العيدُ في حُلّةٍ وطاق
من الحريـر
وانما العيدُ في التلاقي
مع الشـعير

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت. وكان أبو الحجاج بن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب، ولما توفى المنصور خدم لولده الناصر. ومات في مراكش، في دولة المستنصر».

● ابن سعيد المغربي (علي بن موسى)، المتوفى سنة 673 هـ: الشاعر الأديب الرحالة، صاحب «المغرب في حلى المغرب» و«المشرق في حلى المشرق»، وغيرهما من الآثار الجليلة⁽³³⁾ ولا يعرف له إسهام في مجال الموشحات، غير أن الصفدي عده في «توشيع التوشيع»⁽³⁴⁾ من بين السابقين في مضممار التوشيع.

● المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمن، المالقي) المتوفى سنة 699: وصفه صاحب «النفح» بـ«الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن مرهل المالقي ثم السبتى»⁽³⁵⁾، ولا تعرف له موشحات، وقد عده الصفدي في «التوشيع»⁽³⁶⁾ من بين كبار وشاحي الأندلس والمغرب.

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع المجريين

● أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف،
الغرناطي) المتوفى سنة 745 هـ⁽¹⁾:

العالم اللغوي الشاعر الأديب. نقل المقرئ عن
«أعيان العصر» أنه كان لأبي حيان «نظم ونثر، وله
الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله، محرر لما
يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو
والتصريف، فهو إمام الناس كلهم فيهما، لم يذكر
معه في أقطار الأرض غيره في حياته وله اليد
الطولي في التفسير والحديث، والشروط والفروع،
وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم، خصوصا
المغاربة».

ولأبي حيان موشحتان معروفتان. الأولى عارض
بها شمس الدين التلمساني في موشحته:

قَمَرٌ يَجْلُو دُجَى الْعَلَسِ

بهر الأبصار منذ ظهرا

(ولعل التلمساني تأثر فيها بموشحة: «خذ
حديث الشوق عن نفسي» التي تنسب لابن بقى،
كما تنسب لابن الزقاق)، وأول موشحة أبي
حيان:

عاذلي في الأهيف الأنس
 لورآه النَّاس قد عذراً
 رشاً قد زائله الحور
 غصن من فوقه قمر
 قمر من سحبه الشعر
 ثغر في فييه أم دُر
 جال بين الدر والاعس
 خمر من ذاقها سكر
 وهي موشحة رفيعة المستوى، تتميز بعذوبة الإيقاع وصفاء المعاني. وهي
 تنتهي بـ:

نصب العينين لي شركا
 فانثنى والقلب لي مأكا
 قمر أضحى له فلكا
 قال لي يوماً وقد ضحكا
 أتجي من أرض أندلس
 نحو مصر، تعشق القمر ؟
 وأما الثانية فتبدأ بـ:

إن كان لييل داج
 وخننا الاصباح
 فنورها الوهاج
 يغني عن المصباح
 ولا تقل هذه الموشحة جودة عن الأولى، وقد روعيت فيهما معاً التقاليد
 الفنية الأندلسية للموشحة.

● ابن خاتمة (أحمد بن علي، الأنصاري، المريني) ⁽²⁾، المتوفي سنة 770 هـ: نسبة إلى المرية، من مدن دولة غرناطة، وله مؤلفات منها «مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية»، لم يصل إلينا، وأعتمد عليه المقرئ في كثير من المواضع، وله «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»، رجل مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة: شاعر وكاتب ومترسل،

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

وفقيه ومصنف وزاهد، أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب..⁽³⁾ وبخاصة في «الإحاطة» و «الكتيبة الكامنة» وكذلك إسماعيل بن الأحمر في «نثر فرائد الجمان» و «نثر الجمان».

ولابن خاتمة ديوان نشر مؤخراً يضم ثماني عشرة موشحة رفيعة المستوى، تتمثل فيها خصائص الموشحة الأندلسية الأصيلة، من حيوية وبساطة وروح شعبية آسرة، وليس فيها شذوذ في البناء، كما يلحظ أحياناً في أعمال متأخري الوشاحين.

ومن موشحات ابن خاتمة:

يا مصباحٌ قد أخلج الاصباح هل تلتاح
يا بدرُ أو ترتاحٌ لذي وُدِّ

وشكل هذه الموشحة يذكر بموشحات ابن عبادة القراز، وبخاصة:

هـل يـتـتـاحُ لـلـأرواحُ

مـن ظـبـاكُ يا سـفـاحُ

ويلاحظ أن ابن خاتمة كثيراً ما يلجأ إلى الإكثار من الأجزاء في الأفعال مثل موشحته التي أولها:

هل في ارتياحي إلى الملاح أو إلى الشمول بأس يا عدول

فـدـع لـو مـمـفـتـون

فـعـشـق خـود و شـرب راح إنـما يـلام غـيرـي فـي المـدام

وفـي الخـرد الـعـين

هـذي عـروسُ الرـياض تـجـلـى

مـن رائـق الزـهـر فـي حـلـل

والجـو بـالغـيم قـد تـحـلـى

و لاحت الشـمسُ مـن خـلـل

وخبـ فـصلُ الرـبـيع طـفـلاً

يـسـقـيـه ثـدي الحـيا عـلـل

فـسـقَـنـي بـالكـبـير و امـلا

إنـي كـبـيرٌ و لا تُبـل

والخرجة جاءت هنا معربة، ولكن ألفاظها «غزلة جداً، هزaze سحارة

خلابة، بينها وبين الصباية قرابة» وهذا شرط الخرجة المعربة غير المدحية، كما نصت على ذلك مقدمة «دار الطراز»... ومن موشحاته⁽⁴⁾ الجميلة:

ففي طاعة النّـديـم
وفـي هـوى الحـسـان
عـصـيـتُ كـلّ عـاذل
ودنّـتُ بـافـتـتـان

وموضوعها-شأنها في ذلك شأن بقية موشحات ابن خاتمة-يدور حول الغزل، ولكن المحبوب هنا غلام نصراني، واستطاع الوشاح أن يبرز طبيعة هذا الحب في صور رشيقة معبرة:

عـاة تـثـه غـزـالـا
لـارـوم مـنـتـهـاه
زئـارـه اسـتـمـالا
حـلـمـي إلـى صـبـاه
إنّ قـال لـي مـةـالا
لـم أذـر مـا عـنـاه
أو اشـتـكـي هـمـومـي
لـم يـدـر مـا عـنـان
فـالـة أـلـبـ في حـبـائـل
أيـدـى هـوـاه عـان

وهو يقسم له بالأناجيل وبحرمة المسيح أنه لن يصغي إلى قول عاذل أو ناصح ويتوسل إليه في نهاية الموشحة:

قُلْ كـيـفَ يـسـتـريـحُ
صـبـبـ مـتـيـم
لـسـانـه فـصـيـحُ
والحـبـبـ أعـجـم
هـا حـائـتـي تـاـوـحُ
فـهـل مـتـرـجـمُ
صـبـى عـشـقـت رومـي
وش نـحـفـظ الـاسـان

السَّاعَ مَا نَشَاكُلُ

عَاشِقُ بَتْرَجْمَانٍ!

وهكذا تمضي موشحات ابن خاتمة، جياشة بمثل هذه الأجواء التي طالما حفلت أعمال الوشاحين القدماء، أمثال ابن عبادة القزاز، والتطيلي وابن بقي.

● العقرب (محمد)-من وشاحي القرن الثامن الهجري

جاءت له في «الروضة الغناء» موشحات، ورجح د. الجارري (5) أن المقصود هنا شاعر من إقليم لاش، ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة»، هو محمد بن علي الأوسي المدعو بالعقرب، ومن تلك المقطعات:

قَم تَرَى الْفَجْرَ بِسَيْفٍ مَنَتَضًى

شَقَّ جَلْبَابَ الدُّجَى لِمَا أَضَا

ضَحْكَ الزَّهْرُ بِثَغْرِ جَوْهَرٍ

وَانْتَنَى الْغَصْنُ الرُّطِيبُ الْمَثْمُرُ

وَشَدَا الطَّيْرُ يَنْغَمُ الْوَوْتَرُ

● السدراتي (أبو عثمان سعيد بن إبراهيم) المتوفي نحو سنة 770 هـ:

ذكره إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (من أمراء بني نصر، أصحاب غرناطة) في كتابه «نثير الجمان» وقال انه من أهل فاس، وأنه كان يعرف بـ «شهبون الأديب» ووصفه بـ «رئيس الأدباء، ونخبة الألباء، إلى إجادة في نظم الزجل، أذهبت عنه في الشعر الخجل... ونجم في التوشيحة (كذا في الأصل، ولعلها: في توشيعه) ولم تكن قريحته في نظمها بشحيجة...» (6). وابن الأحمر (المتوفي سنة 807 هـ) ألف كتابه «نثير الجمان» سنة 776 وتحدث عن السدراتي مردوفاً بـ «رحمه الله» مما جعلنا نقول إن وفاته كانت نحو سنة 770 هـ.

ولا نعرف من موشحات السدراتي إلا نصاً وحيداً ورد في «نثير الجمان» في مدح مؤلف الكتاب، أوله:

نَشَرْتَ فَيَكْمُ بَنِي نَصْرٍ

لَأَبِي الصَّدَقِ رَايَةَ النَّصْرِ

وتدور من مطلعها إلى نهايتها حول المديح، وآخرها
يا أبا الصّدق أنت مولانا
كم نوال بذلت أغنائنا
رقت حُسناً وفقت إحساننا
لك جودٌ كوابل القَطَر
ومُقَام أَرَى النّسْر
ومن الجلي أنه يعارض هنا موشحة، «جرر الذيل أيما جر» التي تقدم
ذكرها.

● ابن الصباغ الجذامي:

ذكر المقرئ في «أزهار الرياض»⁽⁷⁾ بعض موشحات له، تدور في مجموعها
حول الزهديات والمدايح النبوية، ولم نجد معلومات عنه، وفي «الكتيبة
الكامنة»⁽⁸⁾ للسان الدين بن الخطيب ذكر لكاتب شاعر فقيه يدعى ابن
الصباغ العقيلي (توفي سنة 758هـ) كان وزيراً لبني نصر ملوك غرناطة،
وجاءت معلومات عنه في «نثر الجمان»⁽⁹⁾ و«نفح الطيب» وغيرهما.
أما نيكل⁽¹⁰⁾ فيشير إلى شاعر يدعي الجذامي ذكر أن ابن الخطيب
تحدث عنه في «الإحاطة» وقال إنه توفي بعد سنة 794 هـ.

● لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن سعيد السلماني)⁽¹¹⁾:

أحد أعلام الشعراء والمؤرخين بالأندلس. ولي الوزارة بغرناطة في عهد
بني الأحمر، وبلغ على أيام الغني بالله محلاً أثيراً، إلى أن شعر بتغيره عليه،
ففر إلى المغرب، لكن الغني بالله ظل يسعى به واتهم لسان الدين بالزندقة،
وسجن، ثم قتل خنقا، وأحرقت جثته، سنة 76 هـ.
وكانت آثاره قد أحرقت. في غرناطة، وعدت أيدي الضياع على كثير
منها، ولكن ما وصل إلينا يدل على علم غزير، ومما طبع من أعماله كتاب
«الإحاطة في أخبار غرناطة» و«الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من
شعراء المائة الثامنة»، و«أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك
الإسلام» و«كناسة الدكان بعد انتقال السكان» و«روضة التعريف بالحب

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

الشريف» وكتابه «جيش التوشيح» الذي ضمنه مائة وخمسا وستين موشحة، كثير منها لا يوجد في أي مصدر آخر، وإن كان لم يقدم له إلا في سطور معدودات، هي-بعد حمد الله والصلاة على نبيه وآله ومن اتبع هداه:-

«ورتبت هذا الكتاب ترتيبا لا يخفى إحكامه، وبوبته تبويبا يسهل فيه مرامه، كلما ذكرت حرفا قدمت أرباب الإكثار، وأولى الاشتهار من بعد الاختيار، والبراءة من عهدة النسبة اتهاما للأخبار، ثم آتيت بالمجهول منها على الآثار، حتى كمل على حسب الوسع والاقتدار..»

وليس في «جيش التوشيح» شيء من موشحات لسان الدين بن الخطيب، فالكتاب-في صورته التي وصلت إلينا-يقتصر على موشحات شعراء من القرن السادس الهجري، وقد أشار ابن خلدون إلى موشحة لسان الدين:

جاءك الغيث إذا الغيثُ همي

يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر قطعة كبيرة منها، وهذه الموشحة-ولا ريب-أشهر موشحات ابن الخطيب، بل لعلها أشهر الموشحات الأندلسية التي لا تزال تعرف إلى اليوم على نطاق واسع، وقد نسجها على منوال موشحة ابن سهل «هل درى»، وجاءت بتمامها في «نفع الطيب» وذكرتها عشرات المصادر والمراجع، مثل «عقود اللآل»، و «الغذاري المائسات» و «روض الأدب» الخ.

وهذه الموشحة تأتي أطول بكثير مما هو معهود في الموشحات، فالموشح-كما نص على ذلك ابن سناء الملك-«يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات»، أما موشحة «جاءك الغيث» فتأتي في أحد عشر قفلا وعشرة أبيات، وسيسير كثيرون ممن عارضوها في هذا التيار،⁽¹²⁾ بل ويطلقون أكثر مما فعل لسان الدين بن الخطيب، وفي هذا ما يقلل من قيمة الموشحات كعمل غنائي بالدرجة الأولى.

والنص يدور في مجموعه حول موضوع الحب وذكرياته، مع تصوير للطبيعة، لكنه لا يلبث أن يعرج بعد ذلك على مدح صاحب غرناطة، ليختم بـ:

هاكها يا سبط أنصار العُلا

والذي إن عثر الدهرُ أقال

غادةً ألبسها الحُسْنُ مُلا

تبهر العين جلاء وصقال

عارضتُ لفظاً ومعنى وحُلا
 قولٌ من أنطقه الحبّ فقال:
 هل دري ظبيّ الحمى أن قد حمي قلبٌ صبّ حله عن مكنس
 فهو في حرٍّ وخفق مثل ما
 لعبت ريحُ الصَّبَا بالقَبَس
 وهكذا تكون خرجة موشحة ابن الخطيب هي نفسها مطلع موشحة ابن
 سهل الإسرائيلي.

ويمدنا المقرئ في «النفح»⁽¹³⁾ و «الأزهار»⁽¹⁴⁾ بنص آخر مسبق ب:
 «قال لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى،: ومما قلته من الموشحات
 التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها:

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ
 وَنَجُومُ السَّمَاءِ لَمْ تَدِرْ
 حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
 أَيَّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جُمَعَا
 غَضَلَ الدَّهْرُ وَالرَّقِيبُ مَعَا
 لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرُ
 حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
 وَأُورِدَ الْمُقَرِّي كَذَلِكَ قَسْماً مِنْ مَوْشَحَةٍ أُولَاهَا⁽¹⁵⁾:
 كَمْ لَيْلٍ الْفِرَاقُ مِنْ غُصَّةٍ
 فِي فَوْادِ الْعَمِيدِ
 نَرْفَعُ الْأَمْرَ فِيهِ وَالْقَصَّةَ
 لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ
 رَحَلَ الرِّكْبُ يَقْطَعُ الْبَيْدَا
 بِسَفْهِينِ النَّيَاقِ
 حَسِبْتُ لَيْلَةَ الْإِقْدَاءِ عَيْدَا
 فَهِيَ ذَاتُ أَشْتِيَاقِ
 وَفِي آخِرِهَا يَسْتَدِيرُ إِلَى الْمَمْدُوحِ:

يَا إِمَامَ الْعِلَاءِ وَالْفَخْرِ
 ذَا السَّنَنِ الْمُبْهِجِ

هاكها لا عَدِمَتْ في الدهر
 أَمَّا لَا يَرْتَجِي
 عارضت قول بائع التمر
 بمقه حال شجي:
 غريوك الجمال يا حفصة
 من مكان بعيد
 من سجال ماسة ومن قفصة
 وببلاد الجريد

وهذه الإشارة إلى «قول بائع التمر» تمثل مظهرا من مظاهر الالتفات إلى الجانب الشعبي، الذي كان متقدمو الوشاحين يحرصون عليه، والذي ضؤل شأنه عند المتأخرين منهم. وهذه الخرجة يصح أن تنطق معربة أو خالية من الإعراب.

ويورد المقرئ بعد ذلك «من المنسوب إلى محاسنه» مطالعا:
 قد حرك الجُلْجُلُ بازي الصباح
 واللفـجـرُ لـأخ
 فيا غرابَ الليل حُثَّ الجَنَاحُ

قال بعده: «وهذا مطلع موشح بديم له لم يحضرني الآن تمامه، لكوني تركته وجملته من كلام لسان الدين في كتبي المغرب.. وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بنفسجُ الليل تذكى وفاح
 بين البطحاح
 كأنه
 يُسْـقَى بماء وراح»⁽¹⁶⁾

● التلايسي (أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة)-المتوفي نحو سنة 780⁽¹⁷⁾

كان طبيب السلطان أبي حمو (من ملوك بني عبدا لواد، أصحاب تلمسان) ذكر له المقرئ في «النفح»، مما مدح به مدينة تلمسان، قصيدة طويلة، وكان ابن حمو هذا يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا مهيبا، تردد فيه «أمداح

المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب⁽¹⁸⁾» وفي «أزهار الرياض» مدحه نبوية تتضمن مقطعا مدحيا في السلطان-للتلاليسي، جاء أنها ألفت في مولد سنة سبع وستين وسبعمائة، أولها:

لبي مدمع هتّان
يننهل مثلُ الورد
قد صير الأجفان
ما إن لها من أثر
حُقق له يجري
دما على طول الدوام
مُنذ جدّ في السير
ناسٌ إلى خير الأنام
وعواقب نني وزري
يا صاح عن ذاك المقام

وتنتهي بـ:

تاهت تلمسان
بملكه على البلاد
صار لها شان
وسعدّها حلف ازدياد
قد ضلّ أنسان
قال بها يشكو السهاذ:
ليل الهوى يفظان
والحبّ تربّ السهر
والصبر لي خوآن
والنوم من عيني بري⁽¹⁹⁾

والخرجة استعارها من ابن سهل الأشبيلي، وهي عنده مطلع إحدى موشحاته.⁽²⁰⁾ وله موشحات أخرى وردت في «بغية الرواد»⁽²¹⁾ لأبي زكريا بن خلدون منها تبدأ بالمطلع التالي:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

يا ويح صبّ بان عنه الشبابُ وأودعَ لهيبَ وجد عندما ودّعُوا
وخرجتها عامية: وأخرى مطلعها:
سُحّي أيا مقلتي وأنهلي بدمعك الواكف المنهمل

● ابن زمرك (أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد يوسف الصريحي: (22)

أشهر تلامذة لسان الدين بن الخطيب، وهو الذي تولي الوزارة على أثر فراره من غرناطة، وكان لابن زمرك دور كبير في المحنة التي تعرض لها أستاذه. ونجد لابن الخطيب مواقف متعارضة عنه، في الطور الأول كان يشيد بابن زمرك، ويقول فيه: «هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس، وأفراد نجباؤها.. شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه.. وامتد في ميدان النظم والنثر باعه، فصدر عنه من المنظوم في امداحه قصائد بعيدة الشأن في مدى الإجادة» (23)

وفي الطور الثاني، بعد أن فسد ما بين الرجلين، نرى ابن الخطيب يقول عن ابن زمرك في «الكتيبة الكامنة»:

«هذا الرجل والتصغير على أصله، وإن لم يعب السهم صغر نصله، مخلوق من مكيدة وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر.. وإن نفذ القدر والمكتوب فأنا المعتوب، إذ اصطفيته وروجته ولغيري ما أحوجته.. فهو اليوم لولا النشأة الشائنة والذمامة البائنة، صدر العصبية ونير تلك النصبية» (24) وعنى صاحب «النفح» و «الأزهار» بابن زمرك وشعره وموشحاته أيما اعتناء، ومن بين ما أورده له مخمسة في مدح ابن الأحمر عندما استرد ملك غرناطة:

أرقتُ لبِرق مثل جفني ساهراً
ينظمُ من قَطَر الغمام جواهرها
فيسمُ ثَغَرُ الروض عنه أزهارها
وصبح حكى وجه الخليفة باهراً

تجسم من نور الهدى وتجسدا

وتقع في سبعين دورا، وتحدث عنها جومث في ثانيا ما أورده عن موشحات ابن زمرك فقال: «هي خمس عشرة، واحدة منها طويلة جدا،

تتألف من سبعين دوراً، وكل دور يتألف من خمسة أبيات موشحية». وبعد أن عرض لشكلها انتهى إلى القول بأنها «ليست موشحة حقيقية والأدق أن يقال إنها قصيدة مسمطة»⁽²⁵⁾

والحق أن المقري احتفظ بخمس عشرة موشحة من موشحات ابن زمرك، ولكن ليس من بينها هذه الخمسة الطويلة التي أوردنا مطلعها، ولعل ما أوقع جومث في اللبس أن المقري أورد أربع عشرة موشحة متتابعة، وكان قد ذكر قبلها هذه الخمسة، أما الموشحة الخامسة عشرة فتأتي بعد ذلك بأكثر من عشرين صفحة، وبعد أن كان المقري. قد فرغ من الحديث عن ابن زمرك، ومضى في ترجمة تلميذ آخر من تلاميذ لسان الدين بن الخطيب هو أبو العباس السبتي، ثم رجع مرة أخرى إلى ترجمة ابن زمرك، وأنهى الكلام عنه بـ: «وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك، فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب
لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب
يوقظه الدهر بصبح المشيب»
الخ وذكرها كاملة.

وإذن فإننا-وبعد استبعاد هذه المطولة التي تحدثنا عنها-نملك خمس عشرة موشحة لابن زمرك، ذكرها كلها المقري (وتأتي سبع منها في «الغذاري المائسات»)، ونمى على أنه انتقاها من كلام ابن الأحمر، وأول هذه الموشحات قيلت «في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله:

بالله يا قامة القضيبي
ومُخْجَل الشَّمْس والقَمَرُ
مَنْ مَلِك الحُسْن في القلوب
وأيْد اللَّحْظ بِالْحَوَرُ
مَنْ لَمْ يَكُن طَبْعُهُ رَقِيقَا
لَمْ يَدْر مَا لَذَّة الصَّيْبَا
قَرَبٌ حُرْغَدَا رَقِيقَا
تَمَلُّكُهُ نَفْحَةُ الصَّيْبَا

نشوانُ لم يشرب الرّحيقا
 لكنْ إلى الحُسْن قد صَبَا
 وتتضمن هذه الموشحة ثمانية أفعال (فهي أطول قليلا من المعتاد) ولا
 تأتي الخرجة فيها مسبوقة بـ «قال، أو قلت، أو غنى أو غنيت، أو غنت» كما
 اشترط ابن سناء الملك في مقدمة «دار الطراز» بل تختتم الموشحة بـ:

مولاي يا عاقد البنود
 تظلال الأوجه الصّباح
 أوحشت يا نخبة الوجود
 غرناطة هالة السّماح
 سافرت باليُمن والسّعود
 وعُدت بالفتح والنّجاح
 يا مُلهم القلب للغيوب
 ومُطعم النّصر والظّفر
 أسمعك الله عن قريب
 على السّلامة من السّفر
 أما الموشحة الثانية:

نسيّم غرناطة عليل
 لكنه يبرئ العليل

فتساوى في طولها مع الموشحة السابقة، أما الخرجة فهي:
 أنجز لي وعدك القَبُولُ
 فلم أقل مثل مَنْ يقولُ:
 يا سرحة الحي يا مطلولُ
 شَرَحُ الذي بيننا يطولُ
 وفيما يبدو أن الشطرتين الأخيرتين مطلع (أو ربما خرجة) موشحة
 أندلسية، ارتكز عليها ابن زمرك في موشحته هذه، وفي صنيعه هذا لون
 من الخروج على قواعد الخرجة فالمتفق عليه-كما ذكرنا- أن الخرجة كلها
 تكون مقول قول وليس قسماً منها كما هو الحال في هذا النص، على أنه
 في الموشحة الثالثة:

نواسمُ البستانِ تشرُّ سلكَ الزَّهرِ والطلُّ في الأغصانِ ينظمُهُ بالجواهر
 راعى الأصول المتبعة في الخرجة (وان لم يلتزم بالطول التقليدي
 للموشحة) إذ أنه بناها على غرار موشحة ابن سهل «ليل الهوى يقظان»
 وجعل من مطلعها خرجة لموشحته.
 و يتوالى الخروج على تقاليد الموشحة في النص الرابع، وهو في
 الصبوحيات:

ريحانة الفجر قد أطلَّت
 خضراء بالزهر تزهرُ
 وراية الصَّبح قد أطلَّت
 في مرقب الشَّمس تُنشرُ
 فالنص أطول من المعتاد، والخرجة في هذه المرة هي نفسها مطلع
 الموشحة، وهذا ما لم نره في موشحات السابقين.
 وليس في موشحة «قد طلعت راية الصباح» ما يستوقف النظر (باستثناء
 طولها المسرف) أما التي تليها: «في كؤوس الثغر من ذاك اللعس» فتأتي في
 ثمانية أفعال، وخرجتها مطلع موشحة أندلسية مهد لها في نهاية البيت
 الأخير:

أخجلت مَنْ قال في الصبح الوسيم
 مُغرماً صاباً:
 «غرد الطيرُ فنبه من نَعَس»
 يا مديد الرحاح
 «وتعري الفجرُ عن ثوب الغلَس»
 وانجلى الإصباح»

وتتكرر في بقية موشحات ابن زمرك نفس الظواهر التي أشرنا إليها
 من قبل، وتتمثل في الطول غير العادي للموشحة، وفي مجيء الخرجة غير
 مسبوقة بما يدل على أنها قول أو أغنية مما يجيء على لسان العاشق أو
 محبوبته أو نحو ذلك، بل إن روح البساطة والحرارة والحدة اختفت من
 موشحات ابن زمرك، واختفت بطبيعة الحال كل السمات الخاصة بالخرجة
 التي كان الشرط فيها «أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل
 اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة، ولغات الداصة..»

كما حدثنا ابن سناء الملك .

وربما كان أجود موشحات ابن زمرك موشحته النبوية:

لو ترجع الأيام بعد الذهاب
لم تقدح الأيام ذكرى حبيب
وكل من نام بليل الشباب
يوقظه الدهرُ أصبح المشيب
ففيها صدق وحرارة وتدفق ووثبات فكرية شجية:
يا راكب العجز ألا نهضه
قد ضيق الدهرُ عليك المَجَالُ
لا تحسبن أن الصَّبا روضة
تنام فيها تحت فيء الظلال
فالعيشُ نومٌ والردى يقظة
والمرءُ ما بينهما كالخيال
والعُمُرُ قد مرَّ كمرِّ السَّحابِ
والمُلُتقى بالله عما قريب
وأنت مخدوعٌ بلمع السَّرابِ

وخلاصة القول أن موشحات ابن زمرك تعد مثالا واضحا للنماذج التي لم تلتزم بقواعد هذا الفن كما تمثلت عند مجموع موشحي الأندلس، وهذا الخروج عن المألوف سيزداد مع الأيام تنوعاً على أيدي المتأخرين، وهذا ما سنتناوله فيما بعد .

● ابن العربي العقيلي (أبو عبد الله محمد)⁽²⁶⁾، من شعراء القرن الثامن الهجري:

ذكره المقرئ في «أزهار الرياض» نقلا عن الوادي آشي⁽²⁷⁾-فقال: «إمام الصناعة، وفارس حلبة القرطاس والبراعة، وواسطة عقد البلاغة والبراعة» ووصفه بأنه «شاعر العصر، ومالك زمامي النظم والنثر والفقيه العالم المتقن العارف الأوحد النبيه النبيل..» وأتى بنماذج من رسائله وشعره وموشحاته. فمن ذلك رسالة سماها بـ «الروض العاطر الأنفاس، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس» كتبها على لسان الغنى بالله ملك غرناطة

بعد خلعه في التوسل إلى سلطان فاس، وهناك أبيات يصور فيها حصار
النصارى لغرناطة، ويضيف المقرئ:

«وله-رحمه الله تعالى-في الموشحات اليد الطولى، فمن ذلك قوله:>
بـدـرُ أهـل الـزَّـمـانُ

الـفـرـفـيـع المـسـتـوى
لـم تـزـل فـي اـمـانُ

مـن كـسـوف الـبـدر
وذكر له قطعة من موشحة أخرى أولها:

هـل يـصـلُح الأـمـانُ

مـن شـبـيـه الـبـدر
وهـل مـثـل الـزـمـانُ

مـن تـقـمُّ الـعـدـر

وهاتان الموشحتان نسجتا على منوال «ضاحك عن جمان» للأعمى
التطيلي وفيما يبدو أن ابن العربي كان مولعا بهذه الموشحة، فقد عارضها
بموشحتين أخريين مطلع إحداهما:

بـان لـي ثـمَّ بـانُ

ذا خـدود حـمـر

يـنـثـنـى مـثـل بـانُ

فـي ثـيـاب خـضـر⁽²⁸⁾

ومطلع الثانية:

هـل لـرآك ثـانُ

فـي سـنـاه الـدـرّـى

أو لـحـبـاؤـي ثـانُ

عـن هـواها الـعـذـري

وقد فضل المقرئ هذه المعارضات على صنيع ابن أرقم، الذي تقدم
ذكره.

● اللخمى الغرناطي (أحمد بن على)، من شعراء النصف الثاني من
القرن التاسع الهجري:

وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

له في «العدارى المائسات»⁽²⁹⁾ موشحة يسبقها: «قال.. على أثر قفوله من الحج عام 849» وأولها:

حيّاك بالأفراح داعي الصّباح
قم لاصططاب
فالنوم في شرع الهوى لا يُباح

والصبح قد جرد منه حُسام
بباد البقة سسام
تضحى وجوه الزهر منه وسام
ذات ابنت سسام
وحام جُنج الليل قد عاد سام
مما يُسسام
وخافق البرق بدا بالنّياح
سامي الأياح
وأدمع المزن به في انسياح
وتتضمن ثمانية أفعال، وبها مقطع مدحي (في ابن البازي القاضي) وآخرها:

وهاكها مولاي ذات اعتقال
كمما يُققال
ترجوندى يقضى بحلّ العقال
للاننتقال
وها أنا عارضتُ فيها مقال
مَن كان قال:
بنفسج الليل تذكى وفاح
فوق الببطاح
أظنه يسقى بماء وراح
والخرجة مطلع موشحة أندلسية ذكرها المقرئ⁽³⁰⁾، وعلى نفس النسق موشحة للسان الدين ابن الخطيب مطلعها:

قد حركَ الجَلَجَلُ بآزِي الصَّبَاحِ
والفَضْفَضُ جُرُاحُ
فيا غرابَ الليلِ حثِ الجَنَاحِ
وهناك موشحة لابن سهل الإسرائيلي مطلعها:
باكر إلى اللذة والاصطباحِ
بشُرْبِ راحِ
فما على أهل الهوى من جُنَاحِ
وتعد موشحة اللخمي من النصوص القليلة التي وصلت إلينا من أعمال
الوشاحين في أخريات العهد الغرناطي.

● ابن عاصم (أبو يحيى محمد بن محمد، القيسي، الأندلسي، الغرناطي)
المتوفى بعد سنة 857 هـ: (31)

كان أبوه (أبو بكر بن عاصم) من فقهاء المالكية، وولى القضاء في غرناطة (وهو صاحب كتاب: حقائق الأزهار، وتوفى سنة 829 هـ)، وتولى هو بدوره القضاء بغرناطة، وكان من وزرائها، وله كتاب يعد بمثابة الذيل على «إحاطة» لسان الدين بن الخطيب، عنوانه «الروض الأريض في تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض» وكتاب آخر بعنوان «جنة الرضا» نقل عنه المقرئ في أكثر من موضع- في حث المسلمين على إنقاذ الأندلس.

والمقرى يصف أبا يحيى بن عاصم بـ «قاضي الجماعة، ومنفذ الأحكام الشرعية المطاعة، صدر البلغاء، علم العلماء، ووحيد الكبراء، وأصيل الحساب، الوزير الرئيس العظيم»⁽³²⁾، ويورد له في «الأزهار»⁽³³⁾: «قصيدة تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان إحداهما من المكتوب الأحمر، والأخرى المكتوب الأخضر، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة..» والقصيدة أولها:

أما والهوى (ما كنتُ) مُذ بان عهده

أَهِيْمُ بُلُقِيَا مِنْ (تَنَاشِر) وَرَدُهُ

رعى الله (لو أنصف) الصبّ في الهوى

لما فاض منه (الدمع) مذبذبان صدّه

ولوجاء من (بعد المطال) بزوره

مَا شَبَّ أَشْوَاقُ وَقَلْبِي زُنْدُهُ

كما خانَ صبرى يومَ أصبحَ (وأصلى
لظى) زادَ ماءً (منَ جفونى) وقدهُ
وهي طويلة، وذكرها المقرئ بتمامها (ولا نرى كبير غناء فيها)، استخلص
منها قصيدة أولى أولها:

(تنائثر الدَّمْعُ) من جفونى
(كالدَّر) من سلكه الثَّمين
(مُذْ أعوزَ الوصلُ) والتلاقى
(منَ بدر) حُسْنُ بلاقرين
(عَلَقْتُ فِي الحُبِّ) ظبى إنس
(جَمالُه) مرتعُ العُيون

حتى إذا أتمها استخلص منها موشحةً أولها:
تنائثر الدَّمْعُ كالِدَر
مذْ أعوزَ الوصلَ منَ بدر
عَلَقْتُ فِي الحُبِّ جَمالُه
واستخلص قصيدة ثانية أنتجت بدورها «موشحة» أولها:
ما كُنْتُ لَو أنصف
أصلى لظى الوجد المقيمُ
كالقمر الزاهي
عليه كالليل البهيمُ
ولم يكتف المقرئ بهذا القدر، بل قدم منها «موشحة» أخرى مختصرة!

● ابن سعيد الفاسى، المتوفى بعد السبعين وثمانمائة:
جاءت له في «المنتقى المقصور»⁽³⁴⁾ موشحة مطلعها:
يا عُرَيْبَ الحَيِّ من حَيِّ الحمى
أنتُم عيادي وأنتُم عُرسي
لم يحل عنكم ودادي بعدما
حُلْتُمُ لا وحياة الأنفس
والموشحة نفسها ترد في «النفح»⁽³⁵⁾ على أنها «لبعض متأخري المغاربة»،
وترد في بعض المجاميع منسوبة لفخر الدين المكناسي.

وغني عن الذكر أن الموشحة ألفت على نمط «هل درى ظبي الحمى»
لابن سهل، وجادك الغيث للسان الدين بن الخطيب.

والموشحة تتعرض في شطرها الأول لموضوع الحب، على نحو شفيف
عذري بعيد كل البعد عن المشاعر الحارة المتوهجة التي ألفتها في أعمال
الوشاحين القدامى، ذلك لأن صاحبها إنما تذرع بموضوع الحب لكي ينتقل-
في الشطر الثاني من الموشحة- للمديح النبوي:

هَمَّتْ فِي أَطْلَالِ لَيْلَى وَأَنَا
لَيْسَ فِي الْأَطْلَالِ لِي مِنْ أَرْبِ
مَا مُرَادِي رَامَةٌ وَالْمُنْحَنَى
لَا وَلَا لَيْلَى وَسُعْدَى مَطْلَبِي
إِنَّمَا سَوْلي وَقَصْدِي وَالْمَنَى
سَيِّدُ الْعُجْمِ وَتَاجُ الْعَرَبِ

ولا تنتهي بخرجة واضحة المعالم، كما هو الحال في سائر الموشحات
الأندلسية المعزوفة، والنص لا يتألف إلا من خمسة أقفال، فهل هذا دليل
على أنه مبتور؟

● الخلف (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة
899 هـ⁽³⁶⁾؛

شاعر تونسي، له مؤلفات في النحو، وكان من مداح عثمان الحفصي
(آخر ملوك الدولة الحفصية) وهناك موشحة أولها:

قَابِلَ الصَّبْحِ الدَّجَى فَاَنْهَزْمَا
وَمَحَا بِالسَّيْفِ أَفْقَ الْغَلَسِ
وَجَلَا الْغَيْمُ بِبَرْقِ رَقَمَا

ثَوْبَ دِيْبَاجٍ بِهِ الْجَوْكُوسِي
جاءت في «الدراري السبع»⁽³⁷⁾ منسوبة لـ «ابن خلف المغربي»، كما
جاءت في «الكواكب السبعة»⁽³⁸⁾ على أنها للخلفي، ونرجح أن المقصود في
كلتا الحالتين هو الخلف الذي ذكرناه.

وله في «المجموعة النبهانية» موشحة أولها:

مَا جَرَدَ عَنْ مَعَاطِفِ الْأَغْصَانِ
ثَوْبَ الْوَرَقِ
إِلَّا وَبَكَتْ بِدَمْعِهَا الْهَتَّانِ
عَيْنُ الْأَفْقِ

بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة

● المنصور السعدي (أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله) المتوفي سنة ١0١2 هـ. رابع سلاطين الدولة السعدية بالمغرب الأقصى. تولى الأمر سنة 986 هـ، وعرف بعدله وطموحه وتفتح ذهنه، وأجمع المؤرخون على أنه كان «محباً للعلم، كتب إلى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه، ورسائله إلى الجهات، خصوصاً ما كان منها في أخبار الفتح، تدل على ممارسة للأدب وعلم ومعرفة»^(١).

وفي «نفح الطيب» من موشحات السلطان المنصور:

رِيَانُ مِنْ مَاءِ الصَّبَا
أَهْيَفُ وَمَمْتَلِئِ الْبُرُودِ
كَالْغَصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا
فَوْقَ رِيَا الشَّهْبِ
قَدْ قَلَّتْ لِمَا أَنْ سَبَى
بِحَسَنِهِ يَسْبِي
مَنْ عَيْنُهُ سَلَّ ظُبَا
وْغَمْدُهَا قَلْبِي

أَسْرَنِي مَاضِي الشَّبَا
(2) أَوْطَفَ مَرْنَحَ الْقَدِّ
ولا ترد تامة، وذكر له قسماً كبيراً من موشحة أخرى يعارض فيها لسان
الدين، وابن الصابوني:

وَلِيَالِي الشَّعُورِ إِذْ تَسْرَى
مَا لِلنَّهْرِ النَّهَارِ مِنْ فَجْرٍ
حَبَا لَيْلُ طَال لِي وَحْدِي
لَوْ تَرَانِي جَعَلْتُهُ بُرْدِي
فَاطْمِيًّا فِي خَلْعَةِ الْجَعْدِي
هِيَ لَيْلَى أَخْتُ بُنْيَ بَشْرٍ
فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَبَا بَدْرٍ
وتنتهي بـ:

وَهَلَالٌ فِي حُسْنِهِ اكْتَمَلَا
هُوَ شَمْسٌ وَأَضْلَعِي الْحَمَلَا
قَامَ يَشْدُو وَيَنْثَنِي فِي مَلَا
قَسْماً بِالْهُوَى لَذِي حَجْرٍ
(3) مَا لِلَّيْلِ الْمَشُوقِ مِنْ فَجْرٍ

وهذه الخرجة مستعارة من مطلع موشحة لابن الصابوني، ونسج ابن
الخطيب على منوالها. وللمنصور السعدي موشحة ثالثة على وزن «هل
درى» لابن سهل و «جادك الغيث» لابن الخطيب:

عَطَّرَ الْأَرْجَاءَ لِمَا نَسَمَا
شَمَالَ الصَّهْبَاءِ عِنْدَ الْغَلَسِ
وَأَتَتْ شَمْسُ الضَّحَى تَنْسَخُ مَا
(4) يَقْرَأُ اللَّيْلُ لَنَا مِنْ عَبَسِ

● الفشتالي (أبو فارس، عبد العزيز بن محمد) المتوفي سنة 1031 هـ⁽⁵⁾:
وزير المنصور السعدي، الذي تقدم ذكره، أورد له المقرئ في النسخ كثيراً
من شعره، وقال أنه تناول أخباره في كتابه «بعض الآس، العاطر الأنفاس»،
في ذكر من لقيته من أعلام مراکش وفاس»، ووصفه بأنه «كان أوحده عصره،

حتى أن سلطان المغرب كان يقول: إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري به لسان الدين بن الخطيب⁽⁶⁾..

و يذكر المقرئ في موضع آخر⁽⁷⁾ أن لسان الدين بن الخطيب ألف «كتابه المسمى بجيش التوشيح، وأتى فيه بالغرائب، وذيل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب، العلم الشهير المنفرد في عصره بجيازة قصب السبق في البلاغة، سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي-رحمه الله تعالى-بكتاب سماه «مدد الجيش»...، وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة، وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسني-رحمة الله تعالى ورضوانه عليه-ما زاده زينا، وأخبرني.. أنه ذكر فيه لأهل العصر في أمير المؤمنين ولأمير المؤمنين المذكور أزيد من ثلثمائة موشح».

وقد ضاع «مدد الجيش»، ولم تصل منه إلا نصوص مبعثرة في «النفح» وغيره، وهناك في خزانة المكتبة الناصرية بمدينة سلا-أوراق يظن أنها من «مداد الجيش»، جاء فيها من نظم الفشتالي نفسه موشحة أولها:

سَبَجَ الـهَمَّ حَيْثَمَا حَلَا
بِالطَّلَايْنِ نَتَخَّ
فَارْتَشَفَ مِنْ حَبَابِهَا دُرًّا
فَفِيهِ ه.. سَسَدُخْ
قَهْوَةٌ زَفَهَا الـهَوَى بِكُرًّا
دَائِلُهُهَا خَدْرُهُهَا
سَبَكْتَ فِي أَكْوَابِهَا تَبْرًا
نَارُهَا نَارُهَا
وَجَرْتَ قَوَارِيرَهَا تَثْرَى
بِرَزْزِ شَقَّةِ رُهَا
عَدَّ عَنْ قَوْلِ مَنْ لَحِيَ جَهْلًا
دَائِلُهُمَا يَصْرُخْ
وَاجِرْ لِي مِنْ سُلَافِهَا بَحْرًا
مَالُهُ بِرَزْخْ

والنص الذي بين أيدينا يتركب من أربعة أقفال فهو-فيما نرجح-غير

كامل، وتدور الموشحة حول المديح، وخرجتها:
 بك غننى من أنشد الرملا
 في الذهب ينفض
 ساعد الله خليفة برًا
 والظَّفَرُ لَوَاخُ⁽⁸⁾

● العقاد:

ينسب له نص أوله:

ليت شعري هل تُرى أروي الظَّما
 من ظمي ذاك الثُّغَيْرُ الأُلْعَس
 وترى عيناي ربات الحمى
 زاهيات بالقُدود الميِّس
 وقد ذكر المقري أنها من «قول أحد الوافدين من أهل مكة، على عتبة
 السلطان مولانا المنصور، وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد،
 وقد عارض بها موشحتي لسان الدين وابن سهل السابقتين»⁽⁹⁾.
 شاعرنا إذن مكّي مشرقي، ولكننا نذكره هنا لنزيل اللبس الذي وقعت
 فيه بعض المراجع، فمن ذلك مجموعة «الدراري السبع»⁽¹⁰⁾ وتسميه بـ
 «أحمد العقاد الاشبيلي» ومجموعة «الكواكب السبعة السيارة»⁽¹¹⁾ وتسميه
 بـ «محمد بن العقاد الأندلسي الشهير بأبي العباس الاشبيلي» وفي «المجموعة
 النبهانية»⁽¹²⁾ أن هذه الموشحة لمحمد بن العقاد «الشهير بأبي القاسم
 الأندلسي».

● أبو القاسم بن محمد (الغساني، الشهير بالوزير):

من الشعراء الذين مدحوا الملك المنصور السعدي. أورد له المقري في
 «روضة الآس»⁽¹³⁾ قطعة من موشحة أولها:
 سَقْنِيهَا مَسْكِيَةَ النَّشْرِ
 فاقعية اللون كالتَّبَر
 من كؤوس رحيّة مُخْتوم
 بشام طرازها مرقوم

تحت عقد حبابها منظوم
وغزال جماله معلوم
مائد القدر نازل الخصر
ساحر الطرف بارق الثغر
وله موشحة أخرى-مدح بها المنصور-جاءت في أوراق يعتقد أنها من
«مدد الجيش».

● ابن إبراهيم الفاسي (محمد، الملقب ببديع الزمان):
من مداح الملك المنصور، وله في الأوراق التي يرجح أنها من «مدد
الجيش» موشحة أولها:

بارق الثغر للاح عن در
من خلال العقيق
وعذيب الريق غدا يجري
مثل كأس الرحيق⁽¹⁴⁾

ولاشك أن القارئ لاحظ أن الوشاحين المذكورين في الصفحات الأخيرة
السابقة لا ينتمون إلى الأندلس، إذ أن غرناطة-آخر المدن الأندلسية التي
كانت بأيدي المسلمين-سقطت سنة 898 هـ، وهؤلاء الوشاحون هم-بطبيعة
الحال-من شعراء المغرب لا الأندلس، على أن القدامى ما كانوا يفصلون بين
الأندلس والمغرب، هو تقليد سرنا عليه هنا.

ومن البديهي أن هناك عدداً جماً من وشاحي العصور المتأخرة، وقد
آثرنا أن نكتفي بذكر قدر محدود منهم، ومن حسن الحظ أن هناك دراسات
تناولت موشحات هذه الحقبة في كثير من التفصيل، ومن أهم هذه الدراسات
مجموعة د. عباس الجراري «موشحات مغربية»، وهو عمل بالغ الإتقان،
يتضمن إلى جانب النصوص التي حققها-تحليلاً تاريخياً دقيقاً لفن التوشيح
بعامة، وللموشح في المغرب الأقصى بخاصة.

وهناك أيضاً سفر هام يحمل عنوان «الأغاني التونسية» وضعه الصادق
الرزقي وضمنه العديد من النصوص النادرة التي تعكس ما طرأ على فن
التوشيح الأندلسي من تطورات، كما تبين الجوانب التي استمرت فيها
التقاليد القديمة للموشحة الأندلسية.

ونشير-في إيجاز-لبعض هؤلاء الوشاحين المتأخرين، وللخصائص العامة لأعمالهم، فنذكر منهم-على سبيل المثال-ابن زاكور (محمد بن القاسم) المتوفى سنة 1120 هـ⁽¹⁵⁾، وكان شاعر مدينة فاس في عصره، وله ديوان يحمل عنوان «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض» (نشرت مختارات منه بعنوان: المنتخب من شعر ابن زاكور)، ومن موشحاته يبدأ نص بـ:

أدر الكاسات من خمر اللّغس يا لها من راح تحكي الجلنار
واسقنيها خمره تجلو النفس علني أرتاح من حرّ الأوار⁽¹⁶⁾
وله موشحة طويلة قالها بمناسبة المولد النبوي، أولها:

يا لـيـلـة المـيـلاد
ما كان أحلى سـمـرك
شـفـيـت ذا أنـكـاد
بات يـشـيـم غـرـرك
فالـلـه بالـاسـعاد
بين الـليـالي نـصـرك

ومن هؤلاء الوشاحين المتأخرين محمد بو جندار، وله موشحة طويلة أولها:

عنبر الليل وكافور الصباح
بهما طاب اغتباق واصطباح⁽¹⁷⁾
قم بنا فالوقت وقت الطرب
والى الحانات باكر واخطب
بنت دن من عصير العنب
ما على صب تعاطاها جنّاح
إن الصبا والليل مسود الجنّاح

ولا يلبث أن يتغزل في الساقى، و يصف لوعة الحب التي حلت به، والداء الذي لا شفاء له منه غير... مدح المصطفى، حتى إذا ما استوفى من المديح النبوي غايته انثنى إلى مدح أحد أبناء الأسرة العلوية الحسنية، وأنهى موشحته بـ:

وسلام ترتضيه مسندام
طاب من طيبك يا مسك الختام

فأرضه مني يا بدر التمام
ما حلا لي مدحك العذب وفاح
عنبر الليل وكافور الصباح
وهذه الموشحة على نسق:
فيك المسك بكافور الصباح
ووشت بالروض أعراف الرياح
التي يظن أنها من موشحات ابن زهر⁽¹⁸⁾، لكنها أكثر تأثراً بموشحة
لتقي الدين السروجي (المتوفي سنة 693 هـ، وهو من الوشاحين المشاركة):
عنبر الليل وكافور الصباح
شعره والفرق سلطان الملاح⁽¹⁹⁾
فقد استعار منها قسماً كرره في المطلع والختام (وهو أمر لا نظير له
في تواشيع القدامى).

ومن الموشحات الأخرى، من نظم حمدون بن الحاج:
إن جُنَّ لـيـل داج
وخانني الإصباح
فأحمد الوهاج
يُغني عن المصباح
وغني عن القول أنه أخذ المطلع من قول أبي حيان الذي سقناه قبلاً:
إن كان لـيـل داج
وخائنا الإصباح
فنورها الوهاج
يُغني عن المصباح⁽²⁰⁾

لكن الوشاح المغربي أدار النص كله حول التوسل والمديح النبوي.
ولأبي محمد حمودة بن عبد العزيز نص يذكر، من بعض الوجوه، بصنيع
ابن عاصم الغرناطي في موشحته المتكلفة التي عرضنا لها قبلاً. وقد
وصف جامع «الأغاني التونسية» موشح ابن عبد العزيز بأنه «غريب التنضيد
والتركيب والتسيق والترتيب، فتحذف الكلمات الأولى من مصراعي أبياته
و يبقى الموشح صحيح المعنى والمبنى، ويتجمع من الكلم المحذوفة من كل
بيت بيت، ثم إذا اقتصر على الحذف من الأشطار الأول صح، أو أبقيت

وحذفت أولى الأَشْطَارِ الثانية صح كذلك، أو أبقيت أول الثانية وحذفت ما بعدها صح أيضاً، إلى غير ذلك من الأوجه».

وأول الموشحة:

حـرَّالـهـوـى
بـفـؤـادي جـذوة القـبـس
لـا يـنـطـفـي
مـن فـتـور الأـعـين النـعـس
قـا بـي كـوى
مـد بـدا فـالـقـلـب أحـرقـه
تـلـهـفـي
وجـفـونـي مـنـه فـي عـرـس⁽²¹⁾

وليس لمثل هذه الألاعب من قيمة فنية تستحق الذكر، ولكنها تفسح عن بعض الزوايا التي اتجهت لها موشحات المتأخرين من الشعراء. ولابن عبد العزيز هذا موشحات أخرى لا تتكئ على مثل هذا العبث، منها ما قاله في مدح شيخه أبي عبد الله الغرياني من علماء القيروان:

إنَّ ظـبـيـاً حـول كـثـبـان الحـمـى
بـات يـرعى زهـرات الأنـفـس
فـهـو مـذ لا ح سـنـاه أضـرمـا
بـفـؤـادي جـذوة المـقـتبـس⁽²²⁾

وهذه الموشحة، كما هو بيّن، على غرار قول ابن سهل «هل درى ذي الحمى» وموشحة لسان الدين بن الخطيب «جادك الغيث».

ولمصطفى بن الإمام محمد بيرم الحنفي موشحة أولها:

يـا سـالـب الأرواح
مـهـمـا أنـثـنى القـد
ومـخـجـل الألباب
بـمـا حـوى الخـد⁽²³⁾

بناها على غرار ابن سهل:

بـمـهـجـتي تـيـاه
أحـوى أحـم⁽²⁴⁾

تَسْأَلُنِي عَيْنَاهُ

كَوُوسٍ سُوْ

وبلغت النظر في أعمال متأخري الوشاحين كثرة معارضاتهم لـ «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، و «جارك الغيث إذا الغيث همي» لابن الخطيب، فمن ذلك أكثر من موشحة لأبي التثاء محمود قابادو، منها قوله:

صَاحَ هَا شَمْلُ السَّرُورِ انْتَضَمَا

وَاجْتَنَمْنَا فُرْصَةَ الْمُخْتَلَسِ

وَتَنَاوَلْنَا مَصَابِيحَ السَّمَاءِ

فَأَدْرَنَاهَا مَكَانَ الْأَكْوُسِ

وَتَلَاَقَيْنَا تَبَاشِيرَ الرِّيْعِ

بِهَدَايَاهَا عَلَى هَامِ الرُّبَى

وَأَتَانَا الدَّهْرَ مِنْهَا بِشَفِيعِ

فَغَضَرْنَا لَهُ مَا قَدْ أَذْنَبَا

وَحَلَلْنَا فِي حِمَى حَصْنٍ مَنِيعِ

وَأَمَانَ مِنْ عَيُونِ الرُّقْبَا (25)

وأخرى مطلعها:

هَاجَ أَجْضَانِي وَقَلْبِي الْمُغْرَمَا

بَارِقُ أَنْسَتَهُ مِنْ تَوْنَسِ

وَيَحَهُ لَوْلَمْ يَلْحُ مَا عَلِمَا

مَا أُوَارِي مِنْ أُوَارِي الْمَوْجَسِ (26)

والموشحتان تختتمان بمطلع موشحة ابن سهل، وتختلفان في أنهما طويلتان طولاً مسرفاً، وصل فيه عدد الأقفال في الموشحة إلى نحو عشرين قفلاً. وشاع لون عرف باسم «المألوف» ويسمى في بعض أرجاء المغرب باسم «الغرناطي» وهو بحسب تعريف الصادق الرزقي:-

«أشعار غنائية، انتخب من قصائد وموشحات وأزجال شتى من كلام الأندلسيين وأهل المغرب وبعض التونسيين، قد رصفت ونضدت بصفة تميل إليها الخواطر، وتستحسنها الأذواق (27)»، وقد استعرضنا عدداً منها فوجدنا فيها، إلى جانب مقتطفات من أعمال أهل الأندلس والمغرب، استشهادات من نتاج الشعراء والوشاحين المشاركة، ففي «المألوف» الذي

أوله:

لَكَ الدَّلَالُ وَأَنْتَ بَدْرُ كَامِلُ
 (28) وَيَحِقُّ لِلْمَحْبُوبِ أَنْ يَتَدَلَّلَا
 مَقْطَعٌ مُسْتَقِلٌ مِنْ مَوْشَحَةٍ لَصْفِي الدِّينِ الْحَلِيِّ:
 شَقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحِيرِ الصَّبَاحِ
 (29) أَيُّهَا السَّاقُونَ
 وَفِي نَصِّ آخِرِ أَوَّلِهِ:

صَادَ الْقَالُوبُ بِمَقَالَةٍ وَسُنَاءِ
 (30) وَسَبَى الْعُقُولَ بِطَلْعَةِ وَسَنَاءِ
 وَرَدَ مَطْلَعُ مَوْشَحَةٍ لَتَقِي الدِّينَ السَّرُوجِيَّ:
 بِالرَّوْحِ أَفْدِيكَ يَا حَبِيبِي
 (31) إِنْ كُنْتُ تَرْضَى بِهَا فِدَاكَ
 وَفِي نَفْسِ النَّصِّ بَيْتَانِ مِنْ شَعْرِ بَهَاءِ الدِّينِ زَهِيرٍ:
 يَعَاهِدُنِي لَا خَانَنِي ثُمَّ يَنْكُثُ
 وَأُحْلِفُ لَا كَلَمْتُهُ ثُمَّ أُحْنَثُ
 وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ
 فِيمَا مَعَشَرَ الْعُدَّالِ عَنَا تَحْدَثُوا

وليس «المألوف»-في نهاية المطاف-من الموشحات، وإن كانت أجزاء منها تدخل في تركيبه، وهو يرتبط ارتباطاً أساسياً بالغناء والموسيقى، وأما معنى لفظة المألوف فإن ظاهرها يدل على أنها تعني «المألوف»، والذي نرجحه نحن أن أصلها «المؤلف»-بفتحة اللام المشددة-لأن نص «المألوف»-كما عرفنا-يؤلف من أشعار مختلفة تتضمن الموشح والزجل وكذلك الشعر (القريض).

موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

* إسماعيل اليهودي:

انظر: قسمونة.

* قسمونة اليهودية:

لا نعرف شيئاً عنها ولا عن عصرها، وجاء عنها في «النفح:

«وكان بالأندلس شاعرة من اليهود، يقال لها قسمونة بنت إسماعيل المجودي، وكان أبوها شاعراً، واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر» وأورد أن أباهامتها يوماً في الارتجال، فلما أظهرت براعة: «قام كالختيل وضمها إليه، وجعل يقبل رأسها ويقول: أنت والعشر كلمات أشعر مني»⁽¹⁾.

● ابن أبي الرجال:

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيح»، ورجح محقق الكتاب أن يكون «الذي قال عنه ابن الآبار: نكبه المعز بن باديس الصنهاجي، وكان هو وأهل بيته برامكة أفريقية»⁽²⁾.

● ابن ملوك (أبو بكر):

عده صاحب «التوشيع» من بين مشاهير وشاحي الأندلس (3)

● تلل الغد (٩) (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي)

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيع» (4)

● الفليشي (أبو عمران، موسى بن محمد بن بهيج، الكفيف):

جاء عنه في «معجم السفر» للسلفي (المتوفى سنة 576 هـ) (5):

«حدثني أبو عبد الله بن محمد بن ملوك (هل هو أبو بكر بن ملوك المذكور قبلاً؟) الترخي الفليشي بالإسكندرية، بعد رجوعه من مكة، وفليش قرية من قرى لرقه بشرق الأندلس قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف المربي مدة بالمشرق، فعمل بمصر موشحاً أوله:

يَا مُنْجَمِينَا
هَلْ لَلْغَرِيبِ سَبِيلُ
نَحْوَالْظَاعَنِينَا
فَالْقَابُ مِنْهُ عَلِيلُ
لَا يَأْخُذُ مُعِينَا
إِلَّا دَمُوعَاتُ سَبِيلُ
وَيُجْرِيهَا هَتُّوْنَا
مَنْ جَفَنَهُ وَيُذِيلُ

● ابن جودي:

تضم مخطوطة «الكواكب السبعة السيارة» موشحة أولها:

لَا تَلْمَنِي يَا عَذُولِي تَأْثَمَا
مَا تَرَى جَسْمِي بِسَقْمٍ قَدْ كُوسَى
مِثْلَ مَا شَرَحَ غَرَامِي عَلَمَا
حَيْثُ أَشْكُو وَحْشَةً مِنْ مَوْئَسِي
وَأَخْرَهَا:

فَتَنَزَّهُ فِي رِيَاضِ خُضْرٍ
وَعَصُورٍ غَرَدَتْ فِيهَا هَزَارُ

وانتشق عرف زهور عطر
 ياسمين زينته الجانار
 وشذا الزهر كـمسك أذفر
 وأقبل العذر لابن البزددار
 طامع في رحمة الله وما
 خاب عبد طامع لم يياس
 يا إلهي جـد علينا كرماً
 يا كريم أقبل أخذ الأنفس (6)

ونسبت هذه الموشحة لأبي الحسن بن جودي، ويرد النص نفسه في مجموعة «الدراري السبع» (7) منسوباً لـ «علي بن الحوري الأندلسي» وفي اسم «الحوري» ما يوحي بأنه محرف عن «الجودي».

والحق أن الأندلس عرفت أديباً اسمه أبو الحسن علي بن جودي، ذكره المقرئ في «النفح» وقال إنه برز في الفهم، وأحرز منه أوفر سهم، وعانى العلوم بقريحة ذكية.. وله أدب واسع مداه،.. ونظم أرق من دمع العاني (8) وأورد له نماذج كثيرة تتسم بصدق الشاعرية والعذوبة، منها تخميس قال إنه «مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم»، كما ذكر له أخباراً مع الفيلسوف ابن باجه (9) (المتوفي سنة 533 هـ).

وتجئ ترجمة ابن جودي في «النفح» وسط خضم من الاستطرادات، فقد ذكر له شعراً مما جاء في «المطمح» لابن خاقان، ثم ذكر خطبة كتاب «المطمح» وأورد بعد ذلك موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، تتلوها معارضة «بعض متأخري المغاربة»، لموشحة ابن سهل، وجاء بعد ذلك: «وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة» ثم أورد النص الذي ذكرنا أوله وخاتمته، فهل تعني: «وقال..» رجعة إلى ابن جودي أم لا؟

إننا نرجح أن صاحب «الكواكب السبعة» اطلع على ما في «النفح»، واعتبر أن النص المذكور لأبي الحسن علي بن جودي، ولا نوافقه على هذا الرأي، وعندنا أن هذه الموشحة أقرب إلى أن تكون من نظم بعض متأخري الوشاحين المغاربة، وبحسبك أن تنظر لمثل قوله «مثل ما شرح غرامي علماً» أو «وانتشق عرف زهور عطر» لتستدل على صحة ما نقول.

ومن جانب آخر فإن هذه الموشحة لو كانت لابن الجودي (المتوفي في

القرن السادس الهجري) لما صح أنها معارضة لموشحة ابن سهل «هل درى» وابن سهل-كما هو معروف من أدباء القرن السابع الهجري، ولوجب القول بأن ابن سهل (ومن عارض موشحته «هل درى» مثل لسان الدين بن الخطيب) هو الذي عارض ابن الجودي، وهذا ما لم يقل به أحد.

● ابن عيسى الاشبيلي:

شخصية مجهولة، لم نجد لها ترجمة، وأورد له ابن سعيد في «المغرب» موشحة جميلة مطلعها:

عَـرِفُ العَـرُوضِ فُـاح
وَالطَّيْرِ قَدْ غَنَى
وَالصَّبْحُ أَضَا
فَبَاكَر الدَّنا⁽¹⁰⁾

ونستبعد أن يكون ابن عيسى هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبانة-وقد سبق الحديث عنه-لأن ابن اللبانة و على الرغم من أنه أقام في اشبيلية طويلاً (في كنف المعتمد بن عباد) إلا أنه لا ينسب في العادة لها بل إلى دانية.

● ابن البنا التلمساني:

جاءت في «الغذاري المائسات» موشحة مطلعها:

مَنْ أَطْلَعَ فَوْقَ مَائِسِ الرِّيحَانِ
بِـدْرِ الأَفُقِ
يَهْتَزُّ مَنَعْمَا عَلَى كَثْبَانِ
تَحْتَ العُـسُقِ

نسبت «للفقيه الأديب أبي عبد الله محمد بن البنا، كاتب شاعر متخلق ظريف، من أهل تلمسان»⁽¹¹⁾، فهل المعنى هنا «أبو عبد الله بن العباس التلمساني» من علماء القرن الثامن الهجري، وقد ذكره المقري في «نفح الطيب» وقال: «إنه كان رجلاً صالحاً»⁽¹²⁾؟ لسنا على ثقة من ذلك، لأننا لم نجد له ما يدل على أنه كان شاعراً.

وخرجة الموشحة:

ما أخلَّ قَدُّه غصونَ البان
بين الـ_____ ورق
إلا وسببا المهامع الغزلان
سود الحـ_____ دق

وهي بعينها مطلع موشحة مشرقية شهيرة ⁽¹³⁾ لصدر الدين بن الوكيل
(المتوفي سنة 716 هـ) ألفها على نسق موشحة «مذ شمت سنا البروق من
نعمان» ⁽¹⁴⁾ للسراج المحار، وعلى غرار موشحة الشهاب الموصللي «مذ غردت
الورق على الأغصان» ⁽¹⁵⁾

لعل الموشحات أهم الأشكال التي تفتقت عنها القريحة العربية، في سعيها الحثيث نحو الابتكار والتجديد فقد ظهرت قبلها وواكبتها ألوان أخرى متنوعة، بالفصحى وبالعامية، مثل المسمطات والدوبيت... الخ، ولكن كثيراً منها انطوت صفحته منذ أمد بعيد، أو عاش مغمور الشأن ضئيل الأثر، أما الموشحات فإنها ازدادت مع الأيام رونقاً، وشمل تأثيرها العالم العربي كله، بل والأكثر من هذا أنها تعدت نطاق العالم العربي، وظهرت على غرارها موشحات بالعبرية، فضلاً عن أن جمهرة من علماء الغرب تذهب إلى أن الموشحات (والأزجال) تمثل الركيزة التي بنيت على أساسها أغاني التروبادور، إلى غير ذلك من قضايا تتجاوز نطاق هذه الكلمة. والموشحات في واقع الأمر فن أندلسي خالص، بمعنى أنه لم يعرف في صورته الناضجة المكتملة إلا على أرض الأندلس، وليس في هذا الرأي ما يتعارض والقول بأن هناك أعمالاً ظهرت بالشرق، يعدونها بمثابة الإرهاب أو التمهيد لظهور هذا اللون الجديد، الذي بزغت شمسها في أخريات القرن الثالث الهجري، على يد شعراء مثل محمد بن محمود (أو حمود) القبيري، ومثل مقدم بن معافي، الذي ينتسب بدوره إلى قبيلة، إحدى القرى الواقعة قرب قرطبة.

و يضم كتاب «الذخيرة» لابن بسام أقدم إشارة

وصلت إلينا عن طور نشأة هذا الفن:

«وأول من صنع هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار من الأشعار، غير أن أعثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان».

وهذه الفقرة غاصة بالمصطلحات غير محددة الدلالة، وفيها إشارة عابرة إلى أوزان الموشحات الأولى وما كانت عليه من ارتكاز على مقطع عامي-شعبي؟ أو أعجمي (بالرومانث، لغة الأسبان الأصليين)، وبها تلميح إلى شكل لا «تضمن» فيه ولا «أغصان، الصورة كلها تتسم بالغموض، ومع ذلك فإنها تترك في النفس انطباعاً ما بأن شكل الموشحة القديم كان شديد البساطة، ليس فيه هذا الإكثار من الأجزاء في الأقفال والأبيات، الذي يلحظ في كثير من النصوص التي ألفت في فترات لاحقة، وبمعنى آخر إن صورة الموشحات في مرحلة تكوينها كانت أقرب إلى طبيعة الأغنية الشعبية من حيث بنائها على «الأعاريض المهمة غير المستعملة»، وارتكازها على «اللفظ العامي أو العجمي»، ولا خلاف على أن المقصود بكلمة «اللفظ» هنا ذلك المقطع الختامي، الذي تصل فيه الموشحة إلى ذروة توهجها، وهو ما أطلقت عليه تسمية الخرجة.

ويتلاقى هذا الفهم مع قول ابن سناء الملك:

«والخرجة هي ابزار المرشح وملحه، وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة و ينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها، ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية».

ثم يجيء فريق من الشعراء مجددون في هيكل الموشحة، منهم يوسف بن هارون الرمادي، الذي يذكر ابن بسام أنه «أول من أكثر فيها من التضمنين في المراكز»، ومنهم عبادة بن ماء السماء الذي «أحدث التفسير»-؟- ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز».

وتكون النقلة التالية إلى عبارة شهيرة لابن خلدون تقول:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وكذبت مناحيه وفنونه

وبلغ التتميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً، يكثرّون منها ومن أعاريضها المختلفة، فيسمون المتعدد منها ببنياً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها، متتالياً فيها بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب».

وعند هذا الحد تكون قد تجمعت بين يدي القارئ معظم الخيوط المتصلة بهيكل الموشحة ومصطلحاتها، ولكن تتبغي ملاحظة ما تتميز به الموشحات من مرونة، كذلك فإن المصطلحات التي تتردد (التضفير، التصغير، التضمين- هل تجني كلها معنى واحداً؟- الأغصان، الأسماط) مجال لاختلاف وجهات النظر إلى حد بعيد، يضاف إلى هذا ما يظهر في حقب لاحقة من مصطلحات جديدة مثل «الدور» وقدر موفور من التعبيرات المستمدة من الاصطلاحات-الموسيقية، بحكم الصلة الوثيقة بين الموشحات والغناء، ولا يبقى إلا الإشارة لاستقرار دلالات «القفل» و«الخرجة»، فقد أفلتا-أو كادا- من دوامه الجدل والخلاف.

ولا تثير مسألة الموضوعات التي تعالجها الموشحات كثير الجدل، وقد حسم ابن سناء الملك القضية عندما قال إنه «يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والثناء والهجو والمجون والزهد، وما كان فيها في الزهد يقال له المكفر» وساق ابن خلدون رأيها مشابهاً: «وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد» ولكن هذه الأقوال لا تبين طبيعة التطور الذي طرأ على الموضوعات، كما أنها لا تحدد مدى مناسبة هذه الموضوعات لطبيعة الموشحات.

والتصور الطبيعي أن الموشحات بدأت أول ما بدأت بمعالجة موضوعات الغزل والوصف والحنين والخمریات، أي تلك الفنون شديدة الصلة بالموسيقى والغناء، ثم جاء طور لاحق أخذت تعالج فيه بقية الأغراض المألوفة في القصائد، كامديح مثلاً (أما الرثاء والهجاء فإنهما لم يشغلا إلا مكانة ثانوية)، ولا يأتي-في العادة-إلا مسبوقاً بتمهيدات غزلية أو وصفية أو نحو ذلك.

أما الموشحات الزهدية والدينية فإنها تمثل طوراً تالياً تبرز فيه أسماء

عديدة مثل أبي مدين وابن عربي والششتري وابن الصباغ...، وعلى أيدي هؤلاء يعود للموشحة جانب من انتمائها للبيئة الشعبية وللغناء، وتنداح هذه الموشحات في حلقات الذكر والمتدروشين، منفلة في أحياء كثيرة من قواعد الفن وفصاحة اللغة، مرتحلة في ركاب هذه المواكب الهائلة في فجاج الأرض.

ولربما كان من الضروري أن تعرج هذه الكلمة على أعلام التوشيح في الأندلس، وهنا ستكون لنا أكثر من وقفة:

وقفة أولى تتناول مرحلة النشأة، حيث تبرز ثلاثة أسماء:

محمد بن محمد القبري، ومقدم بن معافي، ثم ابن عبد ربه صاحب «العقد الفريد»، فالمصادر تؤكد أن هؤلاء هم الرواد الأوائل لهذا الفن الجديد، وإن كان الملحوظ أن ابن بسام يسوق اسم محمد بن محمود على اعتبار أنه «المخترع» الأول ثم يضيف:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» وبمعنى آخر أن ابن بسام لا يذكر اسم مقدم بن معافي في هذا الصدد (بل أن اسم مقدم لا يرد على الإطلاق في جميع أجزاء الذخيرة)، بينما يجيء في «المقتطف من أزهار الطرف» لابن سعيد، ونقل عن الحجارى صاحب «المسهب».

«أن المخترع لها-للموشحات-بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد».

وببقى بعد هذا أن المعلومات عن محمد بن محمود وعن مقدم بن معافي من الندرة بمكان، وإذا كان الاسم الثالث-اسم ابن عبد ربه-ملء السمع والبصر بفضل كتابه «العقد» فإن صلته بفن التوشيح تبدو شديدة الغموض، والشيء المؤكد-على كل حال-أن المصادر لم تحتفظ ألبته بأي نموذج من تأليف هؤلاء الرواد، مما يجعل الحديث عن الموشحات الأولى محفوظاً بالصعاب، لا يعتمد فيه إلا على بعض العبارات الموثقة في «الذخيرة» و «المقتطف».

ومن الطبيعي أن الصورة، في المرحلة التالية، تأتي أكثر وضوحاً، والإشارة هنا للجيل الثاني من الوشاحين الذي حمل الراية بعد جيل الرواد، وهذا

الجيل الثاني يضم أسماء شهيرة في تاريخ الأدب الأندلسي مثل يوسف بن هارون الرمادي، وابن ماء السماء، وابن عبادة لكن تظل هناك-مع ذلك- ملامح يشوبها الغموض، فإننا لا نملك نماذج إلا لاثنتين من سبعة وشاحين يذكرون في هذه المرحلة، فضلاً عن أن قدرا من الاضطراب يسيطر على المعلومات والنصوص المعروفة لهذين الوشاحين (ابن ماء السماء وابن عبادة) وربما أدى المزيد من التنقيب في التراث الأندلسي إلى الكشف عن معلومات تزيل ما يرين من لبس في هذه الناحية.

ومن حسن الحظ أن الموشحات في المرحلة الثالثة-التي تستغرق فترة القرن السادس الهجري كله-تكون قد نضجت كل النضج، واستقامت لها كل قواعدها الفنية وبرزت أسماء رنانة مثل ابن بقل والأعمى التطيلي وابن زهر (الحفيد)، ولملت نصوص فياضة بالسحر والوهج
مثل:

بأبـي ظـبـي حـمـى
تـكـنـهـ أسـد غـيـل

ومثل:

ضاحـك عـن جـمـان
سـافـر عـن بـدر
ضاق عـنـه الزـمـان
وحـوـاه صـدرى

وتتساب نغمات شاردة، يمتزج فيها الجوى والغزل والافتتان بالطبيعة
كما في موشحة ابن زهر:

حـي الـوـجـوه المـلـاحـا
وحـي نـجـل العـيـون
أو قطعتـه الشـهـيرة:

أيهـا السـاقـي إلهـك المـشـتـكى
كـم دـعـونـاك وإن لم تـسـمـع

والخلاصة أن هذا الفن يصل إلى قمة تمامة في القرن السادس الهجري، وقد احتفظت مجموعات مختلفة مثل «دار الطراز» و«توشيع التوشيع»، و«جيش التوشيع» بقدر وفير من النصوص الجميلة التي تنتمي لهذه الفترة.

وتجئ مرحلة تالية-في القرن السابع الهجري-تبدأ فيها الموشحات الصوفية في التدفق، وتظهر هنا وهناك بعض سمات الخروج عن القواعد المتفق عليها، على أن التقاليد الأصيلة تظل ماثلة عند عدد من المبرزين في التوشيح، مثل ابن سهل الاشبيلي صاحب النص المعروف:

هل درى ظبي الجمى أن قد حمى
قلب صبّ حاله عن مكُنس

وصاحب موشحة «رحب بضيف الأنس» التي لم تشتهر شهرة «هل دري»، ومع ذلك فإنها لا تقل عنها جمالا، فضلا عن أنها تخلف في النفس أثرا يشبه من بعض الوجوه ما تخلفه قراءة «رباعيات الخيام» من أصداء وعبق وحرارة.

وآخر حلقة تشمل شعراء القرنين الثامن والتاسع، وهي حقبة تنتهي سنة 898 هـ بانتهاء الهيمنة الإسلامية على آخر مدينة أندلسية هي غرناطة، وهكذا يقدر لأصدقاء الموشحات أن ترتحل بعيدا عن أجواء الحمراء ومغاني غرناطة، كما ارتحلت من قبل عن قرطبة واشبيلية وطليلة وغيرها من مدن الأندلس.

ولم تخل هذه المرحلة من وشاحين مجودين مثل أبي حيان الغرناطي وابن خاتمة الأنصاري وأبن زمرك، على أن أشهرهم جميعا لسان الدين بن الخطيب الذي يتألق في فن التوشيح على نحو فريد، وبحسبه أنه صاحب:

جاءك الغيث إذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلس

وقد عارض فيها موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، لكن المعارضة فاقت الأصل شهرة، وأصبحت معلما بارزا من معالم فن التوشيح إلى يومنا هذا.

وللرجل نفسه نصوص أخرى لا تقل براعة عن «جاذك الغيث» مثل موشحته:

قد حرك الجُلْ بـازي الصَّبَاحِ
والفـجـة رَاحِ

فِيَا غَرَابَ اللَّيْلِ حُتَّ الْجَنَاحُ

ومن الغريب حقا أن موشحته:

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ
وَنَجُومُ السَّمَاءِ لَمْ تَدُرْ
تَجِيءُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ مُصَدَّرَةٌ بـ:

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها «فهل طمس رسم الموشحات حقاً في الحقبة التي عاش فيها ابن الخطيب؟ لا نظن، ولعل الرجل كان يقصد أن الأيام عدت على ذلك العهد الزاهي الذي كانت فيه الموشحات تتردد في أبهاء القصور، ومجالي اللهو والطرب، وأنه يقصد أن الأجيال اللاحقة لم تعد تبذل في هذا الفن نصوصاً من نمط ما أبدع من قبل ابن بقي والتطيلي وابن زهر.

وهكذا تكون رحلة الموشحات على أرض الأندلس قد انطوت بعد فترة دامت زهاء خمسة قرون، استطاعت فيها أن تضيف لقيثارة الشعر العربي وتراً جديداً قوامه التوهج والصفاء، والتعبير عن خوالج النفس، والإحساس العام بالحب والطبيعة والحياة.

ملاحق

نماذج من الموشحات

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

نماذج من الموشحات

● عبادة بن ماء السماء (المتوفى نحو سنة 420هـ):

- مـن ولى
 في أمة أمرا ولم يعدل
 - حب المـها عبادة
 من كل بسام السواري

● ابن عبادة القزاز (المتوفى نحو سنة 500 هـ):

- رح للراح وبـاكر
 بالمعلم المشوف
 - كم في قدود البان
 تحت المـم

● ابن اللبانة (المتوفى سنة 506 هـ):

- شاهدي في الحب من حرقى
 أدمع كالجمـر تنذر
 - هـلا عذولي قد خلعت العذار
 لا اعـتـذار.

● ابن أرفع رأسه (أوائل القرن السادس الهجري):

- من علق القـرطـا
فـي أذن الشـعـر

● ابن لبون (أوائل القرن السادس الهجري):
- من أطلع البدر في كمال
غصن اعتدال

● الكميت البطليوسي (النصف الأول من القرن السادس الهجري):
- لاح للروض كل غرابطاح
زهر زاهر

● ابن عيسى المرسى الخباز (النصف الأول من القرن السادس الهجري):
- من لي بظبي ربيب
يصيد أسد الغياض

● الأعمى التطيلي (المتوفى سنة 525 هـ):
- دمع سفوح وضلوع حرارة
ماء ونار
- ضاحك عن جمان
سافر عن بدر

● أبو بكر الأبيض (المتوفى بعد سنة 525 هـ):
- من سقى عينيك كأس المدام
يا منى المستهام

● ابن الزقاق (المتوفى سنة 530)
- خذ حديث الشوق عن نفسي
وعن الدمع الذي همما

● ابن رحيم (المتوفى نحو سنة 530 هـ):
- نسيم الصبا أقبل من نجد
لقد زادني وجدا على وجد

● أبو بكر بن بقى (المتوفى سنة 545 هـ):
- ساعدونا مصباحينا
نرتشضا قد ظمينا
- مـالـي شـمـول
إلا شـجـون

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة 550 هـ):
- ذهبـت شـمس الأصيل
فضـة النـهر

● أبو عبد الله بن شرف (المتوفى سنة 570 هـ):
- يـاربـة العـقـد
مـتـى يـقـاد

● ابن مالك السرقسطى (المتوفى سنة 571 هـ):
- مـاذـا حـمـوا
فؤاد الشـجـى يوم ودعوا

● ابن زهر الحفيد (المتوفى سنة 595 هـ):
أيها الساقى إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
حى الـوجـوه المـلاحـا
وحى سـود العـيون

● محيى الدين بن عربي (المتوفى سنة 638 هـ):

- عندما لاح لعيني المتكا
ذبت شوقا لذى كان معى

● ابن سهل الاشبيلي (المتوفى نحو سنة 650 هـ):
- هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

● ابن خلّامة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ):
قم هاتها قهوة
كدمع مـهـجـور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 776 هـ):
- يا حادي الجمال
عرج على سلا

● ابن زمرك (المتوفى سنة 795 هـ):
- نسيم غرناطة عليل
لكنه يبرئ العليل

● اللخمي الغرناطي (من شعراء القرن التاسع الهجري):
- حياك بالأفراح
داعي الصباح
قم لاصطباح

● المنصور السعدى (المتوفى سنة 1012 هـ):
- عطر الأرجاء لما نسما
شمال الصهباء عند الغلس

● عبادة بن ماء السماء (نحو سنة 420 هـ):

١

مَنْ وَلِيَ فِي أُمَّةٍ أَمْرًا وَلَمْ يَعْدِلْ يُعْزَلْ إِلَّا لِحَاطَةِ الرِّشَاءِ الْأَكْثَلِ
جُـرَّتْ فِـي

(1)

حُكْمِكَ فِي قِتَالِي يَا مُسْرِفُ
فـانـصـفـ

فَوَاجِبًا أَنْ يَنْصِفَ الْمُنْصِفُ

وارأف

فَإِنَّ هَذَا الشُّوْقَ لَا يِرْفُ
عَلَّيْ جَوِيَّ مُشْعَلُ
قَلْبِي بِذَلِكَ الْبَارِدِ السَّلْسَلِ يَنْجَلِي (2) مَا بِفَوَادِي مِنْ

إنهم

يَبْرَزُ كِي يَوْقِدَ نَارَ الْفِتَنِ (3)

صنما

مَصُورًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ

إن رَمَى

لَمْ يُخْطِ مِنْ دُونِ الْقُلُوبِ الْجُنُنُ
كَيْفَ لِي تَخْلُصَ مِنْ سَهْمِكَ الْمُرْسَلِ فَصَلْ وَاسْتَبْقِنِي حَيًّا وَلَا تَقْتُلْ
يَا سَـنْـنَا

الشَّمْسِ وَيَا أَبْهَى مِنَ الْكَوْكَبِ (4)

يـامـمـنـي

النَّفْسِ وَيَا سَوْئِي وَيَا مَطْلَبِي

هنا أننا

حَلَّ بِأَعْدَائِكَ مَا حَلَّ بِي
عُدْلِي مِنْ أَلَمِ الْهَجْرَانِ فِي مِعْزَلِ وَالْخَلَى فِي الْحُبِّ لَا
يَسْأَلُ عَمَّنْ بَلَى

أننت قد

صَيَّرْتَ بِالْحَسَنِ مِنَ الرَّشْدِ غِي

لـم أجـد
 في طرفي (5) حـبك (6) دِيننا على
 فـاتـنـد
 وان تشا في قتلي شيئاً فـشئ
 أجمل ووالتي منك يد المفضل (7) فهي لى من حسنات الزمن المقبل
 مـا اغـتـنـى
 طـرفـى إلا بسـننا ناظرـىك
 وكـذا
 في الحـب ما بي ليس يخـفى عليك
 ولـذا
 أنشد والقـلب رهينٌ لـديك:
 يا على سلطت جفنيك على مقـتلي فابـق لى قلبي وجـد بالفضل يا موثـلى

٢

حـب المـها عـبـادة
 من كل بـسام السـوار
 قمرٌ يطلع من حسن آفاق الكمال حسنة إبداع
 لـه ذات حـسن
 مـا لي حـلة المـحـيا
 لـها قـوام غـصن
 وشـنـفـها الثـريا
 والثـغـر حـب مـزن
 رـضـا بـه الحـمـيا
 مـن رـشـفـه سـعادة
 كأنه صـرف العـقار
 جوهر رصع يسقيك من حلو الرلال طيب المشرع
 رشـيـقة المـعـاطف
 كالغـصن في القـوام

شهـديـة المـراشـفـ
 كالـدُر في نـظـام
 دـعـا صـيـة الـرـواـدـف
 والـخـصـرُ ذـوانـهـ ضـام
 جـوالـة الـة الـلـادـة
 مـحـا وـلـة عـقـد الـإـزـار
 حـسـنـها إـبـدعَ مـن حـسـن ذـيـاك الغـزال أكـحـل المـدـمـعَ
 لـيـالـيـة الـذـوائـب
 ووجـهـهـ هـانـهـ هـار
 مـصـقـولـة الـتـرائـب
 ورشـفـهـا عـقـار
 أصـداغـهـا عـقـارب
 والـخـدُّ جـانـار
 نـا دـيـتْ؛ وافـؤادـة
 مـن غـادـة ذات اقـتـدار
 لحـظـها أقـطـعَ مـن حدِّ مـصـقـولـة النـصال مـن الفـتى الأشـجـعَ
 سـفـر جـل الـنـود
 فـي مـرمر الـصـدور
 يُـزـهـى عـلى الـعـود
 مـن لـذـة النـحـور
 ومـقـالـة وجـيـد
 مـن غـادـة سـور
 حـبـي لـها عـبـادـة
 أعـودُ مـن ذا الـفـخـار
 برشاً يـرتـعَ فـي روض أزهار الجـمال كلـما أـينـعَ
 عـفـيـة الـذـيـول
 نـقـيـة الـثـياب
 سـلا بـة الـعـول
 أرقُ مـن شـراب

أضحى بها نحولي
في الحبّ من عذابى
في النوم لى شِـرَادة
وحُكْمُها حكم اقتدار
كلما أَمْنَعُ منها فإن طيفَ الخيال زارنى أهجّع

● ابن عبادة القزاز (نحو سنة 500 هـ)

١

رُحُّ لِلرَّاحِ وَبَاكِرُ بِالْمُعْلَمِ الْمَشُوقِ غِبُوقاً وَصَبُوحُ عَلَى الْوَتْرِ الْفَصِيحِ
 لَيْسَ اسْمُ الْخَمْرِ عِنْدِي
 مَا أَخُو ذَا فَعَاءِ اسْمُ
 إِلَّا مِنْ خَاءِ الْخَدِّ
 وَمِيَمِ الْمُبْسَمِ
 وَرَاءِ رِيْقِ الشَّهْدِ
 الْعِطَاطِ الرَّائِقِ
 فَكُنْ لِلَّهِ هَاجِرُ وَصِلْ هَٰذَا الْحُرُوفُ كَيْ تَغْدُو وَتَرْوَحُ بِجِسْمٍ لَهُ رُوحُ
 بِاللَّهِ سَقَنِيهَا
 فَمِنْهُ وَدَّ الْوَاثِقُ
 فَإِنَّ مِنْهُ فَيَهَا
 شَبَّهَ الْخِلَائِقُ
 مِنْ أَعْدَمِ الشَّبِيهَا
 فِي الْمَجْدِ الْبَاسِقِ
 لَهُ مِنَ الْمَفَاخِرِ تَلِيدٌ وَطَرِيفٌ دُوحٌ مِنْ عَهْدِ نُوحٍ وَرَوْضَةٌ تَفُوقُ
 هَلْ تُحْسُنُ الْمَدَائِحُ
 مِنْ كُلِّ مَادِحٍ
 إِلَّا عَلَى الْجَحَاجِحِ
 بِنَنِي صَادِحٍ
 فَإِنَّهُمْ مَصَابِحُ
 عَلَى سَوَانِحِ
 أَكَارِمِ أَكَابِرِ صَيْدُ شَمِّ الْأَنْوَفِ حَارُّوا الْمَجْدَ الصَّرِيحِ فَخُضُّوا بِالْمَدِيحِ
 مَحْمَدٌ بَعِيدُ
 مَرَامُوهُ قَرِيبُ
 وَحَوْلُوهُ جَنَنُودُ
 مِنْ آلِهِ نُجَبِيبُ

كَأَنَّ هَهُمَ أَسُودَ
 فِي حُومَةِ الْحُرُوبِ
 إِذَا سَلُّوا الْبَوَاتِرَ فَالْحَيْنَ وَالْحُتُوفَ وَالنَّصْرَ وَالْفُتُوحَ وَآيَةَ تَلُوحَ
 إِذْ لَاحَ ابْنُ مَعْنٍ
 فِي جَيْشِهِ الْأَجْبُ
 وَنَادَى كُلَّ قَرْنٍ
 بِاسْمِهِ فِي الْأَعْبِ
 فَالْهَيْجَا تَغْنِي
 وَالسَّيْفُ قَدْ طَرَبَ
 مَا أَمْلَحَا الْعَسَاكِرَ وَتَرْتِيبَ الصُّفُوفِ الْأَبْطَالَ تَصِيحَ الْوَائِقِ يَا مَلِيحَ

٢

كَمْ فِي قَدُودِ الْبَانِ تَحْتَ اللَّمَمِ مِنْ أَقْمَرِ عَوَاطِ
 بِأَنْمَلِ وَبَيَّانٍ مِثْلَ الْعَنَمِ لَمْ تَنْبَرِ لِعَاطِ
 هُنَّ الظَّيْبَاءُ الشَّمْسُ
 قَنِيصُهُنَّ الضَّيْفُ
 مَا إِنْ لَهَا مِنْ كُنْسٍ
 إِلَّا الْقَالُوبُ الْهَيْيَمُ
 الْقَرِيبُ مِنْهَا عُرْسُ
 وَالْبَعْدُ عَنْهَا مَأْتَمُ
 تِلْكَ الشَّفَاةُ الْأَعْسُ
 يَحْيَى بِهِنَ الْمُغْرَمُ
 لَهَا لِحَاطُ نُعْسُ
 تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسْقَمُ
 بِأَعْيُنِ الْغَزْلَانِ وَتَبْتَسِمُ عَنْ جَوْهَرِ الْأَسْمَاطِ
 قَضَى لَهَا الْغَيْرَانِ أَنْ تَكْتَمُ فِي مُضْمَرِ الْأَثْيَاطِ
 أَهْوَى رَشَا سَاحِرَا
 هُوَا لِي مَا أَقْتَالُهُ

قَد مَسَّخَتْ طَائِرًا
 الْحَاطُّهُ قَابِي وَلَهُ
 وَلَهُمْ يَزْلُ سَادِرًا
 عَلَى هَوَى مَا عَالَهُ
 لَأَغْدَا قَادِرًا
 غَدَا قَالِيلُ الْمَعْدَلَهُ
 يَا حَاكِمَا جَائِرًا
 ظَلَمْتَ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
 خَفْ سَطْوَةَ الرَّحْمَنِ إِذَا حَكَمَ بَيْنَ الْبَرِيِّ وَالْخَاطِي
 سَطُوتَ بِالْهَيْمَانِ ظَلَمًا وَلَمْ يَسْتَنْصِرْ يَا سَاطِي
 يَا وَيْحَ مَنْ شُوِّقَا
 إِلَى حَبِيبٍ قَدْ سَلَا
 قَضَى بِأَنْ يُغْرَقَا
 فِي الدَّمْعِ مَنْ قَدْ أَمَحَلَا
 ظُلُمًا وَأَنْ يَخْفَقَا
 مِنْهُ الْفُؤَادُ الْمَبْتَلَى
 كَأَنَّمَا عُلِّقَا
 مِنْهُ عَلَى تِلْكَ الطَّلَى
 فَقَالَتْ مَسْتَنْطَقَا
 مَنْ ذَا الَّذِي أَهْدَى إِلَى

فؤادي الْخَفَقَانِ فَقَالَ قُمْ فَلْتَنْظُرْ فِي الشَّاطِي
 إِلَى بَنُودِ الشَّوَانِ عَدَّوَاكَ تَمْ وَاسْتَخْبِرْ أَقْرَاطِي
 أَمَّا تَرَاهَا مَشْهُولَ
 عَلَى قَنَاهَا خَافَقَهُ
 فِي جَارِيَّاتِ تَجْوَلُ
 مِثْلَ الْجِيَادِ السَّابِقَةِ
 إِنْ شَاءَ مَنْ فِي الْحَوْلِ
 يُنْشِي السَّحَابَ الْوَادِقَهُ

سمت على النجم طُولُ
 منها فروغٌ باسقة
 إن الثَّريَّا تَقُولُ
 وإنها لصادقة
 ما فوق هذا المكانَ من الهممَ فيه يرى مناطي
 سمّت على كيوانٍ منه القَدَمَ والمُشترى مواطي
 أفلاكٌ مُـلـاكٌ تنيرُ
 سعادةٌ للمسلمين
 تسري الددى وتسيرُ
 بالفتح والنصر المبين
 يسوءُ بعد النذيرُ
 منها صباخُ المنذرين
 تُحْدَى بمدح الأميرُ
 إلى بلاد المُشركين
 أني نحاف تطيرُ
 بمثل أشفار الجفونُ

ومبسم الخرصانَ قد انتظمَ كأسطر الأمشاط
 والبحرُ كالبركانَ قد اضطرمَّ بمُسعر الأنفاط
 ومهُرجان له
 يوم أنيق منظره
 بحر حكي رماله
 من كل طيب عنبره
 والشَّاط قد حاله
 محمد وعسكره
 مكرجاً رجاله
 فأكأ حكتها ضميره
 فقهال عبيد له
 متسحسناً ما يبصره:

ما أَمْلَحَ المَهْرَجَانُ رَمْلَ يَنَمَ كالْعَنْبَرِ للوَاطِي
والفَلَكُ كالْعَقْبَانِ وَالْمَعْتَصِمُ بِالْعَسْكَرِ فِي الشَّاطِي

● ابن اللبانة (المتوفي سنة 507 هـ):

١

شَاهِدِي فِي الْحُبِّ خُرْقِي
أَدْمَعُ كَالْجَمْرِ تَنْزِدُفُ
تَعْجِزُ الْأَوْصَافَ عَنْ قَمَرٍ⁽¹⁾
خَدَّهْ يَدْمِي مِنَ النَّظَرِ
بَشْرِي سَمُو عَلَى الْبَشَرِ
قَدْ يَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عَالِقِ
مَا عَسَى فِي حَسَنِهِ أَصْفُ
كَيْفَ لِلصَّبِّ الْكَثِيبُ بَقَا
وَالْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ أَبَقَا
هَلْ يَطِيقُ الصَّبْرَ مَنْ عَشَقَا
شَادِنَا يَرْمِي مِنَ الْحَدَقِ
أَسْهَمَا قَلْبِي لَهَا هَدَفُ
يَا أَوْلَى التَّفْنِيدِ وَيَحْكُمُ⁽²⁾
أَنَا لَا أَصْغِي لِنَصْحِكُمْ
فِي ثَلَاثٍ قَدْ عَصَيْتُكُمْ
غَسَقُ دَاغٍ عَلَى فُلُقِ
فِي قَضِيبِ زَانِهِ الْهَيْفُ
بِأَبِي مَنْ فَاقَ شَمْسَ ضُحَى
وَكَسَا بَدْرَ الدُّجَى مُلْحَا⁽³⁾
فَدَلِيَالِي فِيهِ قَدْ وَضَحَا
لِوُجُودِ الشَّمْسِ⁽⁴⁾ فِي الْأَفْقِ
عَدَمٌ وَالْبَدْرُ يَنْكَسِفُ
رُبَّ رَاضٍ بَعْدَ مَا غَضِبَا

زارني في غفلة الرُّقبا
عندها غنيتُ؛ واطربا
يا حبيباً بات معتنقي
ها أنا بالوصل مُعْتَرِفُ

٢

هلاً عدولى قد خلعت العذارَ لا اعتذارَ عن ظبا الإيس وشربُ العُقار
ما العيش إلا حُبُّ ظبي أنيس
مهضف أحوى وحث الكؤوس
من قهوة تحكي شعاع الشموس
كانها في كأسها إذ تُدارُ شعله نار
يقتلها الإبريق قبل السّوار
شيئان قلبي فيهما ذو غرام
القول بالغيد وشرب المدام
فلست أصغي فيهما للسّوام
لا والذي توجّج تاج الفخار ببحر جَدّواه وحمي الديار
الملك المأمون ذو المكرّمات
الواحد الفردُ الجزيلُ الصّفات
كم مَادح أحياء وكم قد أُمات
تهلُّ يَمْنَاهُ علينا بحارٌ ثُمَّ اليَسَارُ تجلو دُجى العُسر ببذل اليَسَارُ
في اسمه للنصر والفتح فال
قد عم أهل الأرض طُرُوالُ
أصبح في الجود بغير مثال
أنجد ذكراه الكريم وغارَ في الأمصارَ حتى حدت فيه حداة القطار
وغادة تشكو بعاد الخليل
غُدُوها تبكي ويوم الرحيل
بصفة البحر وظلت تقول
يا قرجوني ككرس بون امار ليش الفرار وlish دمار (1)

● ابن رافع راسه (أوائل القرن السادس الهجري):
 مَنْ عَلَّقَ الْقُرْطَا فِي أذنِ الشَّعْرَى وَأَكْفَفَ المِرْطَا العُصْنَ النَّصْرَا
 الحَسَنُ مَرْجُومٌ
 عَنِّي وَمِثْلُ مِثْلِي
 وَالطَّرْقُ ظَاوِمٌ
 وَالْقَلْبُ مِثْلُ مِثْلِي
 بَابُ أَبِي رَيْمٍ
 يَعْشَقُهُ الرِّيمُ
 لَمْ يَأْكُلِ الخَمَطَا وَلَا رعى السَّدْرَا وَلَا رعى الأَرْطَى (1) مَذْ سَكَنَ القَصْرَا
 يَأْقُومُ بِي ثِيَّاهُ
 لَمَّا هَمَّ مَعَهُ سُوْلُ
 الِهْجَرُ مِنْ هَجْرَاهُ (2)
 وَالذَّنْبُ مَحْمُولُ
 يَدْرِي الَّذِي يَهْوَاهُ
 أَنَّهُ مَعَهُ تَوْلُ
 أَمَاتِي عَبْطَا (3) وَمَا اتَّقَى الْوَزْرَا لَمْ أَعْرِفَ الشَّرْطَا فَكُنْتُ مُغْتَرَا
 قَدْ هَمَّتُ فِي وَسْنَانِ
 أَسْدَ الشَّيْرى يَسْبِي
 بِالْحِظَّةِ الْفَتَانِ
 فِي مَعْرَكِ الحَرْبِ
 عَلَى الظُّبَى سُلْطَانُ
 بِقُدْرَةِ الرَّبِّ
 سَبْحَانَ مَنْ أَعْطَى جَفْوَنَكَ السَّحْرَا وَالْقَبْضَ وَالْبَسْطَا وَالتَّهْيَ وَالْأَمْرَا
 عَلَى مَا أَعْدَى
 سَيُوفَ عَيْنِيكَ
 كَمِ أَنْزَلِ الْأَعْدَا
 بِعَذْلِهِمْ فَيَكَا
 وَالْحَسَنُ قَدْ أَبْدَى
 عُنْدِي بِخَيْكَ

بأحرف خَطًّا لم تعرف الحبرًا أودعها نُقْطًا بالحبر كي تُقَرَّأ
ضَنْ بِإِسْعَادِي⁽⁴⁾
والشَّمْسُ تُحْكِيهِ
مَنْ بَعْدَ مِيْعَادِ
أَبْدَى الرِّضَا فِيهِ
فَكَانَ إِنْ شَادِي
خَوْفَ تَجَنُّيهِ
حَبِيبِي قَدْ أَبْطَأَ⁽⁵⁾ مِنْ أَمْسَكَ الْبَدْرَا عَنِي لَقَدْ أَخْطَأَ وَأَشْغَلَ السَّرَّأ

● ابن لبون (أبو عيسى)-أوائل القرن السادس الهجري:
مَنْ أَطْلَعَ الْبَدْرَ فِي كَمَالِ
غَضَنِ اعْتَدَالِ
بِمَهْجَتِي شَادَنْ غَرِيرُ
يَجُورُ⁽¹⁾ حُكْمًا وَلَا يُجِيرُ
وَمَا سَوَى أَدْمَعِي نَصِيرُ
تَفْعَلُ عَيْنَاهُ بِالرَّجَالِ
فَفَعَلَ الْعَوَالِ
عُلَقَتْهُ أَوْ طَفَأَ كَحِيلُ⁽²⁾
يَحْسُدُهُ الْغَصْنُ إِذْ يَمِيلُ
تَجُولُ فِي ثَغْرِهِ شَمُولُ
يَمِجُ فِي ثَغْرِهِ لَّالِ
بَرْدُ الزَّلَالِ
يَا أَيُّهَا الْعَاذِلُ الْخَالِي
بِي مَنْ بَنَى الْإِلَيْثَ بَابِلِي
قَلْبِي بِهِ مَغْرَمُ شَجِي
عَذْلُكَ عِنْدِي-إِذْ لَسْتَ سَالِ
مَنْ الْمُحَالِ
كَمْ قَالَتْ لَا أَدْعِي بِحَبِيهِ

لَطُولُ إِعْرَاضِهِ وَعَتَبُهُ
حَتَّى إِذَا لَاحَ صَبِيحُ قَرِيبِهِ
أَبْدَيْتُ مِنْ عِزَّةِ الْجَمَالِ (3)

ذَلَّ السَّوَالُ
مَا زِلْتُ أَشْكُو لَهُ بِبَعْدِهِ
حَتَّى أَرْعَوِي حَافِظاً لِعَهْدِهِ
كَأَنَّهُ إِذَا أَتَى لَوَعْدِهِ
يَخْتَالُ فِي ظُلْمَةِ الدَّلَالِ

طَيِّفُ الْخِيَالِ
لَهُ يَوْمٌ بِهِ نَعْمٌ نَا
رَاقٌ أَصِيلًا فِرَاقٌ حَسَنًا
عَاتِبَتْهُ مَا زَحَا فَغْنَى
إِيَّاكَ يَغْرُنْكَ صَرْفُ مَالِ (4)
يَا مَنْ بَدَأَ لِي

● الكميت (أبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي)-النصف الأول
من القرن السادس الهجري:

لَاحَ لِلرَّوْضِ عَلَى غُرِّ الْبَطَاحِ
زَهْرُ زَاهِرٍ زَاهِرٍ
وَتَنَا جِيداً مُنْعَمَ الْأَقَاخِ
نُورُهُ النَّبَاضُ
زَارَنِي مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الصَّبَاحِ
أَرْجُ عَاطِ
نَشْرَ الطَّلِّ عَلَيْهَا حِينَ فَاحِ
أَيَّامِ عَقْدِ
حَبَّذَا الْبِشْرُ لِي عِنْدَ افْتِتَاحِ
وَجَنَّةِ الْوَرْدِ

يضحك الروضُ مساييلَ السَّحابِ
 ملء أجفانه
 ومشت فيه لآلئ الحَبَابِ
 فوق غدرانِه
 فتراه كيف ⁽¹⁾ يكشفُ النِّقابِ
 عند تهتهته
 ينتهي طولُ تناوح الرِّياحِ
 وسط الرِّعدِ
 وتُرى البرقُ كصارمٍ مُشَّاحِ
 سُلَّ من غمِّه

رقصت وسطَ رياضها الغُصُونُ
 رقصَ نَشْوَانِ
 وأرتنا من لطائف المَجُونِ
 كلَّ إحْسَانِ
 فنسينا عند وشيهِ المِصُونِ
 وشي صِنْعَانِ ⁽²⁾
 كنجوم أطلعت والجوُّ صَاحِ
 في ذرى سَعْدِ
 فسعى الناسُ بالسنِّ فصاحِ
 نغمَ الحمْدِ

فاغتنم ما قد صفا من الزَّمانِ
 وأخلع الغُندَرِ
 واشرب الراحَ على سمع القِيَانِ
 ممزجة صَفْرا
 واغتبقها من سلافة دُئَانِ
 عُتْقَت دُهرِ

كَأَسُهَا جِسْمُ طِفْلَةٍ رَدَاخُ
 نَاعَامُ الْقَدَاخِ
 تَمَزَجُ الرَّاحُ بِرِيقِهَا الْقُرَاخُ
 شَيْبٌ بِالشَّهْدِ

وَفَتَاةٌ فَتَنْتُ بِحَسَنِهَا
 وَتَثْنِيَّاهَا
 تَشْتَكِي طَوْلَ جِذَاءِ خَدْنِهَا
 حِينَ يُؤْذِيهَا
 وَتُغْنِي بِرَفِيعِ لَحْنِهَا
 وَمُغْنَانِيَّاهَا:
 ذَبْتَ وَاللَّهِ أَسَى نَطَاقِ صِيَاخُ
 قَدْ كَسَّرَ نَهْدِي
 وَعَمِلَ لِي فِي شَفِيفَاتِي جِرَاحُ
 وَنَثَرَتْ عَقْدِي

● ابن عيسى المرسى الخباز (أبو الوليد يونس): النصف الأول من القرن السادس الهجري:

مَنْ لِي بِظَبِي رَبِيبٍ يَصِيدُ أَسَدَ الْفِيَاضِ⁽¹⁾ لَوْ بَدِينِي لِمَا أَمَلْتُهُ لِلتَّقَاضِي
 جَعَلْتُ حَظِّي مِنْهُ
 بَيْنَ الرَّجَا وَالْتِمَاسِي
 لَمْ أَظْهَرَ الْيَاسَ عَنْهُ
 لِمَا أَطَالَ التَّجَنِّي
 بَلْ قَالَتْ يَا قَلْبُ صُنْهُ
 لَدَيْكَ عَنْ سُوءِ ظَنِّي
 وَأَنْتَ يَا نَفْسِي ذَوْبِي وَيَا مَطِيلَ اعْتِرَاضِي نَقْذُ بِمَا شَتَّ حُكْمَا إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي
 مَا حَالَ قَلْبُ لَدَيْكَ
 لَا تَنْقُضِي حَسْرَاتِهِ

يشكو جواذ اليك
 وليس تجدي شكاته
 مهلاً فضي راحتيك
 حياثته ومماتته
 يا ممرضي وطبيبي بفيك براء المراض ومنك قد ذبتُ سقماً فلتقض ما أنت قاض
 يا من ينافر ظُلماً
 مَنْ ليس عنه بصابر
 ماضر إذ ذبت سقماً
 لو لم تكن لي هاجر
 رفقا فبي منك ألمي
 وسنان ساجي النواظر
 رام بسهم مصيب من الصراح المراض يرنو فيرسل سهما والقلب في الاعتراض
 مَنْ لي بتفتير جفنه
 والموت من لحظات
 إن مرثاني عطفه
 فالحُسْنُ فيه بذاته
 أو رمت إدراك وصفه
 أعيتني بعض صفاته

يجول لحظ الكئيب من خذه في رياض لكن عن القطف تُحَمَى بمرهفات مواض
 لاله ظبيته خدر
 قد روعت بالفرار
 بننت ثلاث عشر
 تُسَيِّلُ دمع الماقي
 تقول في حال سُكْر
 لأمهافي اشتياق
 يامم مو الحبيب تيبش أن نرتياض غار كفري يا مما انن يجنال للشااض

● الأعمى التطيلي (المتوفي سنة 525 هـ):

دَمْعُ سَفُوحٍ⁽¹⁾ وَضُلُوعُ حَرَارَةِ مَاءٍ وَنَارٍ مَا اجْتَمَعَا إِلَّا لِأَمْرِ كِبَارٍ

بئس لعمري ما أراد العذولُ

عُمُرُ قَصِيرٌ وَعِنا طَوِيلُ

يا زفراتُ نطقتُ عن عَلِيلٍ⁽²⁾

ويا دموعاً قد أصابتُ مَسِيلَ⁽³⁾

امتنع النومُ وشطَّ المَرَارُ ولا قرارَ طرتُ ولكن لم أصادف⁽⁴⁾ مطار

يا كعبةً حَجَّتْ إليها القلوبُ

بين هوى داعٍ وشوقٍ مُجِيبٍ

دعوة⁽⁵⁾ أوَاهِ إليها مُنِيبُ

لبيك لا ألوي لقول الرقيب⁽⁶⁾

جد لي بحج⁽⁷⁾ عندها واعتمازُ ولا اعتذارَ قلبي هديٍّ ودموعي جُمَارُ

أهلاً وإن عرَّضَ بي للمُنُونُ

بمائنس الأعطافِ ساجي الجفون⁽⁸⁾

يا قسوةً يحسبها الصَّبُّ لِينُ

علَّمتني كيف تُساءُ الظُّنُونُ⁽⁹⁾

مذبانَ عن تلكَ الليالي القصارِ دمعي غزارَ⁽¹⁰⁾ كأنما بين جفوني غرارَ⁽¹¹⁾

حكمتُ مولى جارفي حكمه

أكنى به لا مفضحاً باسمه⁽¹²⁾

وأعجب⁽¹³⁾ لإنصافي على ظلمه

واسأله عن وصلي وعن صرَّمه

ألوي بحظِّي⁽¹⁴⁾ عن هوى واختيارِ طوع النفاذِ وكل⁽¹⁵⁾ أنس بعده بالخيارِ

لا بُدَّ لي منه على كلِّ حالٍ

مولى تجننى وجفا واستطالَ

غادرني زهنُ أسى واعتلالُ

ثم شدا بين الهوى والدَّلَالِ:

ما والحبيب دموا صارَ مادرِ شنارِ بنفيس رامش كف دموعار⁽¹⁶⁾

٢

ضاحكٌ عن جُمَانٍ سافرٌ عن بَدْرٍ ضاقَ عنه الرِّمَانُ وحواهُ صدري
 أَهْ مَهْ مَا أَجْدُ
 شَفَّ نِي مَا أَجْدُ
 قَامَ بِي وَقَعْدُ
 بَاطِشٌ مُتَّئِدُ
 كَامَ قَالَتْ قَدْ
 قَالِ لِي أَيُّنَ قَدْ
 وانشَى خُوطَ بَانُ (1) ذَا مَهَزَّ نَضِرُ (2) عَابَتْهُ يَدَانُ (3) لِلصَّبَا وَالْقَطْرِ
 لَيْسَ لِي مِنْكَ بُدُ (4)
 خَذَفُوا دِي عَن يَدُ
 لَمْ تَدْعُ لِي جَالِدُ
 غَيْرَ أُنِي أَجْهَدُ
 مَكْرَعٌ مِنْ شَهْدُ
 وَاشْتِيَاقِي يَشْهَدُ
 مَا لَبِثَ الدَّنَانُ وَلِذَاكَ التَّغَرُّ أَيْنَ مَحْيَا الزَّمَانُ (5) مِنْ حُمَيَا الْخَمَرُ (6)
 بِي هَوَى مَضْمَرُ (7)
 لَيْتَ جَاهُ دِي وَفُهُ
 كَامَ يَظْهَرُ (8)
 فَفَؤَادِي أَفُهُ
 ذَلِكَ الْمَنْظَرُ
 لَا يُدَاوِي عَشَقُهُ
 بِأَبِي كَيْفَ كَانَ فَلَكِي دُرِّي رَاقٍ حَتَّى اسْتَبَانَ (9) عُدْرَهُ وَعُدْرِي
 هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلُ
 أَوْ إِلَيَّ أَنْ أَيْسَأَلَ (10)
 دُبُّبْتُ إِلَّا قَالِيْلُ
 عَمِيرَةٌ أَوْ نَفْسًا

مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ
 سَاءَ ظَنِّي بِعَسَى
 وَانْقَضَى كُلُّ شَأْنٍ وَأَنَا اسْتَشْرِي خَالِعاً مَنْ عَنَانٍ جَزَعِي أَوْ صَبْرِي
 مَا عَالَى مَنْ يَأْلُومُ
 لَو تَنَاهَى عَنِّي
 هَلْ سَوَى حُجْبٍ رِيمٍ
 دَيْنُهُ التَّجَنِّي
 أَنَا فِيهِ أَهْيَمُ
 وَهُوَ بِي يَغْنِي
 قَدْ رَأَيْتُكَ عَيَانٍ أَشَّ عَلَيْكَ سَاتِدْرِي ⁽¹¹⁾ سَيَطُولُ الزَّمَانُ ⁽¹²⁾ وَتَسْتَسِي ذِكْرِي ⁽¹³⁾

● الأبيض (أبو بكر محمد) المتوفي بعد سنة 525 هـ:

مَنْ سَقَى عَيْنِيكَ كَأْسَ الْمَدَامِ
 يَا مُنَى الْمُسْتَهَامِ
 رَشَاءُ أَسْهَرَنِي وَهُوَ نَائِمٌ
 رَقَّ لِي وَالْمَوْتُ بَيْنَ الْحَيَاظِ
 عَجَباً مَنْ دَمَعَهُ وَهُوَ بِاسْمِ
 خَنْثٌ يَمْزُجُ لِي تَحْتَ اللَّثَامِ ⁽¹⁾
 عِبْرَةٌ بِأَبْتَسَامِ
 قَلْبَ دُنْيَايَ تُسْقَى رُؤْيُيْ
 تَحْتَ إِحْسَانِ الْوَزِيرِ ابْنِ زَيْدٍ
 فَأَنَا أَرْبَعٌ فِي خَبَرِ قَيْدٍ ⁽²⁾
 بَيْنَ بَرٍّ وَعَطَايَا جَسَامِ
 أَخَوَاتِ الْغَمَامِ
 بَائِنُ الْغَوْرِ بَعِيدُ الْمَسَافَةِ
 قَدْ كَفَى قَرْطَبَةً كُلَّ آفَةٍ
 كَمْ يَدٌ أَوْلَيْتَ دَارَ الْخِلَافَةِ

طوقت جيدك طوق الحَمَام
 في حُالى الكَرَام
 بك يا مُشرفُ صَحَّ اليَقِينُ
 أنت صَبِحُ المَشْكَاةِ المُبِينُ
 أيُّ نَصْلٍ سَلَّهَ ما (يَلِينُ) ⁽³⁾
 مَلِيكَ شَرْفَه في الأَنَامِ
 حَمَلُ ذاك الحُسَّامِ
 شَرَفُ المَلِكِ بِهِ حَاطَهُ
 فَشَدَّتْ وَجَدًا بِهِ غَرْنَاطَهُ
 إِذْ تَوَخَّى بِسَوَاهَا ارْتِبَاطَهُ
 كُلَّ يَوْمٍ اقْرِيكَ يَا حَبِيبَ السَّلَامِ
 وَنَسِيَّتْ أَنْتِ ذِمَامِ

● ابن الزقاق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة 530:

خُذْ حَدِيثَ الشَّقِيقِ عَنِ نَفْسِي
 وَعَنِ الدَّمْعِ الَّذِي هَمَعَا
 مَا تَرَى شَوْقِي قَدْ اتَّقَدَا
 وَهَمِي بِالدَّمْعِ وَاطَّرَدَا
 وَاغْتَدَى قَلْبِي عَلَيْكَ سَدِي
 آه مِنْ مَاءٍ وَمِنْ قَبَسِ
 بَيْنَ طَرْفِي وَالْحَشَا جُمَعَا
 بِأَبْيِ رَيْمٍ إِذَا سَفَرَا
 أَطْلَعْتَ أَزْرَارُهُ قَمَرَا
 فَاحْذَرُوهُ كَلَمًا نَظَرَا
 فَبِالْحَافِظِ الْجَفُونِ قَسَى
 أَنَا مِنْهَا بَعْضُ مَنْ صَرَعَا
 أَرْتَضِيهِ جَارًا وَعَدَلَا
 قَدْ خَلَعْتُ الْعَدْلَ وَالْعَدَلَا

إنما شوقني إليه فلا
 كم وكم أشكو إلى الأعس
 ظمأى لو أنه نفعاً
 ضلّ عبد الله بالحور
 وبطرف فاتر النّظر
 حكمه في أنفاس البشّر
 مثل حكم الصّبح في الغلس
 إن تجلّى نورهُ صدءاً
 شبّهته بالرشا الأمم
 فلعمرى إنهم ظالموا
 فتغنّى من به السّقم
 أين ظبيّ القفر والكُنس
 من غزال في الحشا رتعا

● ابن رحيم (أبو بكر) المتوفي نحو 530 هـ (٩):
 نسيم الصّبا أقبل من نجد
 لقد زادني وجداً على وجد
 يا ريح الصّبا بالك دارينى
 بعرف شذا مسك دارين
 ووصف رشا بالهجر يبرينى
 وسل بالوى عن كُثب يبرين
 هل استوحشت بالنّاي والبعد
 وما صنعت بثينة من بَعدي
 لئن هجر الشادن أوطاني
 وصعب العزا في النّاي أوطاني
 وضائق بهجر الحب أعطاني
 وضننت بما في الحب أعطاني
 فيا عادلي عن عادلي عدّ
 فما حب ذا الحب قد يُعدي

حَمَامُ اللَّوَى بِالنُّوحِ أَرشَانِي
 بِقُمْرِيَّةٍ نَاحَتْ بِوَرشَانِ
 تَهَيَّمُ بِهِ وَهُوَ لَهَا شَانِي
 فَقُلْتُ لَهَا شَانُكَ مِنْ شَانِي
 وَسَعْدُكَ يَا وَرْقَاءُ مِنْ سَعْدِي
 وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ
 بِنَفْسِي الَّذِي قَدْ بَزَّ أَشْرَافَا
 وَحَازَتْ بِهِ الْأَيَّامُ إِشْرَافَا
 أَيَا ابْنِ سَعِيدٍ سَدَّتْ أَيْلَافَا
 بِذَلِكَ لَهُمْ جُودُكَ آلَافَا
 أَجَرَيْتَ^(١) إِذْ سَمَيْتَ بِالْحَمْدِ
 وَقَمْتَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْمَجْدِ
 حَبِيبُ بَدَا مَذْ بَدَا أَنْسَانِي
 عَلَى أَنَّهُ أَسْكَنُ إِنْسَانِي
 غَزَالَ عَنِ التَّعْنِيقِ أَغْنَانِي
 وَأَنْصَفَ إِذْ زَادَ وَغَنَّانِي
 لِأَيِّ قِصَّةٍ تَبَيْتَ وَحَدَّكَ وَأَبَيْتَ وَحَدِّي
 كَمَا بَتَ عِنْدَكَ حَتْمًا^(٢) تَبَيْتَ عِنْدِي

● ابن بقي (أبو بكر يحيى، المتوفي سنة 545 هـ):
 سَاعَدُونَا مَصْبَحِينَا نَرْتَشِفُهَا قَدْ ظَمِينَا^(١) كُنْضَارَ فِي لُجَيْنٍ نَعْمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَا



قُمْ بِنَا نَجَاوِ الْكُؤُوسَا
 تَحْتَ أَظْلَالِ السَّحَابِ
 نَتَعَاظَاهَا عَرُوسَا
 حَلِيئَهَا ذُرَّ الْحَبَابِ

قهوة تُعطى النفس وسا
 عز أيام الشَّباب
 نَعَصِبُ اللَّيْثَ الْعَرِينَا وَبُرَى كَسْرَى قَرِينَا حِينَ يُسْقَى بِالْيَدَيْنِ جَامَهَا حِينَا فَحِينَا
 يَوْمُنَا يَوْمٌ أَنْ يَقُ
 يَوْمٌ شُرِبَ وَالْتَمَذَ
 طَرَزَتْ فِيهِ الْبِرُوقُ
 لَا بَسَّاسًا أَثَرُ وَابٍ لَا ذَا
 وَسَقَى الْغَيْمُ الرِّقِيقُ
 مَاءٌ وَرَدَ بِرِذَاذِ
 أَظْهَرَ السَّحَرَ الْمُبِينَا حِينَ رَشَّ الْيَاسْمِينَا وَبَكَى مِنْ دُونَ عَيْنِ فَضَحَكْنَا فَاكْهِنَا
 أَيُّهَا السَّاقِي الْمُحَيِّ
 بِرِيَّاحِينَ التَّمَنِّي
 سَحَرُ عَيْنَيْكَ الْحُمَيَّا
 فَاصْرِفِ الصَّهْبَاءَ عَنِّي
 لَا تَسْلُطْهَا عَلَيَّا
 فَالْهَوَى قَدْ نَالَ مِنِّي
 قَدْ نَفَثَ السَّحَرُ فِينَا فَرَضِينَا الْحُبَّ دِينَا فَمُنَائِي دُونَ مَيْنِ أَنْ تَرَى ذَاكَ الْجَبِينَا
 لِي حَبِيبٌ يَوْسُفِي
 وَصَلُّهُ فِي الْحُبِّ مِنْهُ
 وَجْهُهُ صَبْحٌ وَضَى
 قَدْ تَبَدَّى فِي الدُّجْنَةِ
 دَلَّنِي مِنْهُ الْأَبْيُ
 فَأَعَادَ النَّارَ جَنَّةَ
 بَدَلُ الْوَرْدِ الْمُصُونَا بَعْدَمَا كَانَ ضُنِينَا فَكَأَنِّي ذُو رَعَيْنِ أَوْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا
 سَاءَ نَالًا اتَّصَلْنَا
 كُلُّ مَغْتَابٍ حَسُودِ
 وَكَذَاكَ الْوَجْهَ قَالْنَا
 لَا لَتَدْنِيَسَ الْبُرُودِ

لَمْ نُرِدْ فِيمَا امْتَثَلْنَا
غَيْرَ إِقْلَاقِ الْحَسُودِ
قَدْ بَلَيْنَا وَابْتَلَيْنَا وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا قُمْ بِنَا يَا نَوْرَ عَيْنِي نَجْعَلِ الشُّكَّ يَقِينَا

٢

مَالِي شَمُولٌ إِلَّا شُجُونٌ مَزَاجُهَا فِي الْكَأْسِ دَمْعٌ هَتُونٌ
لَالَهُ مَا بَدَرُ
مَمْنِ الْدُمُوعِ
صَبُّ قَدْ اسْتَعْبَرُ
مَمْنِ الْوُجُوعِ
أَوْدَى بِهِ جُودُ
يَوْمِ الْبَقِيْعِ (١)
فَهُوَ قَتِيلٌ لَا بَلَّ طَعَيْنٌ بَيْنَ الرَّجَا وَالْكَاسِ لَهُ مَنُونٌ
جَرَحَتْ لَحَائِقُ
كَفَّيْ بِكَفِّي
وَحْيِلَ مَا بَيْنِي
وَبَيْنَ الْفِي
لَا شَكَّ بِالْبَيْنِ
يَكُونُ حَتْفِي
حَانَ الرَّحِيلُ (٢) وَلِي دُيُونٌ إِنْ رَدَّهَا الْعِبَاسُ فَهُوَ الْأَمِينُ
أَمَّا تَرَى الْبَدْرَا
بَدَرِ السُّعُودِ
قَدْ اكْتَسَى خُضْرَا
مَمْنِ الْبُرُودِ
إِذَا انْثَنَى نَضْرَا
مَمْنِ (٣) الْقَدَدِ
أَضْحَى يَقُولُ مُتً يَا حَزِينٌ قَدْ اكْتَسَى بِالْأَسِ الْيَاسَمِينِ
قَلَّاتُ وَقَدْ شَرَّدَ
الْنَمْنَمُ

وَأَيُّ أَسْأَلٍ أَسْأَلُكَ
 السُّؤَالُ مِنْ نِي (4)
 صَدَفًا مَصْدَرًا
 قَرَعْتُ سِنِّي
 جَسْمِي نَحِيلٌ لَا يَسْتَبِينُ يَطْلُبُهُ الْجُلَّاسُ (5) حَيْثُ الْأَنْبِيَاءُ
 تَجَاوَزَ الْحَدَّ (6)
 قَالَبِي أَشْتِيَا قَالًا
 وَكَأَنَّ السُّؤَالَ
 مَنْ لَوْ (7) أَطَقَا
 قَالَتْ وَقَدْ مَدَّ (8)
 لِي يَالِي رُؤُوقَا:
 لَيْلٌ طَوِيلٌ وَلَا مُعِينٌ يَا قَلْبَ بَعْضِ النَّاسِ أَمَا تَلِينَ؟

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفي سنة 550 هـ):
 ذَهَبَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ
 فَضْطَّةُ النَّهْرِ
 أَيُّ نَهْرٍ كَالْمَدَامَةِ
 صَيَّرَ الظِّلَّ فِدَامَةً
 نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً
 وَثَنَتْ لَهَا غَصَنُ لَامَةٍ
 فَهُوَ كَالْعَضْبِ الصَّاقِيلِ
 حُفَّ بِالسُّمْرِ
 مَضَحَكَ أَثَرَ الْكَمَامِ
 مُبْكِيًا جَفَنَ الْغَمَامِ
 مُنْطَقًا وَرُقَّ الْحَمَامِ
 دَاعِيًا إِلَى الْمَدَامِ
 فَالْهَذَا بِالْقَبُولِ
 خُطُّكَ كَالسَّطْرِ

حَبَّذا بِالْحَوَرِ مَغْنَى
 هِيَ لِفُظٍّ وَهُوَ مَعْنَى
 مَذْهَبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا
 كَمْ دَرِينَا حَيْثُ سَرَرْنَا
 ثُمَّ فِي وَقْتِ الْأَصْيَلِ
 لَمْ نَكُنْ نَدْرِي
 قَالَتْ وَالْمَرْجُ اسْتَدارَا
 بِدُرَى الْكَأْسِ سَوَارَا
 سَالِبٌ مِنْهُ الْوَقَارَا
 دَائِرًا مَنْ حَيْثُ دَارَا^(١)
 صَادَ أَطْيَارُ الْعَقُولِ
 شَبَّكَ الْخَمَمَ
 وَعَدَّ الْحَبُّ فَأَخْلَفَ
 وَاشْتَهَى الْمُطَّلَ فَسَوَّفَ
 وَرَسُولِي قَدْ تَعَرَّفَ
 مِنْهُ مَا أَدْرَى فَحَرَّفَ:
 بِاللَّهِ قُلْ يَا رَسُولِي
 لَيْشَ يَغِيبُ بَدْرِي

● ابن شرف (أبو عبد الله) المتوفي نحو سنة 570 هـ:
 يَا رَبَّةَ الْعَقْدِ مَتَى تَقْلَدُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرَ ذَاكَ الْمُقْلَدَ
 مَنْ أَطْلَعَ الْبَدْرَا
 عَلَيَّ جَبِينَا
 وَأَوْدَعَ السَّحَرَا
 بَيْنَ جَفُونَا
 وَرَوَعَ السُّمَرَا
 بِفَرْطِ لَيْلِنَا
 يَا لَكَ مَنْ قَدْ مَهْمَا تَأَوَّدَ أَهْدَى إِلَى الزُّهْرِ خَدًّا مُورَدَ

قَمَمَ فَاقْتَدَحَ زُنْدًا
 مَمِنَ الْعُقَّةَار
 قَدَقَا دَتَعَدَا
 مَمِنَ الْبِدَارِي (١)
 وَأَلْبَسَتْ بُرْدًا
 مَمِنَ الْبَنَضَار
 وَاشْرَبَ عَلَى وُدِّ (٢) عَلِيَا مُحَمَّدٍ نَاهِيكَ مِنْ سَرٍّ وَطَيْبٍ مُورِدٍ
 الْبَنَصْرِيَّ الْتَاخُ
 عَالِي عُلَاهُ
 وَالزَّهْرِيَّ رَتَاخُ
 إِلَيَّ نَدَاهُ
 مَا الصَّبْحُ وَضَاخُ
 لَوْلَا سَنَاهُ
 فَالْبَسَ مِنَ الْمَجْدِ بُرْدًا مُعْضَدًا وَانْظَمَ مِنْ
 الشَّعْرِ (٣)

لِلْهَمَاءِ أَلَى
 فِي كُلِّ حَالٍ
 مَا لَكَ قَدْ اسْتَوَلَى
 عَلَى الْكَمَالِ
 مُقَدَّاتُ صَالَا
 مِنَ الْجَلَالِ
 يَهْزِلُ لِلْحَمْدِ (٤) نَصْلًا مُهَيَّئًا يَهْبُ بِالْغَنَرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

انْعَمَ مِنَ الْحُسْنَى
 بِكُلِّ حُسْنٍ
 فِي الشَّرَفِ الْأَسْنَى
 وَظَلَّ أَمْنٍ

يا صدقَ من غننى
وأنتَ يعمنى
ما كوكبُ المجد الا محمدٌ فرايةُ الأمرِ عليه نُقَدّ

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد) المتوفي سنة 571 هـ:

مـاذا حـمـلـوا
فؤاد الشَّجِي يومَ ودَّعوا
مـالـي بـالـنـوى
يـدُتـسـتـطاع
ونـارُ الجـوى
يُـذكـيها الوداعُ
وسـرُّ الـهـوى
بـدمـوعـي يُـذاعُ⁽¹⁾
بـالحـبِّ تـهـمـلُ⁽²⁾
عـيـونٌ وتـلتـاعُ أضـاعُ
هـل يُـرجـى إـيابُ
لـعـهد الحـبـائب
إذ غـصـنُ الشـبـابِ⁽³⁾
مـطـاـولُ الجـوانب
ووصـل الكـعـابِ
مـبـذولُ المـطـالب
فـلا تـبـخـلُ
بـالـوصـل ولا الصـبُّ يـقـنعُ
لا أـسـأـلُ ولا
أـصـغـي لـأـواحي
بـل أـصـبُّ وإلى
هـضـيم الوشـاح
مـجـيـل الطـلا⁽⁴⁾
مـا بـين الأـقـاح

فلو يعدلُ مابِتُ⁽⁵⁾ أظما وينقعُ
 كم ذا تهَجَّعُ
 وجفني ساهِرُ
 بدرٍ يطأُ⁽⁶⁾
 في الصُّبحِ لناظرُ⁽⁷⁾
 لله بُرقُعُ
 من سود الضَّفائرِ⁽⁸⁾
 إذ تُسبِّلُ
 فشمسُ بايِل تَقْنَعُ
 قد ذُو اعْتَدَالُ
 منه الغصنُ اللدنُ
 معشوقُ الدلالِ بنا⁽⁹⁾
 ثم يرنوُ
 بعيني غزال
 فاحذر حين يندنوُ
 لحظٍ يرسلُ سهاماً لها القلبُ موقعُ
 مُنَى النضسِ كمُ
 تُزهِى بالتَّجَنِّي
 فَيَا بدرتمُ
 صل بعض التمني
 لمن لم يَنَمُ
 وبيات يغني:
 أسمر حلو بياض كل عاشق يبيت معُو⁽¹⁰⁾

● ابن زهر (الحفيد) المتوفي سنة 595 هـ:

١

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمَشْتَكِي
 قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ
 وَنَدِيمِ هَمَّتْ فِي غُرَّتِهِ
 وَبَشْرِبِ الرِّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ
 كُلَّمَا اسْتَيْقِظَ مِنْ سُكْرَتِهِ
 جَذَبَ الرِّقَّ إِلَيْهِ وَاتَّكَى
 وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ
 مَا لَعِينِي عَشِيَّتُ بِالنَّظَرِ
 أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ
 وَإِذَا مَا شِئْتُ فَاسْمَعْ خَبْرِي
 عَشِيَّتُ عَيْنَايَ مِنْ طَوْلِ الْبُكََا
 وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي
 غَصْنُ بَانَ مَالٍ مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى
 بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ فِي فَرْطِ الْجَوَى
 خَفِقَ الْأَحْشَاءُ مَوْهُونُ الْقَوَى
 كُلَّمَا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بَكَى
 وَيَحْهَ يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقْعَ
 لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلْدُ
 يَا لِقَوْمِي عَذَلُوا وَاجْتَهَدُوا
 أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجْدُ
 مِثْلُ حَالِي حَقُّهَا أَنْ تَشْتَكِي
 كَمَدَ الْيَأْسُ وَذُلَّ الطَّمَعُ
 كَبِدِي حَرِي وَدَمْعِي يَكْفُ
 تَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلَا تَعْتَرِفُ
 أَيُّهَا الْمَعْرُضُ عَمَّا أَصَفُ

قد نما حُبِّي بِقَلْبِي وَزَكَا
 لَا تَخْلُ فِي الْحُبِّ أَنِّي مُدَّعِي
 حَيِّ الْوُجُوهِ الْمَلَا حَا
 وَحَيِّ سَوْدٌ ⁽¹⁾ الْعُيُونِ
 هَلْ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحٍ
 وَفِي ⁽²⁾ نَنَدِيمِ وَرَاحٍ
 رَامَ النَّصْوَحُ ⁽³⁾ صِلَاحِي
 وَكَيْفَ أَرْجُو صِلَاحَا
 بَيْنَ الْهَوَى وَالْمُجُونِ
 يَا غَائِبَا لَا يَغْيِبُ
 أَنْتَ الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ
 كَمْ تَشْتَكِيكَ ⁽⁴⁾ الْقُلُوبُ
 أَتَخَنَّنُ هُنَّ جِرَاحَا
 وَاسْأَلْ سَهْمَ الْجُفُونِ ⁽⁵⁾
 أَبْكِي الْعُيُونََ الْبَوَاكِي
 تَذْكَارُ أَخْتَ السَّمَاكِ
 حَتَّى حَمَامُ الْأَرَاكِ
 بَكِي بِشَجْوٍ وَنَاحَا
 عَالِي فِرْعَوْنَ الْغُصُونِ
 أَلْقَى إِلَيْهَا زَمَامَهُ
 صَبُّ يَدَاوِي غَرَامَهُ
 وَلَا يَطْيِقُ الْمَلَامَهُ
 غَدَا بِشَوْقٍ وَرَاحَا
 مَا بَيْنَ سَبْيِ الظَّنُونِ
 يَا رَاحِلَا لِمَ يَوَدُّعُ
 رَحَالَتَ بِالْأَنْسِ أَجْمَعُ
 وَالْعَجْزُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ
 مَرُّوا وَأَخْفُوا الرُّوَا حَا
 عَنِّي وَمَا وَدَّعُونِي ⁽⁶⁾

● محيي الدين بن عربي (المتوفي سنة 638 هـ):

عندما لاح لعيني المنكأ

ذبت شوقاً لذي كان معي

أيها البيت العتيق المشرف

جاءك العبد الضعيف المسرف

عينه بالدمع دوما تذرف

فريه منه ومكر فالبكا

ليس محموداً إذا لم ينفع

كلما عدت فيه قال لي

ليس هذا في بل في أيس لي

سأرى حكم قليب قد بلي

يهواها مستغيثاً قد شكأ

وأنا أعلم شكوى الجزع

أشرقته شمس له ما شرقت

فرأيناها بها إذ شرقت

أرعدت سحباً لها ما أبرقت

فعلمنا أنه حين بكى

ما بكى إلا لأمر موجه

مرّبي في ليلة ليس لها

آخر والصبح قد جالها

والذي حرّمها حلّلها

وانتدى يطلب وصلي واتكى

ومضى إذ ومضاً لم يرجع

أيها السّاقى اسقني لا تأتل

فلا قد أتعب فكّري عذلي

ولقد أنشدته ما قيل لي:

أيها السّاقى إليك المشتكى

ضاعت الشكوى إذا لم تنفع

● ابن سهل الإشبيلي (المتوفي نحو سنة 650 هـ):

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صَبَّ حَلَّه عن مكنس

فهو في حَرٍّ وخفق مثالما

لعبت ريح الصَّبَا بالقَبَس

يا بدوراً أشرقَت يومَ النَّوَى ⁽¹⁾

غُرراً تَسَالِكُ، نهجَ الغُرُر ⁽²⁾

ما لنفس في الهوى ذنب سوى ⁽³⁾

منكم الحُسْنَى ومن عيني النَّظَرُ ⁽⁴⁾

أجتني اللذات مكلومَ الجوى

والتداني من حبيبي بالفكر

كلما أشكوه وجدي بَسَمًا ⁽⁶⁾

كالرُّبَى بالعارض المنبجس ⁽⁷⁾

إذ يقيم القطرُ فيه مأتما

وهي من بهجتها في عُرْس ⁽⁸⁾

غالبٌ لي، غالبٌ بالتؤدة

بأبي أفديه من جاف رقيق

ما علمنا مثل ثغر نضْدَه

أقحواناً عصرت منه رَحِيقٌ ⁽⁹⁾

أخذت عيناه منه العريدة

وفؤادي سُكْرُه ما إن يضيّق ⁽¹⁰⁾

فاحمُ اللمة معسولُ اللمى

ساحرُ الغُنْجِ شهيُّ اللعس ⁽¹¹⁾

وجهه يتلو «الضحى» مبتسماً

وهو من إعراضه في «عَبَس»

أيها السائلُ عن جرمي لديه

لي جزاء الذنب وهو المذنبُ

أخذت شمسُ الضُّحَى من وجنتيه
مشرقاً للشمس فيه مغربُ
ذهب الدمعُ بأشواقِي إليه
ولهُ خدبٌ بالحظي مُذهبُ
ينبتُ الوردُ بغرسِ كلِّما
لاحظته مقلتي في الخُلَس
ليت شعري أيُّ شيءٍ حرماً
ذلك الوردُ على المُغتَرس
كلِّما أشكُو إليه حُرقتي
غادرتني مقلته دَنَقاً (12)
تركتُ الحافظه من رَمَقِي
أثر النَّمَلِ على صُمِّ الصَّفَا (13)
وأنا أشكره فيمابقي (14)
لستُ ألحاه على ما أتلفَا
فهو عندي عادلٌ إن ظَلَمَا
وعذُولِي نطقُهُ كالخَرَس
ليس لي في الأمر حكمٌ بعد ما (15)
حل من نفسي محلَّ النَّفَس
أضرم الدمعُ بأحشائي ضرامُ
تتلظى كلَّ حينٍ ماتشاً (16)
هي في خديهِ بردٌ وسَلَامُ
وهي ضرٌّ وحريقٌ في الحشا (17)
أتقي منه على حكم الغَرَامِ
أسداً ورَداً وأهـووا رَشَا (18)
قلتُ لما أن تبدى مُعلَمَا
وهو من ألحظه في حَرَس:
أيها الآخذُ قلبي مغنمًا
اجعل الوصلَ مكانَ الخُمُس

● ابن حاتمة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ)

قُمْ هَاتَهَا قهوة كدمع مهجُور
 قد أفرطت إفراطاً في اللَّطف والنور
 هذي الرُّئي تختالُ
 في حُال الزَّهر
 قد سحبت أذيالُ
 برودها الخُضر
 ورققت الأصـالُ
 لعُبرة القطر
 فافترعن حُوه⁽¹⁾ ثغر الأَزهير
 ونمَّ عن أخلاط مسك وكافُور
 فهاتها قد بانُ
 لعاذلي عُذري
 في نغمة العيدانُ
 ورنة الزَّمَر
 والثم طلي القُطعان⁽²⁾
 وأرشُف لي الخُمَر
 رُضابة حلوهُ كذوب بَأُور
 تختالُ في أسماطُ من جواهر النُّور
 يُديرُها تَيَّاهُ
 كالصَّبْح مرآه
 إن أخطأت كفَّاه
 سقتك عيَّاهُ
 لَأله ما أبهاه
 ومما أخَيَّلاهُ
 غصنُ على رَيَّوه ألحظ يَعْفُور⁽³⁾
 مجوهر الأقرط طلق الأسارير

آه ومن يُببلى
 حرباً أن يببدي
 لشدة ما حلاً
 بالصَّابِّ من وجَد
 يا عاذلي مهلاً
 فالعَذْلُ لا يُجدي
 ما أبعد السَّلوَّة عن قلب مدعور
 تُيَمَّ في فسطاط ببدر ديجور
 رفقا منى قلبي
 بقالب هيَّمانك
 قد زاد في كربي
 فتور أجفانك
 اللـة في صاب
 بنيل إحسانك
 يا صاحب السَّطوهِ وارفق بمهجور
 أضغظتني إضغاط⁽⁴⁾ يا فتنة الحور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفي سنة 776 هـ):

١

جاذك الغيث إذا الغيث همي
 يا زمان الوصل بالأنـدلس
 لم يكن وصلك إلا حلما
 في الكرى أو خلسة المختلس
 إذ يقود الدهر أشـتات المنى
 ينقل الخطو على ما يرسم
 زمرا بين فرادى، وثنا
 مثل ما يدعو الوفود الموسـم

- والحيا قد جَلَلَ الروضَ سَنًا
 فثَغُورُ الزَّهْرِ مِنْهُ تَبَسُّمٌ⁽¹⁾
 وروى النعمانُ عن ماء السَّما
 كيفَ يَروي مالكٌ عن أنس
 فكساهُ الحسنُ ثوباً معلماً
 يزدهي منه بأزهى ملبس⁽²⁾
 في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى
 بالدُّجى لولا شمسُ الغُرر
 مال نجمُ الكأس فيهما وهوى
 مستقيم السير سعد الأثر
 وطر ما فيه من عيب سوى
 أنه مرَّ كلمح البصر
 حين لَذَّ الأنسُ شيئاً أو كما
 هجمَ الصبحُ هجوماً الحرس
 غارت الشهبُ بنا أو ربَّما
 أثرت فينا عيونُ النرجس
 أيُّ شيءٍ لا مرئٍ قد خلاصاً
 فيكون الروضُ قد مكَّن فيه
 نَهَبُ الأزهارِ مِنْهُ الضَّرْصا⁽³⁾
 أمنتُ من مكره ما تتقيهِ
 فإذا الماءُ تُناجى والحَصا
 وخلا كلُّ خليلٍ بأخيه
 تبصرُ الورْدَ غيورا برما
 يكتسى من غيظه ما يتكتسى
 وترى الآسَ لبيباً قهما
 يسرقُ السمعُ بأدنى فَرَس⁽⁴⁾
 يا أهيلَ الحي من وادي الغضا
 وبقلبي سكن أنتم به⁽⁵⁾

ضاق عن وجدي بكم رحبُ الفضا
 لا أبالي شرقه من غربه
 فأعيدوا عهد أنس قد مضى
 تعتقوا عانيكم من كربه
 واتقوا الله وأحيوا مَغرماً
 يتلاشى نَفْساً في نَفْس
 حَبَسَ القلبَ عليكم كَرماً
 أفتَرْضَوْنَ عِفاءً ⁽⁶⁾ الْحَبْسِ
 وبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ
 بأحاديثِ الْمُنَى وهو بعيدُ
 قمرٍ أطاع منه المغربُ
 شقوةَ المَغْرَى به وهو سعيدُ
 قد تساوى محسنٌ أو مذنبٌ ⁽⁷⁾
 في هواه بينَ وعْدٍ ووَعِيدِ
 ساحر المقلّة معسولُ اللَّمي
 جال في النفس مجالاً لِفَنِّ

ما لقلبي كلمًا هبت صبا
 عاذة عيد من الشوق جديد
 كان في اللوح له مكتتباً
 قوئلُه «إنَّ عذابِي لَشَدِيدُ»
 جلب الهم له والوصب
 فهو للأشجان في جهد جهيد
 لاعج في أضلعي قد أضرم⁽⁹⁾
 فهي نار في هشيم اليبس
 لم يدغ في مهجتي إلا ذما
 كبقاء الصبح بعد الغلس
 سلمى يا نفس في حكم القضا
 واعمري الوقت برجعى ومتاب
 دُعك من ذكرى زمان قد مضى⁽¹¹⁾
 بين عُتبي قد تقضت وعتاب
 واصرفي القول إلى المولى الرضا
 ملهم التوفيق في أم الكتاب
 الكريم المنتهى والمنتمى
 أسد السرج ويدر المجلس
 ينزل النصر عليه مثل ما
 ينزل الوحي بروح القدس⁽¹²⁾
 مصطفى الله سمي المصطفى
 الغني بالله عن كل أحد
 من إذا ما عقد العهد وفى
 وإذا ما قُبِح الخطب عقد⁽¹³⁾
 من بني قيس بن سعد وكفى
 حيث بيت النصر مرفوع العمد
 حيث بيت النصر محمي الحمى
 وجنى الفضل زكى المغرس

والهوى ظلٌ ظليلٌ خيِّما
والندى هباً إلى المغتسر⁽¹⁴⁾
هاكها ياسبط أنصار العُلا
والذي إن عثر الدهرُ أقال
غادة البسها الحسنُ مُلا⁽¹⁵⁾
تبهرُ العين جلاء وصقال
عارضت لفظاً ومعنى وحُلا
قول مَنْ أنطقه الحبُّ فقال:
هل ذرى ظبيُّ الحمى أن قد حمى
قلب صَبَّ حُلَّة عَنْ مكنس
فهو في حرٍّ وخفق مثل ما
لعبت ريح الصبا بالقَبَس

٢

يا حادي الجمال عرِّجْ على سلا⁽¹⁾
قد هام بالجمال قلبي وما سلا
عرِّجْ على الخاليج
والرمل في الحمى
في المنظر البهيج
بالبيض كالدمى
والأبطح النسيج
من صنعة السَّما
لله من جلال تختال في حُلا
لم تلف في اعتدال عنهنَّ معدلا
وطُف من الرِّباط
بركن طائف
بمنزل اغتباط
دار الخلال

مـ قـ دـ سـ المـ واطـ
 جـ مـ العـ وارفـ
 كم من سنا هلال بأفقه انجلى
 أنحى على الضلال فانجاب وانجلى
 جنني النعيم دان
 والبحر والغدير
 أهله الشئواني
 في أفقه تسيّر
 وقه هوّة الدنان
 يُديرها مُدير
 أغر كالغزال مقلد الطلا
 يسطو ولا يبالي بالأسد في الضلا
 أولى إليك أولا
 من ذكر معهد
 أكثرت فيه قولا
 في كل مشهد
 خذ في امتداد مولى
 ندب مؤيد
 مُجد الجلال مُشهر العُلا
 قد فاق في كمال وراق مُجتلا
 موافق الخليل
 في الاسم والسمات
 ذي المنظر الجميل
 الرائق الصفات
 مُكرم الدخيل
 ومُجزل الهبات
 ومحسب النوال لمن توسلا
 ورافع المعالي سُحبا مُظلا

يَا مَنْ عُلَاهِ دَرَّتْ
بِكُلِّ نَائِلِ
خُذْهَا إِلَيْكَ جَرَّتْ
ذِيلَ الْخُمَائِلِ
وَفِي حُفْلَاكَ أَزَرْتُ
بِقَوْلِ قَائِلِ:
يَا مَنْزَلَ الْغَزَالِ حَيَّيتُ مَنْزِلًا
فَمَا أَرَى بِسَالٍ عَنْهُ وَإِنْ سَلَا

● ابن زمرك (المتوفي سنة 795 هـ):

نَسِيمٌ غَرْنَاظَةٌ عَلِيلُ
لَكِنَّهُ يُبْرِئُ الْعَلِيلُ
وَرَوْضُهُ زَهْرٌ بِإِيلُ
وَرَشْفُهُ يَنْقَعُ الْغَالِيلُ
سَقَى بِنَجْدِ رِيَا الْمُصَالِي
مَبَاكِرًا رَوْضَهُ الْعَمَامُ⁽¹⁾
فَجَفَنَ كَلِمًا اسْتَهْلًا
تَبَسَّمَ الزَّهْرُ فِي الْكَمَامِ⁽¹⁾
وَالرَّوْضُ بِالْحُسْنِ قَدْ تَجَلَّى
وَجَرَدَ النَّهْرُ عَنْ حُسَامِ
وَدُوْحُهَا ظِلٌّ ظَالِيلُ
يَحْسُنُ فِي رِبْعِهِ الْمُقِيلُ
وَالْبَرْقُ وَالْجَوْ مُسْتَطِيلُ
يَلْعَبُ بِالصَّارِمِ الصَّقِيلُ
عَقِيلَةٌ تَاجُهَا السَّبِيكَةُ
تُطْلُ بِالْمَرْقَبِ الْمَنِيْفُ
كَأَنَّهَا فَوْقَهُ مَلِيكَةُ
كَرْسِيَّهَا جَنَّةُ الْعَرِيْفُ

تطبعُ من عسجد سبيكة
شموسها كلها تُطيفُ (2)
أبدعها الخالق الجليلُ
يا منظرًا كله جميلُ
قلبي إلى حسنه يميلُ
وقبلنا قد صبا جميلُ (3)
وزاد للحسن فيك حسنا
محمدُ الحمد والسَّماحُ
جددٌ للفخر فيك معنَى
في طالع اليُمن والنَّجاحُ (4)
تُدعى رشاداً وفيك معنَى
يخصُّك الفضلُ بافتتاحُ (5)
فالنصر والسعد لا يزولُ
لأنه ثابتٌ أصيلُ
سعدٌ وأنصاره قبيلُ
أبأوه عترة الرسولُ
أبدى به حُكمه القديرُ
وتوجَّ العروضُ بالقبابُ
ودرعُ النهر بالغديرُ
وزيَّن الزهر بالحبَّابُ (6)
فمن هديل ومن هدير
ما أولع الحُسن بالشبابُ
هبتْ عل روضها القبولُ
وطرفها بالسرى كاليلُ (7)
فلم يزل بينهما يجولُ
حتى تبدتْ له حُجولُ
للزهر في عطفها رقومُ
تأوَّحُ لعين كالنجومُ

ولاندى بينها رسومُ
 عقدُ الندى فوقها نَظِيمٌ (8)
 وكلُّ وادٍ بها يهيمُ
 ولم يزل حولها يحومُ
 سُنْبُلُها مُدْمَنُه نيلُ
 والسَّيْنُ أَلْفُ لِمَسْتَنِيلُ (9)
 وعَيْنُ وادٍ لَهُ تَسِيلُ
 من فوق خَدَّ لَهُ أَسِيلُ (10)
 كم من ظلالٍ به تَرفُ
 تطفؤ له فوقها سُتُورُ
 ومن زجاج به يشفُ
 ما بين نورٍ وبين نُورُ
 ومن شمسٍ به تحفُ
 تُديرُها بينها البُودُورُ (11)
 مزاجها العذبُ سَلَسِيلُ
 يا هل إلى رشفها سَبِيلُ
 وكيفَ والشَّيْبُ لِي عَذُولُ
 وصَبُّغُهُ صَفْرَةُ الْأَصِيلُ
 يا سرحةً في الحمى ظالِيه
 كم نلت في ظِلِّكَ الْمُنَى
 روضك الاله من خَمِيله
 يُجَنِّى بها أَطْيَبُ الْجَنَى
 وبرقُها صادقُ المَخِيله
 ما زال بالغيث محسناً
 أنجزَ لي وعْدَكَ الْقَبُولُ
 فلم أقل مثل مَنْ يَقُولُ:
 يا سرحه يا مَطْلُولُ
 شرحُ الذي بيننا يَطُولُ

● اللخمي الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء القرن التاسع الهجري:

حيّاك بالأفراح داعي الصّباح

قمّ لاصططابـ

فالنوم في شرع الهوى لا يُباح

والصبح قد جرّد منه حسام

بباد القـ

تضحى وجوه الزّهر منه وسام

ذات ابـ

وحامّ جنح الليل قد دعا سام

مما يُـ

وخافق البرق بدا بالنياح

سامي الـ

وأدمع المزن به في انسياح

والروض من ذاك الهتون البليل

ظلّ ظـ

يغدو نسيم الزهر منه عليل

يشـ في الغـ

وساجع البلبـ يُبدي أليل

عـ إلى الخـ

لما رأى تلك الغياض الفساح

غننـى وصـ

وكاد يزري بالطيور الفصاح

إنـي بذكري لتصابي أطيب

عنـ كل طـ

كأنما تذكره لي مطيب

غنـض رطـ

حتى إذا ما قمتُ فيه خطيبُ
بمـا يَـطـيـبُ
رأيتُ مدحي لـلـصـفـات المـلـاحُ
عـيـنَ الصـلـاحُ

فلم أصخ فيه إلى قول لاحُ
أما ترى ابن البازي استمالُ
قـلـابـي فـمـالُ
غيثٌ ولكن ليس فيه انهمالُ
إلا بـالُ
بدرٌ ولكن ليس إلا الكمالُ
ثم الجـمـالُ
له بأفق المعالوات التماحُ
إلى الطـمـاحُ

وشأنه البذلُ وفرطُ السَّماحُ
قد حاز فضلَ⁽¹⁾ السَّبق بين الوجودِ
حـلـمـاً وُجـودُ
تَهوي السـمـا كان إليه سـجـودُ
مـهـمـا يـجـودُ
وذاته العـلـيـاء روضُ مـجـودُ
عـالـيـ النـجـودُ
شذاه للمأمول (2) والسُّؤال راحُ
والاقتـراحُ

وموردُ العايين منه قُراحُ
بمثل هذا الدُّخري شُقى الغرامُ
مـمـا يُـرـامُ

فإنه فخر القضاة الكرام
 بلا انصرام
 وجاهله أزرى بكل احترام
 صاعب المرام
 وجوده في الناس خافي الجناح
 بالامتناع

فهل على مداحه من جناح
 وهاكها مولاي ذات اعتقال
 كمما يُقَال
 ترجو ندى يقضي بحل العقال
 لالانتقال
 وها أنا عارضتُ فيها مقال
 ممن كان قال:
 بنفسج الليل تزكى وفاح
 فوق البطح
 أظنُّه يُسقى بماء وراح

● المنصور السعدي (المتوفي سنة ١٥١٢ هـ):
 عطّر الأرجاء لائسما
 شمأل الصهباء عند الغلس
 وأتت شمس الضحى تنسخ ما
 يقرأ الليل لنا من عبس
 طاف بالكأس من الترك فتى
 مولع بالصدا عنى ما فتن
 فئن الأبواب ما التفتا
 واجتنى منه بعض الشفة
 وأتانا بالحميا فمتى
 صده تيه الهوى عن الفتى

وكؤوسُ الرّاح بين النُّدَمَا
أرْجَت بالعرف أفقَ المجلّس
خمرةٌ صفراءُ في البأورِما
أشَبَّه الرّاحَ بروض النّرجس
بأدر اللّذات واجمَع شَمَاهَا
بمدمام وغلام مطرب
ذي عيون ناعسات كم لها
من فنون السّحر ما يلعبُ بي
وأفر الأرداف عانِي حمَاهَا
ناحل الخصر وذا من عَجَب
كلما أفرغ كأساً قال ما
أنت بالشاري حياة الأنفُس
فأبدل الجهدَ وكن مغتنماً
لنعيش العيش طيباً الأنفُس
فرصُ اللذات كن منتهزاً
بشذاها قبل حذف الخبَر
وليا لي الأنس كن منتجراً
قبل أن تمضي كالمح البَصَر
واجتني زهر الهوى محترزاً
من جنايات هموم الكبر
لا تكن يوماً جباناً حيثُما
لاحت اللذات كالمختلس
ما مضى يومٌ ووافى مثلاًما
كان فالدهرُ لنا بالحرس
لرياض اذهب ترى بابِلَهَا
يتغنّى بين زهرينّ جلي
وخُدودُ الروض قد كَلَّهَا
دمعُ طلّ لاشتياق البَلّ

وَقُدُودُ الْبَبَانِ قَدْ قَامَ لَهَا
 يَانَعُ الْغَصْنِ مَقَامَ الْأَسَلِ
 وَالرُّبَى فَاحَتْ تَحَاكِي خُزْمَا
 وَعَلَيْهَا مِنْ ثِيَابِ السُّنْدُسِ
 جِيْبُهَا زَرَزَ بِالزَّهَرِ كَمَا
 زَرَبَ الْفَضَّةَ ثَوْبُ الْأَطْلَسِ
 وَجَلَا الرُّوْضُ لَنَا أَشْجَارَهُ
 مَائِسَاتٍ فِي قِبَاءِ أَخْضَرِ
 وَتَرَى فِي جِيدِهَا أَنْوَارَهُ
 تَتَلَأَلُ كَعَقُودِ الْجَوْهَرِ
 خَلَعَ اللَّيْلُ بِهِ أَطْمَارَهُ
 فَغَدَا كَالصَّبْحِ بَاهِي الْمَنْظَرِ
 وَبِقَايَاهُ زَهَتْ فِيهِ كَمَا
 فِي شَفَاهِ الْغَيْدِ حَسَنَ اللَّعَسِ
 كَعَذَارٍ فِي مُحَيَّا عَالِمَا
 فَبَدَا لِلْعَيْنِ لَا لِلْمَأْمَسِ
 حَبْدَا الصَّبْوَةِ أَيَّامَ الصَّبَا
 وَعَيُونُ الشَّيْبِ فِي سَهْوِ الْوَسْنَجِ
 فَإِذَا أَيْقَظَهَا دَهْرُ صَبَا
 لَصُرُوفِ حَدٍّ حُدَيْهَا وَسَنَ
 جَرْدِ الشَّيْبِ بِيَاضاً أَشْيَبَا
 وَاقْتَفَى شَرْخَ شَبَابٍ وَطَعَنَ
 وَغَدَا الْإِنْسَانُ شَيْخاً هَرَمَا
 وَاعْتَرَاهُ لَاعِجٌ مِنْ هَجَسِ
 فَإِذَا مَا فَاتَ يَقْضِي نَدَمَا
 وَاعْتَنَامُ الْوَقْتِ فَعَلَ الْأَكْيَسِ
 لَا تَدْعُ عَمْرَكَ يَمْضِي هَدْرَا
 أَنْتَ إِذَاكَ جَبَانٌ غَافِلُ

وارق بالجهل من النُّبل ذرى
 واجتهد فالدَّهرُ ضرعٌ حافلٌ
 إنما الأيامُ أمثالُ الشَّرى
 والجريءُ الشَّهمُ ليثٌ بأسلٌ
 ووحوشُ الأنسِ تبقى مغنما
 باردًا للأسدُ المُفْتَّرس
 ترك الوهمَ وخاض الظُّلما
 وله عزمٌ أضاع كالقَبَس

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

● من «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام

● ● ●

● من مقدمة «دار الطراز» لابن سناء الملك

● ● ●

● من «المقتطف من أزاهر الطرف» مقابلا على «مقدمة» ابن خلدون،

و «نفح الطيب»

● ● ●

● من مقدمة «توشيح التوشيح» للصفي

من "الذخيرة" في محاسن أهل الجزيرة"، لابن بسام

فصل في ذكر الأديب أبي بكر عبادة بني ماء
السَّماء؛ واشتات جملة من شعره، ما يتعلق به من
ذكره: قال ابن بسام

هو عبادة بن عبد الله الأنصاري، من ذرية سعد
بن عبادة، وقيل له ابن ماء السَّماء لجدهم الأول.
ولحق بقرطبة (في أيام) ⁽¹⁾ الدولة العامرية
والحمودية، ومدح رجالها، وكان أبو بكر في ذلك
العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة، سلك إلى
الشعر مسلماً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً.
وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس
طريقتها، ووضحوا ⁽²⁾ طريقتها غير مرقومة البرود،
ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منادها وقوم
ميلها وسنادها فكانها لم تُسمع إلا منه، ولا أخذت
إلا عنه، واشتهر بها اشتهاً غلب على ذاته، وذهب
بكثير من حسنة.

وهي أوزان كثيرة كثر استعمال أهل الأندلس
لها في الغزل والنسيب، تُشَقُّ على سماعها مصونات

الجيوب، بل القلوب،

وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا، واخترع طريقتها-فيما بلغني- محمد بن محمود ⁽³⁾ القُبْرِي الضَّرِير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير المستعملة، يأخذُ اللفظَ العاميَّ العجميَّ ويُسمِّيهِ المركز، و يضعُ عليه الموشحة، دون تضمين ⁽⁴⁾ فيها ولا أغصان.

وقيل إن ابن عبد ربّه صاحبَ كتاب العقْد أول مَنْ سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا .

ثم نشأ يوسفُ بن هارون الرَّمادي، فكان أول من أكثرَ فيها من التضمين في المراكز، يُضمِّن كلَّ موقف يقفُ عليه في المركز خاصةً، فاستمر على ذلك شعراء عصره ⁽⁵⁾ كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن،

ثم نشأ عبادة (ابن ماء السماء) هذا، فأحدث التَّغيير ⁽⁶⁾، ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان، فيضمَّنُها، كما اعتمد الرَّمادي مواضع الوقف في المركز.

وأوزانُ هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب، وقد أثبت من شعر عبادة في هذا الفصل ومن سائر كلامه، ما يدل على تقدمه وإقدامه ..

فصل: في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عبادة، المعروف بابن القرّاز: من مشاهير الأدباء الشعراء. وأكثر ما ذكر اسمه، وحُفِظَ نظمُه في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالُها عند أهل الأندلس. وقد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء. من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجلُ ابنُ القرّاز ممَّنْ نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجة ورصع تاجه، وكلامُه نازل في المديح، أما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشّفوف، وتلك الأعاريضُ خارجة عن (غرض) ⁽⁷⁾ هذا التصنيف.

من مقدمة «دار الطراز»

لابن سناء الملك

«إنّ الموشحات مما ترك الأول للآخر، وسبقَ بها المتأخّرُ المتقدم، وأجلبَ بها أهلُ المغرب على أهل المشرق، وغادرَ بها الشعراء من مُتردِّم، مُلحّة

الدَّهْر، وبابلُ السَّحَر، وعنبرُ الشَّحَر، وعودُ الهَنْد، وخمرُ القَفَص، وتبرُ الغَرْب، ومعيَّارُ الإفْهَام وميزانُ الأذْهَان... صار المغربُ بها مُشرِقاً لشروقها بأفقه، وإشراقها في جوِّه، وصار أهلُه بها أغنى الناس لظفرهم بالكنز الذي دَحَرَتْه لهم الأيَّامُ، وبالمعدن الذي نام عنه الأنامُ..

حد الموشح:

الموشَّحُ كلامٌ منظومٌ على وزن مخصوص. وهو يتألفُ في الأكثر من سِتَّة أَقْفَال وخمسة أبيات ويقال له التَّام، وفي الأقل من خمسة أَقْفَال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.

فمثال التَّام موشَّحُ الأعمى وهو الذي سارت به الركبانُ:
ضاحكٌ عنْ جِمانٍ سافر عنْ بَدْرٍ ضاق عنه الزَّمانُ وحواهِ صَدْرِي⁽¹⁾
فهذا الموشح ابتدئ بقفله. ومثال الأقرع:

سَطَوَةُ الحَبِيبِ
أَحْلَى مِنْ جَنِيِّ النُّحْلِ
وَعَالَى الكُئَيْبِ
أَنْ يَخْضَعَ لِلدُّلِّ
أَنَا فِي حُرُوبِ
مَعَ الحَدَقِ النُّجْلِ

ليس لى يدان بأحور فتان مَنْ رَأَى جَفَوْنَهُ فَقَدْ أَفْسَدَتْ دِينَهُ⁽²⁾

فهذا الموشحُ ابتدئ ببيتته.
والأقفالُ هي أجزاءُ مؤلفَةٍ يلزَمُ أَنْ يكونَ كُلُّ قَفْلٍ منها مُتَّفَقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها.

والأبيات هي أجزاءُ مؤلفَةٍ مُفَرَّدَةٌ أو مُرَكَّبَةٌ، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر. والقفلُ- كما تقدم- يتردد في الموشح ستَّ مرات في التام، وخمس مرات في الأقرع. وأقل ما يتركبُ القفلُ من جزأين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء، وقد يوجد

في النَّادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء، ولم أجد للمغاربة منه ما أثقُ
بَنسبه، فلهذا لم أذكر مثالا منه.

والبيت لا بد أن يتردّد في التّام وفي الأقرع خمس مرات. وأقلُّ ما يكون
البيت ثلاثة أجزاء. وقد يكون في النَّادر من جزأين، وقد يكون من ثلاثة
أجزاء ونصف، وهذا لا يكون إلاّ فمّا أجزاءه مركبة. وأكثر ما يكون خمسة
أجزاء.

والجزء من القفل لا يكون إلاّ مفرداً، والجزء من البيت قد يكون مفرداً
وقد يكون مركباً. والمركب لا يتركب إلاّ من فقرتين أو من ثلاث فقر، وقد
يتركب في الأقلّ من أربع فقر.

وسنكتب هاهنا مثالا لكل ما ذكرناه ليتلخص ويتشخص، وينتقل ما
ندرّكه بالقول سماعا إلى أن تراه بالخطّ عياناً. فأمثلة الأفعال:

القفل المركب من جزأين:

شـمـسـُ قـارنـتـ بـدراً

راحٌ وئـمـديـم⁽³⁾

المركب من ثلاثة أجزاء:

حـلـتـ يـدُ الأمـطـار

أزـرّة النـوار فـيـا خـدني⁽⁴⁾

المركب من أربعة أجزاء:

أدِرْ لنا اكواب يُنسى بها الوجدُ واستحضر الجُلاسُ كما اقتضى الودُ⁽⁵⁾

المركب من خمسة أجزاء:

يـا مـن أجـودُ ويـبـخلُ

عـالـي شـحـى وافتـقـاري

أهـواك وعـنـدي فـي زيـادة

مـنـها شـوقـي وادكـاري⁽⁶⁾

المركب من ستة أجزاء:

ميتاتُ الدَمَنُ أَحْيَيْنَ كَرْبِي وهل يُتِمَكَّنُ
عزاءٌ لقلبي مت يا عزاه شاه (7)

المركب من سبعة أجزاء:

الموشحُ المعروف بالعرُوس، وهو موشحٌ ملحونٌ، واللحنُ لا يجوز استعمالُهُ في شيء من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فهذا لم نوردْ مثاله (8)

المركب من ثمانية أجزاء:

على عيون العين رعى الدَّارِي من شُغِفْ بِالْحُبِّ
واستعذب العذاب - والتدَحَّالِيه من أسف وكرَب (9)

وقد يندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها أن تكون أقفالها مختلفة أعداد الأجزاء، كالموشح الذي أوله:

بـأبـي عـا ق
بـالـنـفـس عـا ق (10)

وهذا الموشحُ لعبادة، فإنَّ قفله الأول جزءان، وبقية أقفاله ثلاثة..
أمثلة الأبيات

أمثلة ما أجزأوه مفردة:

ما هو منها على ثلاثة أجزاء:

أرى لك مهتد أحاط به الإثم فجرد ما جرد

فيا ساحر الجفن
حُسامك قطاع (11)

ما هو منها على أربعة أجزاء:

قد باح دمعِي بما أَكْثَمُهُ
وحنَّ قَلْبِي لِمَنْ يَظْلُمُهُ
رَشَا تَمَرْن فِي لَأْفُثْمُهُ
كَمْ بِالْمُنَى أَبْدَأُ التَّمْثُمُهُ

يفترعن لؤلؤ متسق
مَنْ للأقاح بنسيمه العَبِق (12)

أمثلة الأبيات التي أجزاؤها مركبة:

ما تركب بيته من فقرتين وثلاثة أجزاء:

أَقْـمُ عُنْـذُرِي
فَقَدْ أَنْ أَعْـكُفُ
عَـلَى خَـمْرٍ
يَطْـوْفُ بِهَا أَوْطَـفُ
كَمَـا تَدْرِي
هَضِيمَ الحَشَى مُخْطَفُ
إذا ما مَادُ فِي مَخْضَرَةِ الأَبْرَادُ رَأَيْتَ الآسُ بِأَوْرَاقِهِ قَدْ مَاسُ (13)
ما تركب من فقرتين وثلاثة أجزاء ونصف:

مَنْ أَوْدَعَ الأَجْنَـفَ أَنْ
صَوَّارِمَ الهَنَـدِ
وَأَنْبَبَتِ الرِّيحَ أَنْ
فِي صَفْحَةِ الخَدِّ
قَضَى عَلَى الهَيْمَانِ
بِالدَّمْعِ وَالسَّهْمِ
أَنْي وَلِلْكَتْمَانِ
لِلهَائِمِ الْمُغْرَمِ بِدَمْعِ نَمٍ إِذْ يَسْجَمُ بِمَا يَكْتُمُ مِنْ الشَّرِّ

في عاطل حال غرير ساطع على الدُّعْج (14)

ما تركب من فقرتين وأربعة أجزاء:

مَا حَوَى مُحَاسِنَ الدَّهْرِ
إِلَّا غَـ
مُغْرَقَ الخَدَّيْنِ مِنْ فَهْرٍ
عَمَّ وَخَالُ

نَسْبَةُ لِنَائِلِ الْغَمْرِ
وَلِلْأَنْبِيَاءِ
فَأَنَا أَهْوَاهُ لِلْفَخْرِ
وَلِلْجَمْعِ الْمَالِ

وَجْهَهُ وَجْهٌ طَلِيقٌ لِلضُيُوفِ مُشْرِقٌ
وَيَدُ تَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ فَتُفَرِّقُ⁽¹⁵⁾

ما تركبَ من فقرتين وخمسة أجزاء:
هُنَّ الظُّبَا الشَّمْسُ
قَنِيصُهُنَّ الضُّيُغَمُ
مَا إِنْ لَهَا مِنْ كُنُوسٍ
إِلَّا الْقَلُوبُ الْهُيَّيْمُ
الْقُرْبُ مِنْهَا عُرْسُ
وَالْبُعْدُ عَنْهَا مَأْتَمُ
تِلْكَ الشَّفَاةُ الْأَعْسُ
يَحْيَا بِهِنَ الْمُغَرَمُ
لَهَا لِحَاطُ نُعُوسُ
تَرْنُو إِلَى مَنْ يَسُقَمُ

بأعين الغزلان وتبتسم عن جوهر
قضى لها الغيران أن تكتم في مضمَر
الأنياط⁽¹⁶⁾
وقد يندر في بعض الموشحات ما يكون بيته جزأين مركبين من فقرتين،
وهو شاذ جدا وهو:

بَاكَرٌ إِلَى الْخَمَرِ
وَاسْتَنْشَقَ الزَّهْرَا
فَالْعُمُرُ فِي خُسْرٍ
مَا لَمْ يَكُنْ سُكْرَا

وهذا معجزٌ معورٌ، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة،
كقول ابن بقي:

ليلٌ طويلٌ ولا معينٌ يا قلبَ بعض الناسِ أما تلين؟ (21)
فمنَّ قدر أن يقول هكذا فليعرب وإلا فليعرب.

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل للخروج إليها وثباً واستطراداً،
وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما السنة الناطق أو الصامت، أو على
الأغراض المختلفة للأجناس. وأكثر ما تجعل على السنة الصبيان والنسوان،
والسكري والسكران، ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت،
أو غنى أو غنيته أو غنت (22) فاجعل على لسان الحمام: قول عبادة:

إن الحَمَامَ

في أيكها تشدو
قل هل علم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان (23)
ومما جعل على لسان الغرام قول ابن بقي:

أنا وأنت

أسوء هذا الهجر

وبالصلبر بنتا

عند انصداع الفجر

ومند رحا

غنى الجوى في صدري

سافر حبيبي سحر وما ودعتوا يا وحش قلبي في الليل إذا افكركتو (24)
ومما استعير على لسان الهيجا قول عبادة:

فالهيجاء غني

والسيف قد طرب

ما أملح العساكر وترتيب الصفوف والأبطال تصيح الوثائق يا مليح (25)

ولو ذكرنا مثلاً لكل لسان استعاره القوم لطالت الألسنة، وحصل الملل
والكلال، وقد ذكرنا منها ما يُجزى ويكفي من المثال.

وقد تكونُ الخرجةُ عجميةً اللفظ، بشرط أن يكونَ لفظها أيضاً في العَجَمِيّ سَفْسَافاً نفطياً، ورَمادياً رُطْباً.

والخرجةُ هي أٌبْزَارُ الموشح، وملحّةٌ وسُكْرَةٌ، ومسكه وعنبرُهُ، وهي العاقبةُ وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمةُ بل السابقةُ وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقةُ لأنها التي ينبغي أن يسبقَ الخاطرُ إليها، ويعملها مَنْ ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيدَ بوزن أو قافية، وحين يكون مسيِّباً مسرّحاً، ومتبَّحِجاً منفسحاً، فكيفما جاء اللفظُ والوزنُ خفيفاً على القلب، أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس، حلواً عند الذوق، تناوله وتولّاه، وعامله وعمله، وبني عليه الموشح، لأنه قد وجدَ الأساسَ، وأمسك الذنبَ ونصبَ عليه الراس.

وفي المتأخرين مَنْ يعجزُ عن الخرجة، فيستعيرُ خرجةً غيره، وهو أصوبُ رأياً ممن لا يوفقُ في خرجته بأن يُعْرِبَهَا ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافُ بل يتناقلُ.

(الأوزان):

والموشحات تنقسم قسمين: الأولُ ما جاء على أوزان أشعار العرب، والثاني ما لا وزن له فيها ولا إمام له بها.

والذي على أوزان الأشعار ينقسم قسمين: أحدهما ما لا يتخللُ أقفاله وأبياته كلمةً تخرجُ به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذولُ المخذولُ، وهو بالمخمسات أشبهُ منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء، ومَنْ أراد أن يتشبهَ بما لا يعرف، ويتشيعَ بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قفلةً مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن الخمسّات، كقول بعضهم:

يا شقيق الرُّوح من جسدي

أهوى بي منك أم لمم⁽²⁶⁾

فهذا من المديد، وكقول الآخر:

أيها الشاكي إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع⁽²⁷⁾

فهذا من الرمل.

وفي شجعان الوشّاحين والطّعّانين في صدور الأوزان مَنْ يأخذُ بيتَ
شعر مشهوراً فيجعله خرجةً، ويبنى عليه موشحةً، كما فعل ابنُ بقى في
بيت ابن المعتز وهو:

عَلَّمُونِي كَيْفَ أَسْأَلُو وَالاً

فأحجبوا عن مقلتي الملاحا (28)

فإنَّ ابن بقي جعله خرجةً لموشحه، وسيأتي ذكره.

وفي الوشّاحين من أهل الشُّطارة والدّعارة مَنْ يأخذُ بيتاً من أبيات
المحدثين فيجعله بألفاظه في بيت من أبيات موشحه، كما فعل ابن بقي في
بيتي كشاجم، فإنَّ كشاجم قال:

يقولون تُبْ والكأسُ في كَفْ أغيد

وصوتُ المثاني والمثالث عال

فقلتُ لهم لو كنتُ أضمرتُ توبة

وأبصرتُ هذا كلُّه لبدا لي

فقال ابنُ بقي:

قالوا ولم يقولوا صوابا

أفنيّت في المجون الشَّبابا

فقلت لونيوت متابا

والكأسُ في يمين غزالي والصوتُ في المثالث عال لبدا لي (29)

والقسم الآخر ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة
كانت أو ضمةً أو فتحةً، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً، وقريضاً محضاً،
فمثالُ الكلمة قولُ ابن بقي:

صبرتُ والصَّبْرُ شيمَةُ العاني

ولم أقل للمطيل هجراني مُعَذِّبِي كَفَّانِي (30)

فهذا من المنسرح، وأخرجه منه قوله: «مُعَذِّبِي كَفَّانِي»

ومثالُ الحركة هو أن تُجْعَلَ عليه قافيةٌ في وزن، ويتكلف شاعرها أن
يعيد تلك الحركة بعينيتها وبقافيتها، كقوله:

يا ويح صب إلى البرق
 لـه نَظْرُ
 وفي البكاء مع الـوزن
 لـه وَطْرُ (31)

فهذا من البسيط، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة هو الذي أشرنا إليه.

والقسم الثاني من الموشحات هو مالا مَدخَلُ شيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير، الجُمُ الغفير، والعدد الذي لا ينحصر والشارد الذي لا ينضبط. وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دفترًا لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز، لخروجها عن الحصر، وانفلاتها من الكف، ومالها عروض إلا التلحين، ولا ضرب لها إلا الضرب، ولا أوتاد إلا الملاوي ولا أسباب إلا الأوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، والسالم من المرحوف. وأكثرها مبني على تأليف الأرغن (32)، والغناء بها على غير الأرغن مستعارٌ وعلى سواء مجاز.

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسم أقفاله وزن أبياته، حتى كأن أجزاء الأبيات من أجزاء الأقفال، كقول الأعمى:

أحلى من الأمل	يرتاع من قُرْبِي	ويفرق
في وجهه سنّة	يشجى بها العدل	ويشرق
لله ما أقرب	على محبّيه	وأبعدا
حلو اللّمي أشنب	آسى الضنّي فيه	وأسعدا
أحبب به أحبب	ويا تجنّيه	طال المدى
أما ترى حزني	نارا على قلبي	تحرق
حسبي بها جنّة	يا ماء يا ظل	يا رونق (33)

وقسم أقفاله مخالفة لأوزان أبياته مخالفة تتبيّن لكل سامع، ويظهر طعمها لك ذائق، كقول بعضهم:

الحُبُّ يَجْنِيكَ لَذَّةُ الْعَذَلِ
 والـلومُ فيه أحلى من القَبَلِ

لكل شيء في الهوى سبب
جَدُّ الهوى بي وأصله اللَّعبُ

وأن لو كان جديَّ عني
كان الإحسانُ من الحُسْنِ (34)

فها أنت ترى مباينة الأقفال للأوزان مباينةً ظاهرةً، ومخالفةً بعضها لبعض مخالفةً واضحةً، وهذا القسمُ لا يجسرُ على عمله إلاَّ الرَّاسخون في العلم من أهل هذه الصناعة، ومن استحقَّ منهم على أهل عصره الإمامة. فأما مَنْ كان طُفيلياً على هذه المائدة، فإنه إذا سمعَ هذا الموشح، ورأى مباينة أوزان أقفاله لأوزان أبياته ظنَّ أن هذا جائز في كل موشح فعلم مالا يجوزُ عمله، وما لا يمشيه التلحينُ له، وتظهرُ فضيحةُ فيه وقت غنائه، فإن المغني ببعض الآلات يحتاجُ إلى أن يغيّرَ شدَّ الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى القفل، وهذا مكان ينبغي أن يلحظ ويُحفظ.

والموشحات تنقسمُ من جهة أخرى إلى قسمين، قسم لأبياته وزن يدركه السمعُ، ويعرفه الذوقُ كما تُعرَفُ أوزان الأشعار، ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العَروض، وهو أكثرها، وقسمٌ مضطربُ الوزن، مُهلَّه النَّسج، مفكك النّظم لا يحسُّ الذوقُ صحَّته من سقمه، ولا دخوله من خروجه، كالموشح الذي أوله:

أنت اقترأحي
لاقرب الله الواحي

مَنْ شاء أن يقولَ فإني لستُ أسمعُ

خضعتُ في هواك وما كنت لأخضع

حسبي على رضاك شفيعٌ لي مشفعُ

نشـوانُ صـاحـي

بين ارتياع وارتياح (35)

فها أنت ترى بُبُوَ الذوق عن وزن هذا الكلام، وماله عند الطبع الضعيف نظامٌ، ولا يعقله إلاَّ العالمون من أهل هذا الفنِّ، والملائكة المقربون من أهل هذه الصناعة، ومثلُ هذا لا يُقدِّمُ عليه إلاَّ مثل الأعمى، وإلاَّ فالبصيرُ يحذرُه ولا ينظره، وما كان من أهل هذا النمط فما يُعلمُ صالحه من فاسده،

وسألمه من مكسوره إلا بميزان التلحين، فإنَّ منه ما يشهدُ الذوقُ بزحافه بل بكسره، فيجبر التلحينُ كسرَه، ويشفى سُقْمَه، ويردُّه صحيحاً ما به قليَّة، وساكناً لا تضطربُ فيه كلمة.

(نقطة تتعلق بالتلحين):

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسمٌ يستقل التلحينُ به، ولا يفتقرُ إلى ما يعينه عليه، وهو أكثرها، وقسمٌ لا يحتمله التلحينُ، ولا يمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة التلحين وعكازاً للمغني، كقول ابن بقي:

مَنْ طالبُ ثارِ قلبي ظبياتِ الحُدُوجِ فتاناتِ الحجيجِ⁽³⁶⁾

فإنَّ التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول «لا لا» بين الجزأين الجيمين من هذا القفل.

(أغراض الموشحات):

ومن سنة القوم في أكثر موشحات المدح أن يختمَ الموشحُ بالغزل، ويخرجُ من المدح إليه كما يخرج إليه منه، وها هو الأكثر من عملهم، والأظهرُ من مذهبهم، ومنه قولُ الأعمى:

حلوا المجاني ما ضره لو أجاني كما عناني شغلي به وعناني⁽³⁷⁾
فانه ابتدأ بالغزل، ثم خرج إلى المدح، ثم ختمَ بالغزل.

والموشحاتُ يعملُ فيها ما يُعْمَلُ في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرتاء والهجو والمجون والرَّهْد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسمُ في المكفر خاصة أن لا يعملَ إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدلَّ على أنه مكفره⁽³⁸⁾ ومستفيل ربّه عن شاعره، ومستغفره...

من «المقتطف من ازاهر الطرف»

لابن سعيد المغربي

هذان طرازان كان الابتداءُ بعملهما من المغرب، ثم ولعَ بهما أهلُ المشرق. وسيُذكرُ ما يسعُ المكانُ من ذلك.

فأمَّا الموشحات فقد ذكر الحجاريُّ في كتاب المسهب في غرائب المغرب⁽¹⁾ أنَّ المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقَدِّمُ بن معافى القُبْرِي، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربّه صاحب كتاب العقّد، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما (ابن) عبادة القزّاز شاعرُ المعتصم بن صمّادح، صاحب المريّة.

وقد ذكر الأعلَمُ البطليوسي⁽²⁾ أنه سمع أبا بكر بن زُهر⁽³⁾ يقول: كلُّ الوشاحين عيال على عبادة القزّاز فيما اتفق له من قوله:

بدرتم	شمس ضحى	غصن نقا	مسك شَم
ما أتم	ما أوضحا	ما أورقا	ما أنم
لا جرّم	مَنْ لَمَحَا	قد عشقا	قد حرّم

وزعموا أنه لم يشقّ غبارَه وشاخ من معاصريه، الذين كانوا في زمن الطوائف، وجاء مصلياً خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون برت ذي التُّون، صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول:

الْعـودُ قـد تـرَنَّمْ
بأبـدع تـالـحـين
وشـفّت المـلـدانـب
رياض الـبـسـاتـين
وفي انتهائه حيث يقول:
تـخـطـر و لـش⁽⁴⁾ تـسـام
عـسـاك المـأمـون
مـرـوع الـكـتـائب
يـحـيى بـن ذـي الـتـون

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة المثلثين، فظهرت لهم البدائع،
وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي.

(وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله:

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المعالم أشجانُ
والركبُ وسطُ الفلا بالخرْدِ النواعم قد بانوا (5)

سمعتُ غير واحد من أشياخ هذا الشأن بالأندلس (6) يذكرون أن جماعةً
من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع
موشحةً، وتأنق فيها، فقدموه للإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحكٌ عن جُمانٍ
سافِرٌ عن بدر
ضاقَ عنه الزمانُ
وحواه صـدري

خرّق ابنُ بقي موشحتهُ، وتبعه الباقيون.

وسمعتُ الأعلَمَ البطليوسي يقول أنه سمع ابنَ زهر يقول: ما حسدتُ
وشاحاً على قول إلا ابن بقي حين وقع له:

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يُلحَق
أطلعه الغربُ (7) فأرنا مثله يا مشرقُ

وكان في عصره من الوشاحين المطبوعين الأبيض. وكان في عصرهم
أبو بكر ابنُ باجة، صاحبُ التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما
ألقي على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَرَّرَ الذيلُ أيما جرَّ
وصل السُّكر منك (8) بالسُّكر
طرب الممدوح، ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين (9):
عقد الله راية النصر
لأمير (10) العُلا أبى بكر

صاح: وأطرباه وشقَّ ثيابه (11). وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت.

وحلَفَ بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم
سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

وأخبرني أبو الخصيب⁽¹²⁾ بن زُهر أنه لما جرى في مجلس أبي بكر بن
زُهر ذكرُ لأبي بكر⁽¹³⁾ الأبيض الوشاح المتقدم الذكر غَضَّ⁽¹⁴⁾ منه أحد
الحاضرين فقال: كيف تُغَضُّ ممن يقول⁽¹⁵⁾:

مَا لَذِي شَرِبْ رَاحُ
عَالِي رِيَاضِ الْأَقْصَا
لَوْلَا هَضِييْمُ الْوَشَاحِ
إِذْ انْتَنَى فِي الصَّبَا
أَوْ فِي الْأَصْـيَلِ
أَضْحَى يَقُولُ
مَا لَشَمُولُ
لَطَمَتْ خَدَيِ
وَلَا شَمَالَ
هَبَّتْ فَمَالَ
غَصَصْنَا أَعْتَدَالَ
ضَمَّه بُرْدَى
مِمَّا أَبَادَ الْوَبَا
يَمْشِي لَنَا مَسْتِيرِيبَا
يَا لِحِظَّه زُدْ ذَنْوَبَا
وَيَا لِمَاهِ الشَّئْنِيبَا
بَرْدُ غَالِيْلِ
صَبَّ عَالِيْلِ
لَا يَسْتَحِيلُ
فِيهِ عَن عَهْدِي
وَلَا يَزَالُ
فِي كُلِّ حَالِ
يَرْجُو وَالْوَصَالَ
وَهُوَ فِي الصَّـدِّ⁽¹⁶⁾

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمد بن أبي الفضل بن شرف. قال المُسنُّ بن دُور يده⁽¹⁷⁾ رأيتُ حاتمَ بن سعيد يقبل رأسه على هذه البداة:

شـمـسٌ قـارنٌ تـبـدراً
كـاسٌ و نـديـمٌ⁽¹⁸⁾

وابن هردوس الذي له:

يا لـيـلـة الـوـصل والـسـعود
بـالـلـه عـود
وابن مؤهل الذي له:

ما العـيـد في حُلَّة وطاق
و شـم طـيـب
وإنما العـيـدُ في التـلاقـي
مـع الحـبـيـب

وأبو إسحاق الزويلي⁽¹⁹⁾. سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زُهر وقد أسنَّ، وعليه زيُّ البادية، إذ كان يسكنُ بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وجَد، وجرت المحاضرةُ أن أنشدَ لنفسه موشحاً وقع له فيها:

كُحلُّ الدجى يجري في مقلة الفجر على الصباح
ومعصمُ النهار في حُلل خضر من البطاح

فتحرك ابنُ زُهر، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قال: اختبر، قال: ومن تكون؟ فغرفه، فقال ارتفع، فوا لله ما عرفتك.

وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء⁽²⁰⁾ أبو بكر بن زُهر، وقد شرقت موشحاته وغربت. وسمعت أبا الحسن المذكور يقول لابن زُهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول مما استحسنة من قولي، وأرتضيه من نظمي:

ما للموَلَّه	من سكره لا يفيق	يا له سكران ⁽²¹⁾
من غير خمر	ما للكئيب المشوق	يكذب الأوطان ⁽²²⁾
هل تستعاد	أيامنا بالخليج	وليالينا
إذ يستفاد	من النسيم الأريج	مسك دارينا

وإذ يكاد حُسْنُ المكان البهيج أن يحيينا
نهرٌ أظله دوحٌ عليه أنيقٌ مورقٌ ⁽²³⁾ فينانٌ
والماء يجري وعائمه وغريقٌ من جنى الریحان

واشتهر معه ابن حنون ⁽²⁴⁾ الذي له:

يُفَوِّقُ سَهْمٌ ⁽²⁵⁾ كُلَّ حِينٍ
بِمَا شِئْتُ مِنْ يَدٍ وَعَيْنٍ
وَيَنْشُدُ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ ⁽²⁶⁾
خَلَقْتُ مَلِيحَ عِلْمَتِ رَامِي
فَلَسْنُ نَخْلٍ سَاعَ مَنْ قَتَالَ
وَنَعْمَلُ بِذِي الْعَيْنَيْنِ مَتَاعَ
مَا تَعْمَلُ أَدَى ⁽²⁷⁾ بِالْأَنْبَالِ

واشتهر معهما في العصر ⁽²⁸⁾ بغرناطة المهزُ بن الفرس. ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ بِهِجٍ
بِنَهْرٍ حَمَصَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْجِ
ثُمَّ انْعَظْنَا عَلَى فَمِ الْخَلِيجِ
نَفَضَ مَسْكَ الْخِتَامِ
عَنْ عَسَجِ جَدَى الْمُدَامِ
وَرَدَاءُ الْأَصْـيـلِ
تَطْوِيهِ كَفَ الظَّلَامِ

قال: أين كنّا نحن عن هذا الرداء!

وكان معه في بلده مطرفٌ. أخبرني والدي ⁽²⁹⁾ أنه دخل على ابن الفرس المذكور، فقام له وأكرمه، فأشار عليه بألا يفعل، فقال ⁽³⁰⁾ كيف لا أقوم لمن يقول:

قَالَ صَوَّبْتُ ⁽³¹⁾
بِأَلْحَاطِ صَيِّبٍ

فقل كيف تبقَى

بلا وَجْد قُـاُـوُوب (32)

واشتهر بعد هؤلاء (33) ابن حزمون بمرسية أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج (34) دخل عليه في مجلس فأنشده مرشحةً لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشحُ بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال: على مثال قلبي:

يا هاجري هل إلى الوصال

منـنـك سـبـبـيـلـ؟

أو هل يرى عن هواك سالي

قلـبـي العـلـيـلـ؟ (35)

(وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة، كان والدي (36) يعجب بقوله:

إن سِيلَ الصَّبَاحِ فِي الشَّرْقِ

عَادَ بِحِرا فِي أَجْمَعَ الأفقِ

فَتَدَاعَتْ نَوَادِبُ الوُورِقِ

أَثْرَاهَا خَافَتْ مِنَ الغُرُقِ

فَبَكَتْ سَحْرَةً عَلَى الوُورِقِ (37)

واشتهر في اشبيلية أبو الحسن بن الفضل. قال والدي (38): سمعت أبا الحسن بن مالك يقول: يا ابنَ الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل:

وَاحْـسـرـتـا لـزـمـان مـضـى

عـشـيـةً بـان الـهـوى وانـقـضى

وأفـردتُ بـالـرغم لا بـالرضا

وبتُّ عـلى جـمـرات الغـضا

أعـانقُ بـالـوهم تلك الطـلول

وألثم بـالـفكر تلك الرِّسـوم (39)

وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات له غير ما مرة، فما سمعته قال: لله درك، إلا في قوله:

قسماً بالهوى لذي حجر
 ما ليل المشوق من فجر
 جمد الصبح ليس يطرد
 ما ليلي فيما أظن غد
 صبحاً ليل أنك الأبد
 أوفقت قوادم النسور
 أم نجوم السماء لا تسرى⁽⁴⁰⁾

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله:
 ما حال صبّ ذي ضنا واكتئاب
 أمرضه يا ويلتاه الطيب
 عامله محبوبه باجتئاب
 ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
 جفا جفوني النوم لكنني
 لم أبكه إلا لفقد الخيال
 وذا الوصال اليوم غرتني
 منه كما شاء وشاء الوصال
 فلست باللائم من صدني
 بصورة الحق ولا بالمحال⁽⁴¹⁾

واشتهر ببر العُدوة ابنُ خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي
 أولها:

يدُ الإصباح قدحت زناد⁽⁴²⁾ الأنوار في مجامر الزهر

واشتهر ابن خزر البجائي⁽⁴³⁾، صاحب الموشحة المشهورة:
 ثغر الزمان الموافق

حيّاك منه بابتسام⁽⁴⁴⁾

وأما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، وأحسن ما
 وقع لهم من ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري التي أولها:

حبيبي ارفعْ حجابَ النور
عن العنار
يقطر بمسك على كافور
ففي جُأْنار⁽⁴⁵⁾

توشيح التوشيح لصلاح الدين الصفدي (ت 764 هـ)

فصل لا بأس بإيراده:

الموشح فن تفرد به أهل المغرب، وامتازوا به على أهل المشرق، وتوسّعوا في فنونه، وأكثروا من أنواعه وضروبه. وقيل إن أول مَنْ نظم الموشحات بالمغرب الإمام أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب العقد. وقال ابن بسلام: أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القَبْرِيّ الضرير وقيل: ابن عبد ربه. ثم نشأ يوسفُ بن هارون الرّمادي وأكثر منها⁽¹⁾. قال الأستاذ الأديب أبو الحسن علي بن سعد الخير⁽²⁾ رحمه الله تعالى، من جملة كلام:

ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استتبطنوا من تلك الأعاريض أقساما مؤلفة على فقر مختلفة، وقواف مؤتلفة قلتُ: يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العروض قال: وسمّوها ملاعب. واستتبطن منها أيضا أهل الأندلس ضربا قسموه على أوزان مؤتلفة، والحن مختلفة، وسموه مَوْشَحًا، وجعلوا ترصيع الكلام، وتعميق الأقسام توشيحًا، وكانوا أولَ من سنَّ هذه الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه. انتهى.

قلتُ: ورسمُ الموشح هو: كلامٌ منظومٌ، على قدر مخصوص، بقواف مختلفة⁽³⁾ قال القاضي السعيد ابن سناء الملك رحمه الله تعالى: وهو ما يأتلف... الخ.

المركبُ من سبعة أجزاء مثاله: ⁽⁴⁾ من شاني.. عن شاني.. به جَفَنِي.. قد استعَبَرُ وقد عبَّرُ.. عن المضمَرُ.. بما عندي. وقد ينتهي في التركيب إلى اثني عشر جزءا.. الخ.

قال (ابن سناء الملك): وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعيرُ خرجة غيره، وهو أصوب رأيا مما لا يوفق في خرجته بأن يُعَرِّبَهَا، ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافف بل يتثاقل.

قلت:

هذه الشروط التي شرطها في الخرجة قلَّ من يلتزمها لتعذرها عليه،

فهو إما أن يتركها، وإما أن يأتي بها خارجة عن هذه الشروط. وقد رأيتُ السَّراج المحار، وأحمد بن حسن الموصلي، والشيخ صدر الدين بن الوكيل والشهاب العزائي وغيرهم من المعاصرين والمتأخرين قبلهم لم يأت أحدٌ منهم بخرجة، وإن أتى بها كانت غيرَ داخلة.

وستقف في هذه الموشحات التي أوردتها من كلامي، وفي بعضها خرجاتٌ إن أنت أنصفتهَا عرفت أين تقع من شروط ابن سناء الملك رحمه الله تعالى. و (أما) أنا فقد ارتكبت فيهما مزلتين، وسلكت فيها زلقين، لأنني غالبٌ ما نظمتهُ على وزن من تقدمني، وأتيت فيه بخرجة غير خرجته، وهذا فهو من أصعب ما يكونُ، لأن الوشَّاحين يحصلون الخرجة أولاً ثم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها و (أما) أنا فأحتاج إلى أنْ التزمَ بذلك الوزن الذي تقدمني وبقوافيه، وأجئ مع ذلك بالخرجة الداخلة، وهذان أمران مشقَّان إلا على من أيَّده الله بمعونته.

فصل: ممَّنْ سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغاربة جماعةً،

وهم:

عبادة بن ماء السماء، وأبو بكر محمد بن عبادة القرَّاز وعبادة بن محمد ابن عبادة الأقرع، و يليهم في الإجادة أبو العباس التطيلي، وأبو بكر بن بَقي، وأبو بكر الأبيض الشاعر وابن عبد ربَّه صاحب كتاب العقْد، وأبو بكر بن اللبانة وأبو عبد الله محمد بن رافع رأسه، وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْرِي، وأبو عبد الله محمد بن الحسن البطلْيوسي الكُميت، وأبو عبد الله محمد بن شرف، وأبو القاسم المنيشي، والوزير أبو بكر يحيى بن الصيرفي وأبو الوليد يونس ابن عيسى المُرسِي الشاعر الخباز، وأبو بكر السَّرْفُسْطِي الجزار، وابن الفرس والوزير أبو عيسى بن لبون، والوزير المشرف أبو بكر بن رحيم، والوزير أبو عامر ابن ينق والوزير أبو بكر محمد بن زُهْر الحفيد والوزير الكاتب أحمد بن مالك السَّرْفُسْطِي وابن حمديس، وأبو بكرين ملوك القرطبي، وابن جاح الصباغ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي المعروف بتل الغد، وابن هانئ الأصغر وذو الوزارتين ابن عمَّار، وابن أبي الرجال، وابن الرِّقاق، وأبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المرchl، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي.

ومن أهل الديار المصرية ⁽⁵⁾: القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

وهو حامل راية هذه الصناعة والناسُ عليه فيها عيال ونصر الله بن قلاقس الإسكندري والأسعد بن مماتي، وابن وزير، وابن منجم، والسراج الوراق، وابن سعيد ابن المغربي... الخ.⁽⁶⁾

أهم المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

- ابن اياس: الدر المكنون في السبع فنون. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.
- ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.
- ابن سناء الملك: فصوص الفصول وعقود العقول. مخطوطات دار الكتب بالقاهرة وخزانة الأزهر والمكتبة الوطنية بباريس.
- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.
- الدرويش: العقيدة الدرويشية في السبع فنون الأدبية. مخطوطة المكتبة المركزية جامعة الملك عبد العزيز-بمكة المكرمة.
- السلفى: معجم السفر نسخة حققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)
- الصفدي: الوافي بالوفيات، 30 مجلدا، مصوره عن مخطوطات الزيتونة واستامبول والمتحف البريطاني.
- النواجي: عقود اللآل في الموشحات والأزجال. مخطوطة الاسكوريال
- مجهول: الكواكب السبع السيارة. مصورة عن مخطوطة الخزانة الظاهرية بدمشق.

ثانيا: مصادر

- الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. جزآن. القاهرة 1952.
- ابن الأبار: الحلة السيرة. تحقيق د. حسين مؤنس. القاهرة 1963.
- ابن الأبار: التكملة لصلة الصلة. جزآن. القاهرة 1955
- ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف): نثير الجمان: (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن). تحقيق. محمد رضوان الداية، بيروت 1976
- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق د. نزار رضا،

بيروت 1965

ابن الخطيب: (لسان الدين): جيش التوشيح. تحقيق هلال ناجي، تونس

1967

ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963 ابن الخطيب: الإحاطة في

أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة 73- 1974

ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. تحقيق د. أحمد مختار العبادي القاهرة لا تاريخ.

ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. صدر منه بإشراف لجنة من العلماء القسم الأول في مجلدين، ثم المجلد الأول من القسم الرابع القاهرة 1939- 1945 .

القسم المجلد الأول من القسم الثاني تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع القاهرة 1975 .

ابن بشكوال: الصلة. جزآن، القاهرة 1966

ابن خاتمة: ديوان تحقيق د. محمد رضوان الداية. دمشق 1972م

ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان. تونس 1966

ابن خلدون: المقدمة ط. كاتر مير 3 أجزاء باريس 1858

ابن خلكان: وفيات الأعيان 6 أجزاء، ط. محيي الدين عبد الحميد

القاهرة 1948

ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق اليباري وحامد عبد

المجيد وأحمد بدوي. القاهرة 1954

ابن الزقاق: ديوان. تحقيق عفيفة ديراني بيروت 1965

ابن زيدون: ديوان تحقيق علي عبد العظيم. القاهرة 1957

ابن سعيد (المغربي) المغرب في حلى المغرب (قسم الأندلس) جزآن

تحقيق د. شوقي ضيف. القاهرة 1964

ابن سعيد (المغربي) رايات المبرزين وغايات المميزين. تحقيق د. النعمان

عبدا لمتعال القاضي القاهرة 1973

ابن سعيد (المغربي): المقتطف من أزاهر الطرف. قسم منه نشره د.

عبد العزيز الأهواني ضمن «أعمال مهرجان ابن خلدون» القاهرة 1962

ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات. تحقيق. جودت الركابي، دمشق 1949.

ابن سهل (الاشبيلي): ديوان. تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1967
ابن شاعر (الكتبي): فوات الوفيات ط. محيي الدين عبد الحميد، جزءان
القاهرة 1951

ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين-أحمد الزين-إبراهيم
الايباري ط 3 القاهرة.

ابن عربي: ديوان. طبعة حجر. بومباي.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء. تحقيق د. خويه. لندن 1902
ابن المعتز: ديوان. ط. صادر بيروت 61، وطبعة دمشق 1371، والقاهرة
1891

ابن المعتز: شعر عبد الله بن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي. تحقيق
استامبول 1950

الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني ط. دار الكتب.

الأصفهاني (عماد الدين): خريدة القصر وجريدة العصر تحقيق عمر
الدسوقي وعلي عبد العظيم (قسم المغرب والأندلس) القاهرة.

امرؤ القيس: ديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة
الباقلاني: أعجاز القرآن. تحقيق أحمد السيد صقر ط 3 القاهرة 1973
التبريزي: الوافي في العروض والقوافي. تحقيق د. فخر الدين قباوة
وعمر يحيى. بيروت 1975

التطيلي: (الأعمى) ديوان تحقيق د. إحسان عباس. بيروت 1963
الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 4 أجزاء. القاهرة 1947
الحلى (صفي الدين): العاقل الحالي والمرخص الغالي. تحقيق هونر
باخ ويسبادن 1955

السفلي: أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر اختارها د.
إحسان عباس بيروت 1963

الصفدي: الوافي بالوفيات. الأجزاء المطبوعة (من 1-9)

الصفدي: توشيع التوشيع تحقيق. البير مطلق. بيروت 1963

الضبي: بغية الملتبس ط. مجريط 1884 م

الغبريني: عنوان الدراية. تحقيق عادل نويهض. بيروت 1969
 القفطي: المحمدون من الشعراء. تحقيق محمد معامري. الرياض 1970
 المرزباني: الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. القاهرة 1385 هـ
 المعري: رسالة الغفران تحقيق د. بنت الشاطئ ط ٥ القاهرة 1969
 المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، 3 أجزاء بتحقيق السقا والابرياري
 وشلبي. القاهرة 1939- 1942
 المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. طبعة محيي الدين (10
 أجزاء) وطبعة إحسان عباس (8 أجزاء).
 ياقوت (الحموي): إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) نشر
 دار المأمون بالقاهرة.
 مجهول: العذارى المائسات في الأزجال والموشحات. اختيار فيليب قعدان
 الخازن. جونية 1902

ثالثاً: مراجع عربية:

الأهواني: (د. عبد العزيز) الزجل في الأندلس. القاهرة 1957
 أنيس: (د. إبراهيم) موسيقى الشعر. الطبعة الثانية. القاهرة
 البستاني (بطرس): أدباء العرب في الأندلس وعصر الابتعاث ط ١
 بيروت 1968
 الجراي (د. عباس): القصيدة (الزجل في المغرب) الرباط 1970
 الركابي (د. جودت) في الأدب الأندلسي. القاهرة 1960
 الريسوني (محمد المنتصر): الشعر النسوي في الأندلس. بيروت 1978
 الزرقي (الصادق): الأغاني التونسية تونس 1967
 الزركلي: (خير الدين) الأعلام ط 3
 الشكعة: (د. مصطفى) الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه. بيروت
 1974
 ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول ط 3. القاهرة الفن ومذاهبه
 في الشعر العربي ط 4 القاهرة 1960
 الطنجي (محمد تاويت): ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي. بيروت
 1960

أهم المصادر والمراجع

- الطيب (د. محمد عبد الله): المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها
ج ١ القاهرة ١٩٥٥
- عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) بيروت
١٩٦٠
- عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)
بيروت ١٩٦٢
- عنانى (د محمد زكريا): نشأة فن التوشيح بالمشرق. مستلة من مجلة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (مكة المكرمة) العدد الثاني
غومس (اميليو غرسية): الشعر الأندلسي. ترجمة د. حسين مؤنس، ط
٣ القاهرة ١٩٦٩
- غومس (اميليو غرسية): مع شعراء الأندلس والمتنبي ترجمة د. الطاهر
مكي القاهرة ١٩٧٤
- كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس القاهرة ١٩٧١
- كرامة (بطرس): الدرامي السبع (الموشحات الأندلسية) بيروت ١٨٦٤
- كيلاني (كامل): نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي. القاهرة ١٩٢٤
- الكريم: (د. مصطفى عوض) فن التوشيح. بيروت ١٩٥٩
- هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري.
القاهرة ١٩٦٩
- هيكل (د. احمد): الأدب الأندلسي القاهرة ط ٦, ١٩٧١
- يافيل: مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس. الجزائر ١٩٠٤
- يلس (جلول) والحفناوي امقران: الموشحات والازجال. جزاءن، الجزائر
١٩٧٢

رابعاً : مراجع أجنبية :

- Blachere (R.): Le Vizir Poete Ibn Zumruk et son oeuvre.
Annales de L'Institut d'Etudes Orientales. II 1936.
- Gomez (Emilio Garcia): Estudio del Dar at-Tiraz-Preceptiva Egipcia de
la Muwassaha. Al-Andalus. Vol xxvii(1962) pp.21- 104.

- Hartmann (M.) Das Arabische Strophengedicht. Das Muwassaha, Weimar, 1897.
- Jargy (S.) la poesie populaire traditionnelle chantée au Proche-Orient, Paris, La Haye, 1970.
- Levi-Provencal: Islam d'Occident. Paris, 1948.
- Menendez Pidal: Poesia arabey poesia evropa-Madrid, 1941.
- Nykl (A.R.): Hispano-Arabic Poetry. Baltimore. 1946.
- Pellat (Ch.): Langues et Literature arabes, Paris 1952.
- Peres (H.) La poesie andalouse en arabe classique au xle. Siecle. Paris 1953.
- La poesie arabe d'Andalousie et ses relations Possibles avec la poesie des Troubadours. Le Cahiers du sud, 1974.
- Stern (S.N.) Hispano-Arabic strophic Poetry, Oxford 1974.
- Les Vers Finaux (Kharjas) en espanol dan les Muwassaha arabes et hebreux, Oxford, 1964.
- Les chansons mozarabes, Palerme 1953.

الهوامش

القسم الأول

(*) للمزيد من التوسع في هذه النقطة يرجع إلى كتاب ومقالة Das Muwassah: Hartmann (موشح) في دائرة المعارف الإسلامية (بقلم بن شنب) والفصل الأول من كتاب Stern: Hispano-Arabic Strophic poetry و «مصادر الدراسة الأدبية» لداغر ص 239 - 244، ومقالنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز في «الثقافة» القاهرية أغسطس 1978.

(1) هذا الكتاب واحد من أهم مصادر الأدب الأندلسي، وانظر عنه فصلا جيدا في كتاب د. الطاهر مكي «دراسة في مصادر الأدب» ج 2 ص 301-365، ودراسة في مجلة كلية الآداب بغداد العدد 14 (1970-71) وفي كتاب د. الشكعة: «مناهج دراسة الأدب العربي» ومقال لحازم عبد الله خضر في «أدب الرافدين» العدد 5 (1974) ونشرنا في ملحق التراث بجريدة «المدينة» سلسلة من المقالات بعنوان «ابن بسام وكتابه الذخيرة» اعتبارا من 4 جمادى الآخرة 1396هـ.

(2) يتضمن كتاب «المطرب» (ومنه ثلاث طبعات: الأولى بتحقيق اليباري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، والثانية بتحقيق د. السيد مصطفي غازي، والثالثة بتحقيق د. مصطفى عوض الكريم) معلومات هامة عن عدد كبير من الوشاحين مثل الرمادي وابن الزقاق وابن اللبانة وابن بقي، ولكنه لا يذكر شيئا من موشحاتهم، ولم يتضمن إلا موشحين لأبي بكر بن زهر (شيخ ابن دحية).

(3) نشر د. عبد العزيز الاهواني فصلة من هذا الكتاب، طبعت ضمن أعمال «مهرجان ابن خلدون» المنعقد بالقاهرة 1962 من 473-487.

(4) كانت من هذا الكتاب مخطوطة وحيدة في حوزة المستشرق الفرنسي جورج كولان، اعتمد عليها عدد من العلماء في بحوثهم عن الخريجات، منهم جومث والاهواني وشترن. وقد أخبرنا كولان منذ سنين انه كان أعار الكتاب إلى شترن، ثم توفي هذا، ولم يتمكن من استرداد المخطوطة، ولا يعرف مصيرها الآن.

(5) اعتمد المقرئ في «النفح» على «مدد الجيش» في أكثر من موضع، ويذكر د. الجراري في «موشحات مغربية» ص 241 أن بالمكتبة الناصرية بسلا أوراقا يظن إنها من «مدد الجيش».

(6) هناك أعمال أخرى متفرقة تجدها مذكورة في قائمة مصادر ومراجع كتاب المذكورة آنفا ص 67 وما بعدها ومن أهم هذه الأعمال كتاب لمحمد بن زاكور د. عباس الجراري «موشحات مغربية»

ص 235- 250 وفي كتاب شترن «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض»-مخطوطة بالرباط-ومجموعات عديدة تتضمن موشحات وأزجالاً مما كان (وربما لا يزال) يتغنى به، ومن أشهر هذه المجموعات مجموعة الحايك (انظر عنها كتاب شترن الذي ذكرناه ص 69) ومجموعة أخرى ليافيل، طبعت بعنوان «مجمع الأغاني والألحان من كلام الأندلس» وانظر كذلك مجموعة «الأغاني التونسية» للرزقي، ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران.

(7) ذكر الصنفدي في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 278 أن لابن الوكيل «ديوان موشحات» وجاءت العبارة نفسها في «المنهل الصافي»، لابن تغري بردى-مخطوطة بباريس ج 5 ورقة 190 بينما يورد حاجي خليفة في كشف الظنون أن لابن الوكيل كتاباً عنوانه طراز الدار.

(8) يراجع ما نشرناه في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة تحت عنوان (9) النواجي وكتابه عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال «بالعديدين رقم 3949، 3956 (1397 هـ).

(9) تتضمن هذه المجموعة أكثر من ستين نصاً معظمها من الموشحات وفيها كثير من الموشحات المشرقية مما جعلنا نرجح أن جامعها مشرقي، أما شتيرن في دراسته التي ذكرناها قبلاً (ص 69) فذكرها ضمن ما كتب عن الموشحات في شمال إفريقيا.

(10) هناك مصادر أخرى يمكن الرجوع إليها، منها-على سبيل المثال-مخطوطة بعنوان «الكواكب السبع السيارة» (محفوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولدينا منها ميكروفيلم) تتضمن موشحات لابن سهل: وابن الخطيب... الخ وانظر كذلك المجموعة التي نشرها بطرس كرامة بعنوان: «الدراري السبع، أي الموشحات الأندلسية»، وتتكن في مجموعها على المخطوطة المذكورة.

(1) ديوان ابن المعتز (ط. بيروت 1931)، وفي كل من «العذارى المائسات» ص 5 «وروض الأدب» للحجازي (واعتمدنا هنا على ما ذكره د. الكريم في «فن التوشيح»، ص 96 ويرجع إلى مخطوطة المتحف البريطاني) وفي هذين المرجعين يجيء النص مذبذب النسبة بين كل من ابن زهر (الأندلسي) وابن المعتز. ويراجع في ذلك المقال طه الراوي: «وهم شائع: موشحة ابن زهرا موشحة ابن المعتز» (في مجلة الرسالة» (1942) ص 464، وكتاب بطرس البستاني «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» ط 6 ص 65، ودراستنا عن نشأة فن التوشيح بالشرق «مجلة كلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز ص 325 وما بعدها وكتاب د. عباس الجراري «موشحات مغربية» ص 43 وما بعدها.

(2) «نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي» ط القاهرة 1924 ص 227.

(3) ص 73، وابن سناء الملك لم ينسب الموشحة لقائل بعينه، ولكنه ذكرها ضمن ما اختار من موشحات أهل الأندلس.

(4) ج 1 ص 267 (قسم الأندلس).

(5) ج 7 ص 22 (ط. سنة 1923).

(6) ج 40 ص 40.

(7) مخطوطة الاسكوريال، ورقة 5 ط (ولدينا مصورة منها).

(8) ص 204 وما بعدها (ط. اليبيري وزملائه).

(9) ط بيروت 1974 ص 302.

(10) «نفح الطيب» ج 4 ص 225.

(11) «دار الطراز» ص 23 وانظر ابن سعيّد في «المقتطف» ص 477 ومقدمة ابن خلدون 3/390 (ط).
كارمير) والمطرب 204 (ط. اليبيري) والمقري: أزهار 2/123 والمحبي في «خلاصة» 1/108... الخ.

(12) ص 118

(13) الكتاب من تأليف أحد المشتغلين بالموسيقى والغناء واسمه أحمد الدرويش، واطلعنا عن نسخة مخطوطة منه محفوظة بال مكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز (مكة المكرمة) وتحمل عنوان «العقيدة الدرويشية» وهو أفضل من «القصيد الدرويشية» لأنه ليس قصيدة بل مجموعة من الملحوظات (في 148 صفحة) كتبت بلغة ركيكة للغاية. والنص المشار إليه يجيء في ص 26.

(14) ص 387

(1) في «لسان العرب» مادة «وشح»: «الوشاح: كله حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر» ولعلهم استلوا المعنى من الموشحة من الأطباء والشاة والطير التي لها طرتان من جانبيها».

(2) أطلقت كلمة التوشيح عند البلاغيين على طائفة من الدلالات المختلفة، منها أن يكون «مبدأ الكلام يبنى عن مقطعه وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد عجزه» انظر العسكري في «الصناعتين»، 382/1 (ط. 1952) وابن أبي الإصبع «بديع القرآن» ص 90 (تحقيق د. حفني شرف) وابن حجة في الخزائن 127/1 (ط. بولاق) وقد يعني التوشيح «أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وإن كانت أطول منه» انظر أسامة بن منقذ: «البديع في نقد الشعر» تحقيق: د. أحمد بدوي وحامد عبدا لمجيد (القاهرة 1960) ص 89.

(3) 1/2 : 1

(4) المقدمة ط. كاترمير 3/391، وهو يتكئ هنا على ابن سعيد في «المقتطف» ص 477 ويتردد اسم «مقدم بن معافر الفريري» على هذا النحو المغلوط في مراجع عدة، وصواب الاسم: «مقدم بن معافي القبري» نسبة إلى قرية قبيرة بالأندلس. وللمزيد من التفصيلات انظر د. الركابي «في الأدب الأندلسي» ط 4 (1975) ص 287.

(5) «فوات الوفيات» ط. محي الدين (1951) ج 1 ص 425، وانظر «الفوات» (ط. احسان عباس) ج 2 ص 149 (بيروت 1974) وفيها: «فأحدث» ولا معنى لها.

(6) «توشيع التوشيع» ص 20.

(7) انظر الحديث عن الخرجات.

(1) هذا النص من أجمل ما وصل إلينا من موشحات أهل الأندلس، ويرد في أكثر من مصدر، منها-على سبيل المثال: دار الطراز ص 43 (وهو أول الموشحات المذكورة في الكتاب، وجعله مثالا للموشح التام، أي الذي يتضمن القفل الأول، أو المطلع) كما يجيء في «جيش التوشيع» ص 16 و «المغرب» 2/453.

وفي «المقتطف» ص 478: «سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن (شأن الموشحات) بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى للإشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله: ضاحك عن جمان سافر عن بدر ضاق عنه الزمان وحواء صدي خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقر. والخبر في مقدمة ابن خلدون 3/392 (ط. كاترمير)

(2) لم نشأ أن نحيل هنا على صفحات مقدمة «دار الطراز» في كل موضع ذكرناها فيه حتى لا نزحم الهوامش بغير فائدة.

(3) لم يقدم ابن سناء أمثلة من الموشحات التي يحتوي فيها القفل على أكثر من ثمانية أجزاء وان كان قد ألف هو موشحة في مدح القاضي الفاضل يتركب فيها القفل من عشرة أجزاء. انظر دار الطراز ص 118.

(4) لا ينسب ابن سناء الملك الموشحات المغربية لأصحابها. وهذا النص يجيء في كل من «الوافي بالوفيات» 4/40 و «عيون الأنباء» ص 26، (تحقيق د. نزار رضا) منسوباً لابن زهر. وانظر في أمر نسبة النصوص الواردة في «دار الطراز» لأصحابها بحث د. شوقي ضيف في «الثقافة» (يناير-فبراير 1950) ودراسة إيميليو جارثيا جومث في «الأندلس» المجلد 17 (1962).

(5) ترد هذه الموشحة كذلك في «عدة الجليس» لابن بشري دون ذكر اسم مؤلفها انظر دراسة جومث عن دار الطراز ود. «الاهواني» الزجل في الأندلس ص 8 (هامش).

(6) انظر عن مصطلحات التوشيح د. مصطفى عوض الكريم: «فن التوشيح» ص 17- 38 ومقال الدكتور عبد البصير حسين «رأي في ألقاب الموشحة ونشأة فن التوشيح» بمجلة كلية الشريعة بمكة المكرمة، العدد الأول (1393- 1394هـ) ص 285- 297 ودراستنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز وقد نشر القسم الأول في الثقافة أغسطس 1978. وانظر كتاب شترن المذكور آنفا وكتاب د. عباس الجراري: «موشحات مغربية» ص 19- 31.

(7) يذكر شترن في دراسته التي ذكرناها آنفا (ص 14) أن هناك عددا آخر من المصطلحات مثل مصطلح «راس» الذي يجيء في ديوان ابن عريي (ص 194 من ط. بولاق): «وقال أيضا في نظم التوشيح وله رأس»-ص 212 ومواضع أخرى. كذلك يرد عند أبي عربي: «وقال أيضا في نظم التوشيح ذي المنقال» ص 84.

(8) انظر ص 21 وما بعدها .

(9) ص 33

(10) ص 298 وانظر د. أحمد هيكال ص 143 من «الأدب الأندلسي» ط 6 وعنده إن القسم الذي يقع بين القفلين يسمى غصنا، وهذا ما يجيء كذلك في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ط 2 ص 235، ويقول إن «اجتماع القفل والغصن التالي له يسمى دورا وبعضهم يسميه بيتا».

(11) مطلع الموشحة: أعجب الأشياء رعيي لذمام من أبي الرعياء وشاء حمامي ص 66 هي لابن بقي، كما نص ابن سناء الملك نفسه ص 31 (من المقدمة). وهناك عن الخرجات دراسات عديدة من أهمها:

Stern; Les vers finaux kharjas en espagnole, Oxford, 1964- (Stern: Les)hanson Mozarabes-

Levi Provencal: Quelques du dechiffrement des harjas Mosarabes-

1945, ARABICA

وأهم ما بالعربية حول الموضوع:

د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 6- 51

(12) لم نجد تفسيراً مقنعاً لكلمة «نفطيا» وقد ترجمها شترن وغيره بمعنى النفط أو البترول، ويرادونا الظن بأن المقصود بها: «نفطة» مدينة بالمغرب الأقصى من أعمال الذاب الكبير، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» ط. بيروت 1957 ج 5 ص 296 أن «أهلها شراة اباضية، ووهبية متمردون» وهذا يناسب ما جاء من أن الشرط في ألفاظ الخرجة أن تكون «من ألفاظ العامة، ولغات الداصة».

(13) من أمثلة ذلك مما جاء في «دار الطراز»>

موشح ص 45: فزت بالأمانى ما جاد بإحسان صاحب المدينة أعلى الله تمكنه.
ص 56: بني عباد بكم نحن في أعياد: وفي أعراس: لا عدمتو للناس.
ص 64: أما ترى أحمد في مجده العالي: لا يلحق.

أطلعه الغرب

فأرنا مثله

يا مشرق.

ص 67: إنما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الأنام.

ص 69: قل هل علم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان.

(14) ديوان ابن المعتز ط. القاهرة 1871 ص 110

(15) من الكتاب عدة مخطوطات بدار الكتب والأزهر وباريس والاسكوريال. ولدينا من هذه المخطوطة نسخة نقلتها د. سعيدة رمضان عن مخطوطة دار الكتب وقابلتها عل كل من نسختي الأزهر وباريس وعنها ننقل هنا.

(16) من الجلي أن الأمر التبس هنا على ابن سناء الملك، فالخرجات «الأعجمية» لم تكن بربرية بل كانت بلغة الرومانت.

(17) يعني هنا موشحته: «في خديك من صير اللاد» وترد في «فصوص الفصول» كاملة وألحقها محقق «دار الطراز» بالكتاب انظر ص 135 وفي «توشيع التوشيع» للصفدي موشحة ثانية لابن سناء الملك ذات خرجة فارسية.

(18) انظر عنها: Stern: Hispano-Arabic Strophic Poetry والقسم الرابع منه «دراسات عن ابن قزمان» يتضمن تفصيلاً عن أعمال الشعراء اليهود الأسبان التي كتب محاكاة للموشحات والأزجال العربية.

وفي مجلة «الشعر» القاهرية بحث بعنوان «الموشحات العبرية» د. محمد بحر عبد المجيد (يناير 1977).

(19) د. عبد العزيز الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 48 والنص (مع اختلاف يسير) في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» 2/239 مع نصوص خرجات أخرى، استقاها مما نشر جومث في مجلة «الأندلس» العدد 19 (1954) ص 375.

(20) تاريخ الفكر الأندلسي ص 154 نقلاً عن «دفن التوشيع» ص 108

(21). 338- 303. La Lirica hispano-arab. AL-ANDALUS. Vol.) 1956(pp—

(1) نشير هنا إلى ما يقوله د. إبراهيم أنيس في «موسيقى الشعر» ص 221: «أما أوزان الموشحات

فمنها ما نظم على الأبحر القديمة، كالرمل في غالب الأحيان، والرجز والمديد، والخفيف، والهزج، والسريع، والمتقارب، والبسيط، بل يظهر أن الموشحات قد نظمت أول ما نظمت على الأبحر القديمة، ثم تطورت أوزانها فيما بعد...» وإلى ما يقوله د. عبد الله الطيب في «المرشد» 1/13: «إذا تتبعنا تاريخ الموشحات وجدتها بدأت بطراز من بحر الرمل وبنوع من التسميط رشيق، كما في منظومة ابن الخطيب: جادك الغيث، ومنظومة ابن المعتز «أيها الساقى» ثم جعلت أنواع الموشحات تكثر وارفها تزيد.»

وغنى عن الذكر أن مثل هذه الآراء لا تتكئ كل مصادر يعول عليها، وقد بنيت استنادا إلى استنتاج قائم كل أن موشحات «جادك الغيث» و «أيها الساقى» ومعارضتهما من بحر الرمل.

(2) «الذخيرة» القسم الأول، المجلد الثاني ص 1

(3) أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الإسلامي في «مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية» العدد 1 (السنة الأولى 1953) ص 129 وما بعدها.

(1) الفن ومذاهبه 451 (ط 4 القاهرة 1960).

(2) ص 286

(1) ص 306

(2) ص 49

القسم الثاني

(1) فوات، ص 173، والنص نفسه في «الوافي بالوفيات» للصفدي 2/189 منسوب لمحمد ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح.

(2) النص في «جيش التوشيح» ص 200 ويرد في كل من «توشيح التوشيح»، وفي المغرب 1/278 الخ...

(3) ديوان الأعمى التيطلي ص 261.

(4) «دار الطراز» ص 49 ولم نستدل على اسم مؤلفها.

(5) ديوان ابن سهل ص 85، وهذا الموشح من أجمل ما خلف أهل الأندلس من أعمال، وقد ألف حوله الشروح (انظر في مخطوطات العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب شرح موشح ابن

سهل (هل درى). رقم 18031 و18677 وألفت على غرار موشحات كثيرة (أحصينا منها أكثر من خمسين موشحة، نعتزم بإذن الله نشر دراسة خاصة عنها) أشهرها موشحة لسان الدين بن الخطيب «جاذك الغيث» التي فاقت موشحة ابن سهل في الذبوع وانظر كذلك مجموعتي «الدراري السبع» و «الكواكب السبع السيارة» من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق وجميع النصوص الواردة فيها على نسق موشحة ابن سهل وانظر أيضا مجموعة بطرس كرامة «الدراري السبع» وفي «إيضاح المكنون» ج 2 ص 3 ذكر لمجموعة تحمل اسم «السبع السيارة» جمعها الصفوري الشاعر الوشاح الدمشقي المتوفى 1024 هـ.

(6) ترد في «جيش التوشيح» ص 20 وديوان الأعمى التطليلي ص 258.

(7) ديوان الأعمى التطليلي ص 277.

(1) دار الطراز ص 47 و «جيش التوشيح» ص 29.

(2) «دار الطراز» ص 45 ويرد في «الوافي بالوفيات» 41/4/ منسوباً لابن زهر. (3) ص 62.

(1) جيش التوشيح ص 94

(2) المغرب 2/103

(3) ص 13 وفيها: «قد ضمينا».

(4) جيش التوشيح ص 28

(5) جيش التوشيح ص 51

(6) نفسه ص 124

(7) نفسه ص 132

(8) نفسه ص 173

(9) نفسه ص 213

(10) فن التوشيح ص 33

(11) «الزجل في الأندلس ص 49»

(12) د. مصطفى الشكعة، «الأدب الأندلسي-موضوعاته وفنونه» (ص 428)

(13) ص 193

(1) «جيش التوشيح» ص 123 منسوبة لأبي بكر الصيرفي. أما في «المقتطف» لابن سعيد ص 478- وعنه نقل ابن خلدون في المقدمة ج 3 ص 393 فيأتي الخبر التالي: «وكان في عصره (أي في عصر ابن بقي) من الوشاحين المطبوعين الأبيض وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة، صاحب التلاحين المشهورة ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى عليه قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جرر الذيل أيما جر وصل السكر منك بالسكر

طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عقد الله راية النصر لأمير العلى أبي بكر

صاح واطرباه، وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

(2) انظر د. إحسان عباس «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 218

(3) «دار الطراز» ص 38

(4) ص 131 والخرجة لا ترد هنا في صورتها الصحيحة التي تجيء في الموشح المكفر عنه (ص 89 من دار الطراز) وترد الخرجة سليمة في «العاطل الحالي» ص 12.

(5) «العاطل الحالي» ص 12.

(6) «المقتطف» لابن سعيد ص 486، والنص نفسه في مقدمة ابن خلدون 409/3 ويرد فيه اسم الزجال محرفاً «اليعتع» وانظر كذلك نفح الطيب (ط. محي الدين) ج 9 ص 220 وما بعدها، وفيها أن اسم الزجال: البعبع.

(7) أزهار الرياض 230/2

(8) المرجع السابق 238/2

(9) نفح الطيب (ط. إحسان عباس) 42/1

(10) «نفح الطيب» (ط. إحسان عباس) 280/7 و«أزهار الرياض» 205/2 وفي «أزهار الرياض» كذلك موشحة لابن أبي جمعة التلاليسي تتضمن مديحا نبويا. انظر ج 1/247.

(11) ص 201 ط. بومباي (حجر).

(12) الديوان الأكبر ص 202 وانظر تحليلاً لموشحات ابن عربي في دراسة شترن المشار إليها سابقاً ص 81- 91

(13) ديوان أبي الحسن الششتري ص 133 .

(14) ديوان أبي الحسن الششتري ص 142 .

(15) هناك موضوعات أخرى أقل قيمة لم نشأ أن نشغل القارئ بها، منها ما يسوقه المقرئ في «نفح الطيب» و «أزهار الرياض»، من موشحات لابن زمرك في التهاني-وهي فرع من فروع المديح على كل حال-لكن الشاعر يركز فيها على مناسبة اجتماعية تمس الممدوح أو بعض ذويه-وفي الطرد (أو رحلات الصيد) ووصف القصور... بل إن وشاحاً مثل ابن حزمون (صاحب المراثية في أبي الحملات، وقد ذكرناها عند الحديث عن الرثاء) كتب موشحات في الهجاء أوردها ابن سعيد في «المغرب» ومما هجا به القاضي القسطلي:

تخونك العينان يا أيها القاضي فتظلم
لا تعرف الإشهاد ولا الذي يسطر ويرسم

واكتفى محقق المغرب د. شوقي ضيف بالإشارة لهذه الهجائيات وأسقط نصوصها لما فيها من فحش وعرض للسوءات.

القسم الثالث

(1) التقسيمات السياسية الرئيسية بالأندلس هي:

- عصر الولاة: ويمتد من الفتح حتى استيلاء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على زمام الأمور سنة 138 هـ (755 م).
- العصر الأموي: ويمتد إلى سنة 422 هـ.
- عصر ملوك الطوائف: وفيه تفككت الدولة العربية في الأندلس على أثر الضعف الذي سرى في أمراء البيت الأموي ودام عصر ملوك الطوائف إلى سنة 493 هـ (1091م).
- عصر المرابطين: وبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين الصنهاجي ملك المغرب الأقصى، (والذي تسمى بأُمير المسلمين) وينتمي لقبائل البربر الملتئمين، وفي عهده أقيمت الخطبة لبني العباس، وامتدت هذه الدولة إلى سنة 541 هـ (1146 م).
- عصر الموحدين: وبلغ ذروة قوته في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، ولكن دب فيها رويداً رويداً، ولم تعد تسيطر في منتصف القرن السابع الهجري إلا على مدينة غرناطة (بالجنوب الغربي من بلاد الأندلس).
- العصر الغرناطي: وامتد من فترة تأسيس ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلى تاريخ استيلاء الأسبان على المدينة سنة 898 هـ (1492م).

(1) أفضل ما هناك حول الموضوع ما كتبه د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص 2 وما بعدها، وانظر كذلك د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 216 وما بعدها، وبحث للأستاذ شارل بلاعن «الموشح والزجل همزة الوصل بين ثقافات مختلفة» نشر بمجلة كلية الآداب جامعة الرياض (1970).

محمد بن محمد القبري

مقدم بن معافي القبري

ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد

(2) 2/1: ص 1.

(3) «بغية الملتمس» ط. مجريط 1884م ص 121 - 122.

(4) ج 1 ص 109 (ط ثانية) وانظر جذوة المقتبس ص 86 (ط. بن تاويت الطنجي القاهرة 1952م).

(5) ط مصوره عن طبعة القاهرة 1947 (بناية محي الدين عبد الحميد) ج 2 ص 30 وراجع في صحة الاسم: (أهو حمود أم محمود) د. الأهواني: «الزجل في الأندلس» ص 4 (هامش).

(6) انظر عن «قبرة»: «الروض المعطار» ص 149 - 150

(7) ص 477.

(8) المقدمة 3/390 وما بعدها.

(9) «نفح» (ط. محي الدين) 9/220 وما بعدها.

(10) «أزهار الرياض»، ج 2 ص 208 وما بعدها.

(11) «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966 ص 101.

(12) «فن التوشيح» ص 113.

(13) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (تحقيق د. نزار رضا، بيروت 1965) ص 489.

(14) «يتيمة الدهر» (ط. محي الدين) ج 2 ص 5 - 10. وانظر «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966 - ص 400، و «المغرب» ط 2 ج 1 ص 120 - 121.

(15) ص 487.

(16) 3/390.

(17) انظر د. الركابي: «في الأدب الأندلسي» ص 287 (هامش) وفيه أن المستشرق دي سلان في ترجمته الفرنسية لمقدمة ابن خلدون توهم أن الاسم المحرف (الفريري) نسبة إلى قرية فارسية توافق هذا الاسم، لكن دوزي صوّب الخطأ في مقال نشر بالجريدة الآسيوية (سنة 1869).

(18) أشار د. الركابي (ص 288) إلى مقالة لجومث نشرها في (الأندلس) سنة 1934 وظن فيها أن محمد بن محمود ومعافى القبري شخص واحد، ثم ذكر مقالة للدكتور الأهواني بالمجلة نفسها (1948) أثبت فيها-استنادا إلى مصادر موثوق بها-أنما شخصيتان مستقلتان.

(19) ص 333.

القسم الرابع

- يوسف بن هارون الرمادي الكندي (أبو عمر)

- عبادة بن ماء السماء (أبو بكر)

- محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز (أبو عبد الله)

- مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (٩)

- أم الكرم بنت المعتصم

(1) «الذخيرة» قسم أول ج 2 ص 2. وفي الأصل «شعراء عصرنا» وهذا-كما يسجل د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص 4- هامش-«سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: (عصره)».

(2) ج 1 ص 392

(3) ص 346 وانظر في مصادر الرمادي ما أورده د. شوقي ضيف: «المغرب» هامش ص 392 من الجزء الأول، ود. أحمد هيك: «الأدب الأندلسي» ص 287 وفيه فصل جيد عن الرمادي. وانظر «نفع الطيب» ط د. إحسان عباس ج 4 ص 35.

(4) ص 287، وأحال على «الصلة» ترجمة رقم 1491 و«تاريخ الفكر الأندلسي» لبالنثيا ص 68. ويجد القارئ نماذج من شعره في المصادر التي مرّت، وفيما ذكره كل من د. ضيف ود. هيك ود. إحسان عباس وانظر كذلك «المرقص والمطرب» لابن سعيد.

(5) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 1 والنص نفسه في الفوات 425/1 (ط. محيي الدين) ج 2 ص 149 ط إحسان عباس.

- (6) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 299 انظر «المغرب» 2/ 34 والمراجع المذكورة به. و«الخريدة» ط. الدسوقي وعبد العظيم ج 2 ص 42.
- (7) «مسالك الأبصار»-مخطوطة باريس 2327 الجزء 17 (ذكر الشعراء بالجانب الغربي) ورقة 131.
- (8) «المقتطف» ص 477.
- (9) «فوات» (ط. إحسان عباس) 2/ 149 وانظر عنه «المقتبس» ص 346 (هامش، بقلم محقق الكتاب).
- (10) «نفح» (ط. إحسان عباس) 3/ 411.
- (11) ص 290 من نسخة صححها وحققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)
- (12) «المغرب» ص 136 ج 2
- (13) «المغرب» ص 137، ج 2
- (14) «فوات» 1/ 426 (ط. محيي الدين) وذكرها ابن تغري بردي في «المنهل» مخطوطة باريس منسوبة لابن ماء السماء.
- (15) ج 3 ص 189-190
- (16) ص 113
- (17) مخطوطة توجد منها نسخ في مكتبة فاتح والمكتبة الملكية بالرباط عن د. الجبراري «موشحات مغربية» ص 19.
- (18) «تاريخ الأدب الاندلسي» ج 2 ص 231
- (19) «دار الطراز» ص 52 وانظر مقدمته (ص 27)
- (20) ابن سعيد «المقتطف» ص 477.
- (21) انظر عباس الجبراري «موشحات مغربية» ص 19 والموشحة في «دار الطراز» ص 65
- (22) «جيش التوشيح» ص 5

(23) «دار الطراز» ص 69

(24) «الخريدة» تحقيق الدسوقي وعبد العظيم 44/2

(25) ص 98

(26) انظر على سبيل المثال ترجمة الأبيض (ج 2 ص 70، ص 670) و ترجمة ابن عبد البر (ج 2 ص 13، 478) و ترجمة ابن أبي الخصال (ج 2 ص 465، 459) و ترجمة المخزومي (2/ 154، 668) و ترجمة ابن بقي (ج 2/ 130، 667)

(27) هناك أندلسي آخر يدعى ابن عبادة (توفى 532 هـ) له كتب في الحديث، ولا علاقة له بالموشحات.

(28) ج 2 ص 202، وانظر «النفح» ط. محيي الدين ج 5 ص 302

القسم الخامس

(1) انظر عنه «المغرب» 1/ 389 والمراجع المذكورة ولا ينبغي الخلط بينه وبين أبي بكر ابن عمار المذكور ج 2 ص 229 من نفس المصدر

(2) «توشيع التوشيع»، ص 32.

(3) انظر عنه د. شوقي ضيف «ابن زيدون» ومقدمة ديوانه بتحقيق على عبد العظيم، وفي كتاب د. الركابي «في الأدب الأندلسي» فصل طويل عنه.

(4) انظر ديوانه، نشر كامل كيلاني ص 192، 229 وكذلك مجلة (Arabic) وفيها مقال بعنوان «Un Muwassah d'Ibn Zay dun» فبراير 1978 ص 17-10

(5) انظر عنه «المغرب» 2/ 18 والمراجع المذكورة بالهامش.

(6) راجع شترن ص 95 وقد عثر على نصها في مجموعة ابن بشرى ونشرها مع ثلاث موشحات أخرى تحت عنوان

Four Famous muwassahs from Ibn busia,s anthology

(7) بالأصل وغنات الطيور على قطوب البان

(8) كذا بالأصل، ولعلها: شمسي

(9) هي في «توشيع التوشيع» منسوبة للحصري

(10) ذكر د. شوقي ضيف قائمة بمصادر ابن اللبانة بهامش «المغرب» 409/2 كما أورد محقق «جيش التوشيع» قائمة لا بأس بها (ص 243) وانظر «الذخيرة» القسم الثالث ج 1 ص 50 وما بعدها (القاهرة 1975 بتحقيق د. لطفي عبد البديع. وظهر شعره مؤخرا، مجموعا في ديوان (لا يضم موشحاته) بتحقيق د. محمد مجيد السعيد (البصرة 1977).

(11) تجيء كذلك في «فوات الوفيات» 514/2

(12) ص 133

(13) مخطوطة الاسكوريال ورقة 8

(14) انظر شترن ص 96 وقد نسبت في «العداوى المائسات» لجمال الدين ابن نباته وقيل لابن عزلا-كذا-وهناك موشحة أخرى أولها «شق النسيم أكمامه» جعلها الصفدي في «الوافي بالوفيات» 299/4 وابن شاكرا في «الفوات» لابن اللبانة أما في جيش التوشيع ص 132 فتأتي منسوبة لابن الصيرفي.

(14) انظر عن مراجعه: «المغرب» هامش 376/2، والخريدة 331/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم) وفيها «ابن ليون»-وهو خطأ من أخطاء التحقيق-«جيش التوشيع» ص 262

(15) الخرجة في «جيش» ص 169:

إياك يغرنك صرف رمال يا قد بدالي
ولا معنى لها على هذه الصورة.

(16) انظر عنه «الخريدة» ط. الدسوقي وعبد العظيم 647/2- 653 و 655/2- 666 وكذلك «المغرب» 323/2 ومقدمة ديوانه، بتحقيق عفيفة ديراني وفي «مع شعراء الأندلس» لجومث فصل عن «ابن الزقاق شاعر الطبيعة».

(17) اختلفت المصادر حول اسمه. كما اختلفت حول سنة وفاته، والمتفق عليه أنه توفي ما بين سنة 528 وسنة 530 هـ أما الخريدة فتذكر سنة 540 هـ.

(18) ص 31 والنص ص 147 (والموشحة في ديوانه ص 396، وألحقها المحققة بالديوان استنادا إلى التوشيع).

(19) مخطوطة الاسكوريال ورقة 10.

(20) «نفح» ط. عبد الحميد، 369/5.

(21) «نفح الطيب» ط. إحسان عباس-452/3، وانظر كذلك ص 607 وما بعدها والمراجع المذكورة بالهامش.

(22) «توشيع التوشيع» ص 32.

(23) «التكملة» ط. مجريط/622.

(24) «نفح الطيب» ط. إحسان عباس-50/4.

(25) شترن، المرجع المذكور آنفا، ص 99.

(26) انظر عنه «المغرب» 303/2 والمراجع المذكورة فيه.

(27) راجع عنه «أبو الحسن الحصري القيرواني» لمحمد المرزقي والجيلاني بن الحاج يحيى (تونس 1963) ويتضمن ملحقا عن حياته وكذلك رسائله وشعره.

(28) «الخريدة» ج 2 ص 50- ط. الدسوقي وعبد العظيم.

(29) ص 151

(30) ص 74

(31) «نفح الطيب» ج 5 ص 40 (ط. محيي الدين، ج 493/3 إحسان عباس) ولا ينبغي الخلط بينه وبين محمد بن صالح بن نزار الذي ذكره ابن الأبار في «التكملة» 372/1 (ط. 1956).

(32) 147/2

(33) انظر عن مراجعه: «المغرب» 451/2 و«جيش التوشيع» ص 231- 233، وجعل كنيته «أبو العباس»، وهذه الكنية ترد أيضا في «الوافي بالوفيات» ج 7 ص 126، وله ديوان حققه د. إحسان عباس. وبعض المراجع تخلط بينه وبين أبي بكر الأعمى المخزومي وكان شديد الهجاء-وانظر عنه

المغرب 1/228- 231 (وأخبار مع نزّهون الشاعرة الوشاحية) وفي «الذخيرة»-تحقيق الدسوقي وعبد العظيم-2/154، و 668/2 ومن خلط بين الأعمى التطيلي والمخزومي هذا د. الركابي في حواشي «دار الطراز» ص 149 وهلال ناجي في حواشي «جيش التوشيح» ص 232.

(34) «المقتطف» ص 478، والخبر «المغرب» 2/456 مع اختلاف يسير.

(35) هناك بعض موشحات تسبب تارة للتطيلي وتارة أخرى لابن بقي، مثل موشحة «ما الشوق إلا زناد» وتجيء في ديوان التطيلي (ص 289) أما «المغرب» فيجعلها لابن بقي (2/25) وكذلك موشحة «أعيا على العود» (ديوان التطيلي ص 270) وهي في «المقتطف» ص 478 منسوبة لابن بقي وانظر مقدمة «جيش التوشيح».

(36) انظر عنه «المغرب» 2/127 والمراجع عنه و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم 2/160 وجيش التوشيح ص 234- 240 (ملحوظات المحقق).

(37) في الذخيرة: قتل بعد سنة ثلاثين وخمسمائة وفي «المطرب» > «مات بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة».

(38) ص 46

(39) ص 478، ولها بقية في مقدمة ابن خلدون، ونشر شترن نصها الكامل نقلا عن «عدة الجليس» في «الأندلس» المجلد 23 ص 339- 369.

(40) ص 54

(41) انظر عنه «المغرب» 2/417 و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم-2/369، وملحوظات محقق «جيش التوشيح» ص 266.

(42) ج 2 ص 369 (ط. الدسوقي وزميله).

(43) في المطبوع: «كما بت عندك حتى تبيت عندي» ونظن أن الأصح ما ذكرنا.

(44) انظر عنه «المغرب» 2/119

(45) «المقتطف» ص 478

(46) ص 123

- (47) «الخريدة» 283/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم).
- (48) انظر عنه «المغرب» 1/370 والمراجع المذكورة بالهامش، «وجيش التوشيح» ص 246 ومراجعته.
- (49) في «التكملة» (ط. القاهرة 1956) ج 1/348: «يكنى أبو بكر».
- (50) كذا في طبعة «جيش التوشيح» ولعلها «آشى نطلق» لا بمعنى الأسى.
- (51) انظر في ترجمته هوامش د. شوقي ضيف في «المغرب» 19/2 وهامش 130/2 من «الخريدة» - الدسوقي وعبد العظيم وما أورده محقق «جيش التوشيح» ص 233.
- (52) ص 279، ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب».
- (53) يذكر ابن الآبار، ص 722 من «التكملة» أن وفاته سنة 545 هـ.
- (54) «الخريدة» ج 2 ص 131.
- ظهرت مجموعة من شعر ابن بقی فی «المورد» 1978 (العدد الأول، المجلد السابع)، جمع وتحقی د. محمد مجید السعيد.
- (55) المغرب 25/2
- (56) «دار الطراز» ص 66.
- (57) «دار الطراز» ص 75.
- (58) «المقتطف» ص 478 ومقدمة ابن خلدون 3/392. وفي الخبر أن ابن زهر قال «ما حسدت وشاحا على قول إلا ابن بقی حين وقع له: أما ترى أحمد في مجده العالي الخ.
- (59) «جيش التوشيح» ص 257 ويمكن أن يضاف إلى ذلك ما جاء في «توشيح التوشيح» ص 31 من ذكر له بين كبار الوشاحين.
- (60) د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 28.
- (61) ترد في جيش: «تقول في حال الصغر لأنها في اشتياق» ولا معنى لهذا الكلام.
- (62) هناك فارق كبير بين الخرجة كما أثبتناها وبين ما يرد في «جيش التوشيح».

(63) انظر عنه وعن مراجعه «المغرب» 388/2 و«الخريدة» ط. «الدسوقي وزميله-484/2» جيش التوشيح» ص 269.

(64) «توشيع التوشيح» ص 31.

(65) هذه الخرجة هي:

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق

(66) ترجم له ابن سعيد في «المغرب» وذكر محققه عددا من المصادر الهامة عنه، ووصفه بأنه أشعر أسرة ابن سعيد (ج 2 ص 164، والموشحة ص 103).

(67) ص 32.

(68) الخريدة (القسم المصري) 284/1 وتضم نماذج كثيرة من شعره.

(69) «الأعلام» ط3 ج 6 ص 185.

(70) انظر عنه «المغرب» 100/1 وهناك العديد من الدراسات عنه يراجع بصدها كتاب د. الأهواني «الزجل في الأندلس» ومقالة لجورج كولان في «دائرة المعارف الإسلامية» الطبعة الجديدة، وانظر نيكل في كتابه «Hispano-Arabic Poetry» ص 266-302 وفصل في كتاب شترن المذكور آنفا. وانظر جومث (Todo Ben Quzman) في ثلاثة أجزاء.

(71) «نفح» (ط. عبد الحميد)، ص 94.

(72) «المغرب» ج 2 ص 214 وانظر المقتطف ص 485.

(73) 385/3 (طبعة إحسان عباس).

(74) والحقها هينريخ بنص «العاطل الحالي» انظر ص 185 وما بعدها.

(75) ص 16 وانظر عن مدغليس «الزجل في الأندلس» ص 106 وما بعدها.

(76) «المغرب» ج 1 ص 98 والنص في ج 1 ص 425.

(77) انظر عنه نبذة مستوفاة في «جيش التوشيح» ص 252-256 (كتبها هلال ناجي) وكذلك هامش «المغرب» 118/2.

(78) ص 102

(79) ص 478

(80) ج 4 ص 299 ونقل عنه ابن شاعر في «الفوات» 517/2

(81) في المطبوع: «فاحملي».

(82) ص 114، وجعله لأمر ما-: ابن القاسم.

(83) ص 279

(84) ص 273 ط بولاق

(85) ص 14 - 16 . وراجع

(86) «الزجل في الأندلسي» ص 114 .

(87) «فن التوشيح» ص 137 وانظر عن ابن غرلة كتاب، «الزجل في المغرب» للدكتور الجراري ص 537 وما بعدها ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج 1 ص 293 وج 268

(88) «المغرب» 226/2 و «الخريدة» ط. دسوقي وعبد العظيم-669/2

(89) «المغرب» 150/2

(90) «الخريدة» 160/2

(91) المرجع الذي ذكر له قبلا، ص 106

(92) الخريدة 213/1

(93) المرجع السابق 214/1.

(94) شرحه 147/2

(95) انظر عنه مقدمة ديوانه بتحقيق د. إحسان عباس وراجع ما كتبناه عنه في «الندوة» بتاريخ 11

محرم 1399 هـ

(96) انظر في أمر أسرة ابن شرف: «المغرب»، 230/2 والمصادر التي ذكرها المحقق وكذلك «الخريدة» 110/2

(97) «المغرب» 232/2 - 234.

(98) «جيش التوشيح» ص 247.

(99) ص 97.

(100) 366/5

(101) ص 53.

(102) ص 526.

(103) «المغرب» 442/2 ومراجع التحقيق، و «جيش التوشيح» ص 259 - 261 و «نفح الطيب» ج 5 ص 15 ط. محي الدين وفيه: ابن الجزار.

(104) «جيش التوشيح» ص 147.

(105) «توشيع التوشيح» ص 31.

(106) مما: بمعنى أمي. وفي المطبوع: حلال وحرام.

(107) لا توجد عنه معلومات كافية وفي «جيش التوشيح» ص 277 نبذة عنه رجع فيها المحقق إلى «التكملة» 77/1، ترجمة رقم 205- والى «أخبار وتراجم أندلسية» المستلة من معجم السفر للسلفي- ص 16. وشترن في

(Hispano-Arabic strophic Poetry

Las music) يشير إلى ما ذكره ريبييرا في

(de las cantigas)

ص 70 من أن لابن مالك زجلا في «المغرب» والذي نرجحه أن المقصود هنا الموشحة المذكورة في «المغرب» 446/2:

ماذا حملوا

فؤاد الشجى

يوم ودعوا

وفي رايات المبرزين «ص 77 أن اسمه: أبو بكر أحمد

(108) انظر عنه «الأعلام» للزركلي ط 3 ج 7 ص 7.

(109) «عدة الجليس» نقلا عن «الزجل في الأندلس» للدكتور الأهواني ص 10

(110) «المغرب» 121/2

(111) «نفح الطيب» ط. عبد الحميد ج 6 ص 31

(112) «المغرب» 1/228

(113) انظر النص في «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج 1 ص 118 نقلا عن مجموعة الحايك.

(114) انظر «المقتطف» ص 480 و «المغرب» 2/390 و «نفح الطيب» (ط. إحسان عباس) ج 7 ص 8 و «مقدمة» ابن خلدون 3/394.

(115) «المقتطف» ص 480

(116) في طبعة محي الدين (ج 9 ص 222) وجعله د. إحسان عباس (ج 7 ص 9): الزويلي استنادا إلى «المقتطف».

(117) «المقتطف» ص 482 ولعله «ابن يخلف الجزائري» الذي ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» ص 77 (ط. نويهض).

(118) في «المقدمة» لابن خلدون 3/399: ابن خرز البجاي.

(119) انظر عنه «المغرب» 2/210 و «نفح الطيب» ط. إحسان عباس، ج 7 ص 8 وبهامشه ذكر لأوجه الخلاف في اسمه الذي يجرى أحيانا: إبراهيم. وانظر كذلك: شترن: ص 109.

(120) «المقتطف» ص 480.

(121) المغرب 2/213

(122) اليكي: نرجح أنه أبو بكر يحيى بن سهل اليكي، المشهور بالهجاء. انظر عنه «المغرب» 2/266 ولم نجد له موشحات.

(123) «نفع الطيب» 476/1 ط. إحسان عباس-والخرجة فيها غير معربة، و 22/2- ط. محي الدين-وفيهما تأتي الخرجة معربة.

(124) «المغرب» 111/2 والنص ص 122 .

(125) ج 1 ص 282

(126) «نفع» ط. إحسان عباس-4/204

(127) «المقتطف» ص 481

(128) «المغرب» 383/1 والنص ص 387-388

(129) المرجع السابق 1/296

(130) المرجع السابق 114/2 وانظر عنه دراسة مطولة لا يميليوجارثيا جومث في «مع شراء الأندلس» 115 وما بعدها، ومقالة لنا بعنوان «سر القصيدة التي هزت غرناطة» في «الندوة»-جمادى الأولى 1398 هـ-.

(131) «المغرب» 214/2 و «المقتطف» ص 481 وانظر ما قلناه عن ابن نزار

(132) «المعجب» ص 293.

(133) «المغرب» ج2/262.

(134) الملحوظ أن القافية جاءت هنا موحدة، وهذا يخالف ما نص عليه ابن سناء الملك في «دار الطراز».

(135) راجع عنه: «المغرب»-ج 1 ص 271 والمصادر التي ذكرها المحقق بالهامش، وكذلك «جيش التوشيح» ص 272 و «نفع الطيب» ط. د. د. إحسان عباس-2/247.

القسم السادس

(1)-«الغصون اليانعة» ص 42

(2)-المرجع السابق، ص 47

(3)-المرجع السابق، ص 91

(4)-هناك شيء من الاضطراب في اسمه وتاريخ وفاته، ففي النفع 370/3- ط. محيي الدين-ذكر لعبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي، المتوفى سنة 603 هـ، ثم ذكر لمحمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني (ج 3 ص 391) المتوفى سنة 602 هـ ونظن أن الترجمتين للجلياني. وانظر «الفصون الياضعة» ص 104 - 108 (وبهامش ص 108 أن ديوانه مصور بالجامعة العربية).

(5)-ص 630

(6)-عنوان الدراية (ط. نويهض) ص 334

(7)-الأديب الرحالة الشهير انظر عنه «المغرب» 384/2 وهوامشه، و «نفع» الطيب «ط. إحسان عباس ج 2 ص 381، و «الإعلام» للزركلي 214/6،

(8)-«الإحاطة» 230/2 (ط. عنان)

(9)-عنوان الدراية ص 337

(10)-المرجع السابق ص 67

(11)-«المغرب» 1/249 والمصادر المذكورة بالهامش. والموشحة ترد ص 280-281 والخرجة في «المقتطف» ص 481، واسم الشاعر فيه: ابن حيون

(12)-المرجع السابق 1/305 وعنه بالهامش نبذة هامة.

(13)-المرجع السابق 1/267

(14)-«المغرب» 2: 318

(15)-«المغرب» 2/468

(16)-«المقتطف» ص 481

(17)-«المغرب» 2/361

(18)-انظر عنه «المغرب» 1/268

(وخبر في 2/130) و «نفع الطيب»-ط. إحسان عباس، استنتج منه أن وفاة ابن الصابوني كانت سنة 636 هـ.

- (19)-«المقتطف» ص 481
- (20)-«المغرب» ص 120
- (21)-«المغرب» 286/2
- (22)-ص 108
- (23)-ص 482
- (24)-«المغرب» ج 1 ص 263 وأنظر المراجع التي ذكرها المحقق بالهامش، ومن بينها ابن الأبار في «التكملة» والمقري في «النفح» فضلا عن «اختصار القدرح المعلق» لابن سعيد.
- (25)-«المغرب» 1/ 263 وفيه أنه توفي قبل سنة ثمان وثلاثين وستمئة. ونص ابن أبي أصيبعة على أن وفاته كانت سنة 636 هـ.
- (26)-انظر عنه «نفح الطيب» ط. عبد الحميد، 2/ 360 (161/2 ط. إحسان عباس، والمراجع)
- (27)-الاعتباس عن «نفح الطيب»
- (28)-ص 63 ط. نويهض).
- (29)-انظر عن ابن سهل «المغرب» ج 1 ص 269 والمصادر المذكورة بالهامش، وكذلك مقدمة ديوانه، وضعها د. إحسان عباس، ص 9-51.
- (30)-انظر عنه مقدمة «ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس المغرب» الدكتور على سامي النشار.
- (31)-مخطوطة باريس، ورقة 221.
- (32)-ص 672: «وقال موشحا بطريق التصوف اقترح عليه ذلك، معارضا موشحا لغيلان الغول المصري».
- (33)-ابن أبي أصيبعة: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» تحقيق د. نزار رضا. بيروت 1965 ص 533
- (34)-انظر عنه مقدمة كتاب «المغرب» بقلم د. شوقي شيف.
- (35)-«توشيح التوشيح»، ص 32، وعده «من أهل الديار المصرية» على اعتبار انه أقام فيها فترة من الزمن.
- (36)-ط. إحسان عباس، 453/7

القسم السابع

- (1) الكتيبة الكامنة» ص 81 والمراجع المذكورة بهامشه، وكذلك «نفح الطيب» ط. د. إحسان عباس ج 2 ص 535 وما بعدها، والموشحات في النفح ص 557، 556.
- (2)-انظر عن مراجعة «الإعلام» 1/ 171 ومقدمة ديوان ابن خاتمة بتحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) (وجاء في كتاب د. الاهواني: «الزجل في الأندلس» ص 217 إن الديوان أعدته للنشر المستشرقة الإسبانية صولداد جيبرت، وانه يطبع بالمعهد المصري بمديرد، (في سنة 1957).
- (3) مقدمة الديوان، ص 10
- (4) ذكر محقق الديوان، ص 17 إن القسم الرابع منه في الموشحات والأزجال، لكن لم ترد فيه إلا الموشحات.

- (5) «موشحات مغربية» ص 132
- (6) نثير الجمان (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن) ص 449
- (7) ج 2 ص 30
- (8) ص 228
- (9) ص 268
- (10) في كتابه المذكور قبلا، ص 363، ولعل التقييب في المصادر الأخرى يعطي مزيدا من الضوء عن هذا الشاعر.
- (11) يأتي في مقدمة ما ألف عن لسان الدين بن الخطيب كتاب المقرئ «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» وكتب عنه محمد بن أبي بكر التطواني كتابا من جزأين عنوانه «ابن الخطيب من خلال كتبه» وعبد العزيز بن عبد الله: «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب» وكتاب للأستاذ محمد عبد الله عنان «لسان الدين بن الخطيب: حياته وتراثه الفكري» القاهرة 1968 م.
- (12) كان الفروض أن يقال «ممن عارضوا موشحة ابن سهل» كل اعتبار أنها الأقدم لكن شهرة موشحة لسان الدين بن الخطيب كما أوضحنا طغت على الأصل، وهكذا نرى كثيرين ممن ساروا على هذا البناء يشيرون إلى موشحة ابن الخطيب لا ابن سهل.
- (13) 275/9
- (14) 314/1
- (15) «نفح» 277/9
- (16) نفح ط. محي الدين 293/9 ولا نعرف من صاحب «بنفسج الليل» لكن هناك على كل حال- موشحة لابن سهل لها نفس البناء هي «باكر إلى اللذة والاصطباج بشرب راح فما على أهل الهوى من جناح».
- (17) ج 9 ص 336
- (18) «نفح» ج 9 ص 216
- (19) «أزهار الرياض» 247/1
- (20) أنظرها في ديوانه، ص 296
- (21) نقلا عن «موشحات مغربية» ص 106- 107
- (22) أهم المصادر عن ابن زمرك: «نفح الطيب» ج 4- 127، ص 139- 141 (ط محي الدين) و «أزهار الرياض» 263/1، 263/2- 206 واعتمد في ذلك على كتاب لابن الأحمر (ابن يوسف الثاني ملك غرناطة) يحمل عنوان «البيغة والمدرک من كلام ابن زمرك»-وهو مفقود-وللمستشرق بلاشير دراسة عنه نشرت في حوليات جامعة الجزائر سنة 1936 بعنوان:
- Ibn Zumruk ET son oeuvre
- وأفضل ما كتب عنه دراسة لايمليليو جارتيا جومث ترجمها د. الطاهر مكي مع غيرها تحت عنوان «مع شعراء الأندلس والمتنبي»
- (23) «الإحاطة» 300-314/2
- (24) «الكتيبة الكامنة» ص 282. ط عنان

- (25) انظر: جومث، المرجع السابق، ص 264- 265
- (26) انظر عنه «نفح الطيب» ط إحسان عباس 529/4- 548، و «أزهار الرياض» ج 1 ص 72- 102 واعتباراً من ص 548.
- (27) انظر عنه «النفح» الطبعة السابقة ج 6 ص 101
- (28) راجع النص في مجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران ج 2 ص 60
- (29) ص 18
- (30) انظر «النفح» ج 9 ص 293، وراجع ما ذكرناه عن لسان الدين بن الخطيب.
- جاء بعدها في «العذاري المائسات» مدح في الموشحة كتبه ابو عبد الله محمد الارزق (المتوفى سنة 896 هـ) وراجع عنه «الإعلام» 181/7 منه إنها «موشحة حللت السحر، وسرت نواسمها بعنبر السحر.
- بعثت بها عذراء رائعة الحلا
قضت أنها للمعلومات مرشحة
توشحت اللفظ البديع وأقبلت
فها هي تبدو للعيون موشحة!
- (31) انظر عنه «الأعلام» 277/7 والمراجع المذكورة فيه
- (32) «نفح» ط إحسان عباس ج 7 ص 33
- (33) ج 1 ص 145
- (34) نقلاً عن «موشحات مغربية» ص 148 (2) ج 9 ص 272
- (35) انظر عنه «الأعلام» 221/1 والمراجع المذكورة فيه
- (36) ص 2
- (37) مخطوطة الظاهرية
- (38) ج 4 ص 466 (وهو غير ابن خلوف (المسلمي) الذي ذكره ابن رشيق في «الأنموذج».)

القسم الثامن

- (1) انظر عنه «الأعلام» 224/1 والمراجع المذكورة فيه
- (2) «نفح» ط عبد الحميد-280/9
- (3) المرجع السابق، 281/9 وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
- (4) «الدراري السبع» ص 15
- (5) انظر عنه د. الجراي «موشحات مغربية» ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» ج 4 ص 152
- (6) «نفح الطيب» ج 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
- (7) المرجع السابق ج 9 ص 277
- (8) «موشحات مغربية» ص 154
- (9) «نفح الطيب» ج 9 ص 278

- (10) ص 5
- (11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).
- (12) ج 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة»، ربيع الثاني 1396 هـ
- (13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126
- (14) المرجع السابق ص 127
- (15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زاكور» و«الأعلام» 230/7
- (16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها
- (17) موشحات مغربية ص 209
- (18) ذكرها المقرئ في «نفع» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر بإقوت: «إرشاد» 23/7
- (19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49
- (20) «موشحات مغربية» ص 182
- (21) «الأغاني التونسية» ص 324
- (22) المرجع السابق ص 320
- (23) شرحة ص 325
- (24) في النص: أحور أحم
- (25) الأغاني التونسية ص 311
- (26) المرجع السابق ص 313
- (27) نفسه ص 194
- (28) نفسه ص 220
- (29) ديوان صفي الدين الحلبي ص 152
- (30) «الأغاني التونسية» ص 223
- (31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-ج 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم التاسع

- (1) انظر عنه «الأعلام» 224/1 والمراجع المذكورة فيه
- (2) «نفع»-ط عبد الحميد-9/280
- (3) المرجع السابق، 9/281 وجعلها له. الدراوي في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
- (4) «الدراوي السبع» ص 15
- (5) انظر عنه د. الجراي «موشحات مغربية» ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» ج 4 ص 152
- (6) «نفع الطيب» ج 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
- (7) المرجع السابق ج 9 ص 277

- (8) «موشحات مغربية» ص 154
- (9) «نفح الطيب» ج 9 ص 278
- (10) ص 5
- (11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).
- (12) ج 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة»، ربيع الثاني 1396 هـ
- (13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126
- (14) المرجع السابق ص 127
- (15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زاكور» و«الأعلام» 230/7
- (16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها
- (17) موشحات مغربية ص 209
- (18) ذكرها المقرئ في «نفح» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر ياقوت: «إرشاد» 23/7
- (19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49
- (20) «موشحات مغربية» ص 182
- (21) «الأغاني التونسية» ص 324
- (22) المرجع السابق ص 320
- (23) شرحه ص 325
- (24) في النص: أحور أحمر
- (25) الأغاني التونسية ص 311
- (26) المرجع السابق ص 313
- (27) نفسه ص 194
- (28) نفسه ص 220
- (29) ديوان صفى الدين الحلبي ص 152
- (30) «الأغاني التونسية» ص 223
- (31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-ج 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم العاشر

- (1) نفح الطيب (ط إحسان عباس) 530/3
- وقد رجح د. الشكعة في «الأدب الأندلسي» ص 234 أنها «كانت غرناطية عاشت في القرن السابع لأنه-يعني المقرئ-ذكرها بين مجموعة من شعراء القرن السابع الغرناطيين ولأن غرناطة نفسها كانت مليئة باليهود المتجمعين فيها» وفي رأينا أن المقرئ لم يذكر قسمونة هذه بين مجموعة من شعراء القرن السابع الهجري، فقد ذكر قبلها حكاية عن ابن المرغوي الاشبيلي-من معاصري المعتمد بن عباد-وذكر شيئاً عن شاعر يدعى نسيم الإسرائيلي، وهو ممن تحدث عنهم الحجارى

في «المسهب»

أما محمد المنتصر الريسوني في كتابه «الشعر النسوي في الأندلس»-بيروت 1978- ص 104 فيقول عن قسمونة: «يمكن لنا أن نجعلها ضمن شاعرات عصر الطوائف ذلك أن هذا العصر تميز بازدهار الموشحات، وشاعرتنا قسمونة كانت وشاحة ولا يتكئ هذا الرأي على سند علمي واضح.

(2) «توشيع التوشيع» ص 189 وأحال على «إعتاب الكتاب» ص 214- 215

(3) «توشيع التوشيع»، ص 22 ولعله ابن ملوك التتوخي تلميذ الحافظ السلفي انظر «معجم

السفر» ص 170

(4) المرجع السابق ص 32 وقرأ شترن الاسم من المخطوطة على الوجه التالي: تلك الغد

(5) «معجم السفر» ص 170 والنص نفسه في أخبار وتراجم أندلسية ص 21

(6) النص السادس

(7) ص 13

(8) ج 7 ص 57 (ط إحصان عباس)

(9) شرحه، ج 334/3

(10) «المغرب» 1/ 282

(11) ص 83

(12) ج 5 ص 267 (ط إحصان عباس)

(13) أنظرها في «الوافي بالوفيات» 4/ 280

(14) ترد في «توشيع التوشيع»، ص 85

(15) تجيء في «الوافي بالوفيات» 4/ 280

نماذج من الموشحات

(*) التعليقات التي على النماذج والتي على النصوص من وضع صاحب هذا الكتاب.

(*) ترد في «التوشيع» ص 113 و «الفوات» (ط إحصان عباس) 2/ 151 منسوبة لابن ماء السماء وفي

«الوافي» 2/ 189 منسوبة لابن القزاز

(1) توشيع: جزت

(2) التوشيع: ينجل

(3) الوافي: يبرد. الفوات: تبرز. توقد

(4) الوافي: ويأسنى

(5) الفوات: طرقي

(6) الوافي: حبيك

(7) الوافي: ندى

- ترد في «الفوات» (ط إحصان عباس) ج 2 ص 152 ولم نجدها في أي مصدر آخر

- دار الطراز، ص 71، وأشار إلى الخرجة ص 32، ونسبها لعبادة.

- ترد في «دار الطراز» ص 60 (ومقطع منها ص 29) وجاء قسم منها في «أزهار الرياض» 2/ 254 و

«نفح الطيب» 380/4

- ترد في «التوشيع» ص 131 وفي «عقود اللآل» مخطوطة «الاسكوريال-ورقة 9 وفي «العذارى المائسات» وقال إنها لجمال الدين بن نباته وقيل لابن عزلا (ولعل الاسم الأخير تحريف لابن غرلة الذي كان ذكرناه من قبل وليس هذه الموشحة من جنس ما وصل إلينا من موشحاته، أما ابن نباته فان ديوانه لا يتضمن هذه الموشحة ولا حتى معارضة لها).

(1) توشيع: قمري

(2) توشيع: التنفيذ (3) التوشيع: لمحا

(4) عقود: البدر

- النص في «جيش التوشيع» ص 70

(1) الخرجة فيه: «أما الفرار وليش دمار» وهي-ولا شك-مبتورة، ولا تتفق مع باقية الإقفال. وفي نسخة حسن حسني عبد الوهاب (صفحة 1 غ).

يا قرجوني ككرس يون

أما الفرار ليش

ولش دمار

ولا تستقيم على هذه الصورة

- ترد في «توشيع» ص 151 ونسبها لابي الحسن علي بن عبد الغني الحصري، وهي في «جيش» ص 74 ضمن موشحات ابن ارفع راسه، ورجعنا إنها له.

(1) جيش: ولا درى الابطا (1) والارطى: شجر الأثل

(2) توشيع: هجيراه

(3) جيش: أماتي غبطا . وعبطا: نحرا

(4) جيش: باسعاد

(5) جيش: حيث قد إبطا (1).

- النص في «جيش التوشيع» ص 168

(1) في الأصل: يجوز حكما (2) في الأصل: اوطف

(3) في الأصل: غرة الجمال

(4) في الأصل صرف رمال يا قد بدالي

- يرد النص في «جيش التوشيع» ص 94.

(1) كذا في المطبوع، ولعلها: حين

(2) صنعان: صنعاء
- ترد كاملة في «جيش التوشيع» ص 147 وهي في «عدة الجليس» دون ذكر قائلها-ونقل د .
الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 18 المطلع والخرجة عن مقال غومث (الأندلس سنة 1952)
الخاصة بالخرجات الأعجمية في مجموعة ابن بشرى

(1) جيش: يسطو بأسد
- الموشحة في جيش ص 106 وديوان الأعمى التطيلي ص 261 والتوشيع ص 106 .

(1) الديوان: مسفوح.

(2) توشيع: عليل.

(3) الديوان: ويا دموع قد أعانت.

(4) الديوان: أصادق.

(5) جيش: حسنت، الديوان: حسنة.

(6) الديوان: لبيك إلا الهو وقل للرقيب. جيش: لبيك لا أُلوى.

(7) الديوان والحسن: مرنى.

(8) في جيش: وسن الجفون. وفي الديوان يشير المحقق «إلى أن الأصل لم يكن واضحاً، ولعله:
«فما بسر ما تصون الجفون».

(9) في الديوان والجيش: كيف أسئ.

(10) الديوان والجيش: نومي غرار.

(11) الجيش: بين جفوني عراز.

(12) الوشيع: أهذي به .

(13) الديوان والجيش: فاعجب .

(14) الديوان: بحقي .

(15) الديوان والجيش: فكل.

(16) كذا جاءت الخرجة في الديوان (وهي بالأعجمية أي بلغة الرومانت) وترد في التوشيع «مر الحبيب انفرم دموار.. كان دشتار.. تنفس أميت كسادمواتار» وفي الجيش «ما والحبيب دموصار.. فادر شنار.. بنفس أست كساد موعار» وأوردها د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 241 نقلا عن مقالة عن الخرجات كان الأستاذ غومث قد نشرها في «الأندلس» سنة 1954، وفيه: موا الحبيب انفرم ذي موامر كن دشتار تنفيس اميب كسد نوليفر ومعناها «حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك-آلا ترى أنه لن يرجع إلى أبدا؟»

- أنظرها في «ديوان الأعمى التطيلي» ص 253 وترد في «المغرب» 453/2 و «دار الطراز» ص 43

(1) المغرب: غصن بان (6) الديوان: من محيا الجمر

(2) المغرب: ذا فتني (7) المغرب: بن جوى

(3) المغرب: لاعبته (8) المغرب: كلما يذكر

(4) المغرب: لي فيك (9) المغرب: رق

(10) المغرب: ليس محيا (10) المغرب: إلى أن أيسا

(11) دار: ليس عليك ساتدري وفي الديوان: ليس عليك ستدري

(12) المغرب: سايطول

(13) المغرب: وتجرب غيري

- يرد النص في «جيش التوشيع» ص 54 (غير مقابل على أي مصدر آخر)

(1) أخذنا بقراءة نسخة حسن حسني عبد الوهاب

(2) كذا في المطبوع ونشك في صحة القراءة ولعلها: «وأنا ارتع في غير قيد»

(3) بياض في الأصل، وملأناه بما يناسب المعنى

- ترد الموشحة في توشيع التوشيع منسوبة لابن الزقاق (والحققتها محققة ديوان ابن الزقاق إلى

الديوان استنادا إلى ذلك) كما تجئ في «عقود اللآل» مخطوطة الاسكوريال ورقه 10 منسوبة

كذلك لابن-الزقاق بينما نسبها صاحب «نفح الطيب» ج 5 ص 369 إلى أبي بقي

- النص في «جيش التوشيع» ص 175

(1) في المطبوع: أجريت

(2) في المطبوع: حتى

- ترد في «جيش التوشيع» ص 13 ولم نجدها في غيره من المصادر

(1) في المطبوع: قد ضمينا

- النص في «دار الطراز» ص 67 وذكر الخرجة ص 31 ونسبها لابن بقي وترد الموشحة في نفح

الطيب 302/9 مسبقاً بـ ومما يطربني من الموشحات قول بعضهم «وترد الخرجة في توشيع التوشيع» ص 175 في خاتمة موشحة للصفدي بناها على نسق موشحة ابن بقي

(1) نفح: يوم الطلوع

(2) نفح: حال

(3) دار: من

(4) دار: للسقم

(5) دار: تطلبه

(6) نفح: الحد

(7) نفح: من لا

(8) نفح: وقد مد

- النص في «المغرب» 103/2

(1) المطبوع: دار

- يرد في «جيش التوشيع» ص 105، و «المغرب» 232/2 (وأهمل محقق الجيش-لأمر ما-أن يقابل بين النصين)

(1) الجيش: الدرار

(2) المغرب: على ورد (وذكر المحقق أنها في الأصل: على ود)

(3) الجيش: من الفخر

(4) الجيش: بهتز

* النص في «المغرب» 446/2 هـ «جيش التوشيع» ص 218

(1) جيش: بالدمع

(2) جيش: فكهم تهمل

(3) جيش: إذ غص

(4) المغرب: يجبل

(5) المغرب: لما بت

(6) جيش: ظلي يطلع (7) جيش: لنافر (8) جيش: الظفائر

(9) كذا في النص، ولعلها ينأى

(10) في المغرب: مع

- ترد الموشحة في العديد من المصادر من بينها «المغرب» 1/267 و «دار الطراز» ص 73 (غير منسوبة) و «معجم الأدباء» 18/219 و «المطرب»-غير كاملة-ص 200 و «الموافي» 4/40 و «توشيع التوشيع» ص 126 (وقابل محقق التوشيع النص على المصادر السابقة ومن ثم لم نر ضرورة لرصد كل الخلافات) كما ترد في: «عيون الأنباء»-ص 526 وفي «جيش» ص 202 وديوان ابن المعتز (ط. القاهرة 1871)، بعناية عزيز زند والنسبة لأبن المعتز غير صحيحة كما

بيننا وتجيء كذلك في «العذارى المائسات» ص 5 وفي «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 6 وسنذكر الفروق بين النسخ عند تحقيقنا للكتاب الأخير
- ترد الموشحة في «المغرب» 1/273 وفي «توشيع» ص 101 وفي «عيون الأنباء» ص 527

المغرب: نجل. طبقات: كحل

(2) المغرب: أوفى (3) المغرب: النصيح

(4) عيون: تشتتيك (5) المغرب: فاترك. عيون الأنباء: سام العيون

(6) عيون: سحر وما ودعتني

- النص في «الديوان الأكبر» ط. حجر (بومباي) ص 202 وغنى عن الذكر إن الموشحة على نسق قول ابن زهر «أيها الساقى إليك المشتكى»

- النص في ديوانه (ط. إحسان عباس) ص 283، وفي «نفح الطيب» 9/271، وعقود اللآل-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 67، وهناك بعض اختلاف في ترتيب الأقفال والأبيات.

(1) نفح والديوان: اطلعت

(2) الديوان: تسلك بي. عقود: غرر تسلك

(3) الديوان: ما لنفس وحدها

(4) عقود: الحسن

(5) الديوان: التذاذي

(6) الديوان: وإذا أشكو بوجدي. عقود: كلما أشكو بوجد باسم

(7) الديوان: والعارض

(8) عقود: فهي (9) عقود: أقحوان (10) عقود: لا يطبق

(11) عقود: الجمة اكحل الطرف (وينقض بعدها القفل والبيت التاليان)

(12) الديوان: من إذا أملى عليه حرقتي طارحتني مقتلته الدنفا

(13) الديوان: تركت أجفانه (14) الديوان: وأنا اشكره

(15) عقود: ليس لي في الحب

(16) الديوان: تقدت دمعي نار في ضرام تلتظي... مايشا. عقود: منه للنار.

(17) عقود: وهي منار (18) عقود: أسد الغاب

* من ديوان ابن خاتمة الأنصاري تحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) ص 162، وعلق المحقق على النص بقوله إن: الموشح تام من ستة أقفال وخمسة أغصان وهو موشح غير شعري والخرجة عامية ولا ننتق معه في تعبير «أغصان» ولا في قوله: إن الخرجة بالعامية فهي خرجة فصيحة وتؤثر تسمية «الأبيات» بدلا من الأغصان لأنها هي التي عليها ابن سناء الملك.

(1) الحوة: السمرة في الشفة (2) لعل المراد هنا: صغار الأطباء (3) اليعفور:

ولد الطيبي (4) لاشك في أن التعبير سيئ ولعل لقافية الطاء أثرا في هذه الركاقة

* يرد النص كاملا في «النفع الطيب» 9/225 (ويأتي معظمه في «مقدمة» ابن خلدون/399) وفي مصادر أخرى منها «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-

(1) عقود: ومقدمه: فسنا الأزهار فيه

(2) عقود ومقدمة: بأبهى

(3) عقود ومقدمة: فيه الفرصا

(4) «مقدمة: > يأذنى فرس

(5) مقدمة: مسكن

(6) عقود: خراب

(7) مقدمة: ومذنب

(8) عقود: وفؤادي

(9) مقدمة: لاعج من

(10) مقدمة: الا الدما، عقود: إلا دما كيقايا

(11) عقود: من ذكر

(12) ينتهي هنا النص في المقدمة

(13) عقود: فتح

(14) عقود: نهب

(15) عقود: حلا

* النص في «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» لابن الخطيب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص 169. ويضم الكتاب موشحة أخرى لابن الخطيب، مطلعها:

قد قامت الحجة

فليعذر العاذر

فالعدل لا يجدي

شيئاً سوى الكرب

وشقوة خاطر

وشدة الوجد

(ص 167) وصدرهما ابن الخطيب بقوله:

«ونظمت في هذه الأيام (ورجح المحقق في المقدمة، ص 4 أن الكتاب لم يؤلف في الفترة ما بين سنة 773- 776 أي الفترة الأخيرة من حياة ابن الخطيب التي قضاه في منفا الاختياري بالمغرب الأقصى بل أكد أن الكتاب ألف خلال المدة التي كان فيها ابن الخطيب برفقة السلطان محمد الخامس الغني بالله عندما خلع وأقام بالعدوة. أي من سنة 760 إلى سنة 763) موشحتين استطردت فيهما إلى مدح السلطان، تنويعاً في الوسائل، وسبراً للقريحة».

(1) مدينة بالمغرب الأقصى على المحيط، وأقام بها ابن الخطيب فترة في خلال مدة عزل السلطان، الغني بالله.

* النص في «نفح الطيب 10/104 يتصدرها:» وقال أيضاً من الموشحات الرائقة، في مثل هذه السابقة (إشارة لموشحة: «بالله يا قامة القضيبي» في التشوق إلى غرناطة ومدح الغنى بالله) وأشار إلى محاسن، من وصف الرشاد.

ويرد النص في «العذارى المائسات» ص 34 يتصدرها: «وقال متشوقاً إلى غرناطة ومادحا السلطان أيده الله بنصره»

(1) في النفح: «فجفنه كلما استهلا» في العذارى يبتسم

(2) في النفح: كلما تطيف

(3) في النفح: وقلبنا

- (4) في النفخ: فيك مبنى
- (5) في العذارى تدعى دثارا
- (6) في النفخ: ودرع الزهر... وزين النهر
- (7) في النفخ: كبت على روضها (8) نفخ: فوقه
- (9) في النفخ: شنيها
- (10) نفخ: بها تسيل
- (11) في النفخ: به تصف

* ترد في «العذارى المائسات» ص 18 تسبقها جملة «قال.. على أثر قنوله من الحج عام 849»

(1) في المطبوع: خصل

(2) في المطبوع: بالمأمول

وقد جاء في «نفخ الطيب» ج 9 ص 293 مطلع موشحة للسان الدين بن الخطيب

قد حرك الجبل بازي الصباح

والفجر لاخ

فيا غراب الليل حث الجناح

وذكر أنه «معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بنفسج الليل تذكى وفاح

بين البطاح

كأنه يسقى بمسك وراح»

ومن المعارضات الأخرى له قول ابن سهل الاشبيلي «باكر إلى اللذة والاصبطاح» وموشحة لابن

نباته المصري أولها «ماسح محمر دموعي وساح» وتردان في «عقود اللال»-مخطوطة الاسكوريال-

ورقة 5، وتجيء الأخيرة في «نفخ الطيب».

* يرد النص في «الدراري السبع: الموشحات الأندلسية» ص 15، وعلى رأسه: «لأبي العباس

المنصور سلطان الأندلس»، كما يرد في «الكواكب السبعة السيارة»-مخطوطة الظاهرية-النص السابع،

يتصدره «لأبي العباس المنصور مولاي أحمد، سلطان الأندلس».

والموشحة-كما هو واضح-مما نسج على منوال موشحتي ابن سهل وابن الخطيب اللتين مرتا من

قبل، وموشحة المنصور السعدي نموذج لموشحات متأخري المغاربة، وقد سقناها-على علاقتها-

لتوضيح صنيع هؤلاء المتأخرين في حرصهم-وفي عدم حرصهم-على محاكاة صنيع القدامى.

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

* النبذة عن عبادة بن ماء السماء ترد في القسم الأول من المجلد الثاني، ص 1-2 وأما حديث ابن

بسام عن ابن عبادة القرزاذ فيجئ في ص 299-300.

وأورد ابن شاعر في «الفوات» ج 2 ص 149 من ط. إحسان عباس-نبذة مختصرة لما جاء في

الذخيرة، وأما الصفدي في «التوشيح» ص 20 فإنه لا ينقل عن «الذخيرة» إلا عبارة واحدة تقول:

«وقال ابن بسام أول من صنع هذه الموشحات بأفقتنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد ابن

- محمود القبري الضريير، وقيل ابن عبد ربه، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي وأكثر منها» (1) زيادة (عن المطبوع) يقتضيها السياق.
- (2) في «الذخيرة» ووضعوها. وأخذنا بما جاء في «الفوات»
- (3) في «الذخيرة» محمد بن حمود: وفي كثير من مخطوطات «الذخيرة» وكذلك في «الفوات» و«التوشيح» ابن محمود، وهو الأقرب للصواب. وانظر «الزجل في الأندلس» هامش ص 4.
- (4) اختصرت العبارة في «الفوات» فجاءت على النحو التالي:
- «... ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضييف وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في المراكز». ولاحظ أن كلمة (التضمين) جاءت في عدد من أصول كتاب «الذخيرة»- كما يقول محققو الكتاب- في صورة تشبه «التصبير» وجعلوها «أما د. إحسان عباس في تحقيقه لـ «الفوات» فجعلها «التضييف» والكلمة نفسها تجيء في ط. الشيخ محيي الدين من «الفوات» > «التصغير»
- (5) جاء في النسخة المطبوعة من «الذخيرة» > عصرنا. وعلق د. الأهواني على هذا في «الزجل في الأندلس» هامش ص 4 بقوله: «وهو سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: عصره».
- (6) كلمة (التغيير تبدو لنا غامضة، ولعلها نفس الكلمة التي وردت قبلا في صورة «التضمين» أو «التصبير» أو «التضييف».. الخ.
- (7) في المطبوع: «خارجة عن هذا التصنيف».
- *النص «دار الطراز في عمل الموشحات» تحقيق د. جودت الركابي، ص 25- 39 ولم تختصر منه إلا ما كان خارجا عن نظرية الموشح، مثل الصفحات الأخيرة، إذ أنها مما يتصل بموشحات ابن سناء الملك نفسه.
- وقد حقق الكتاب استنادا إلى مخطوطتين في كل من دار الكتب بالقاهرة وليدن، وطبع في فترة لم تكن قد نشرت فيها أعمال هامة في مضمار الموشحات، وقد كان ظهور «دار الطراز» سنة 1949 عاملا من العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات المعنية بفن التوشيح.
- وهناك مخطوطات أخرى من «دار الطراز» سنتحدث عنها في غير هذا المجال.
- (1) لعل هذه الموشحة أشهر ما خلف التطيلي، وترد في العديد من المصادر مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح والمغرب» وعارض هذه الموشحة عدد كبير من وشاحي المغرب والمشرق.
- (2) أول موشحة للأعمى التطيلي، وترد بتمامها في «دار الطراز» و «جيش التوشيح»
- (3) في «دار الطراز» و «الوافي بالوفيات» 41/4 و«عيون الأنباء» ص 526
- (4) يرد بتمامه في «الدار»
- (5) يرد بتمامه في «الدار وفي جيش التوشيح» منسوباً للأعمى التطيلي.
- (6) يرد بتمامه في «الدار» وينسب أحيانا لابن زهر.
- (7) يرد بتمامه في «الدار»، ولا نعرف لمن هو.
- (8) أثار هذه الجملة طائفة من المناقشات، على النحو الذي سبق أن سقناه عند الحديث عن التزنييم وعن ابن غرلة.
- والعجيب أن ابن سناء الملك لا يذكر مثالا على هذا النوع لأن موشحة «العروس» جاءت مزمنة، وكان يستطيع أن يمثل به بغيرها، كما فعل الصفدي في «توشيح التوشيح»
- (9) مطلع موشحة لابن اللبانه، ترد في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح»
- (10) ترد هذه الموشحة في «دار الطراز» والإشارة في المقدمة لـ «عبادة» تجعل النص ينسب تارة

- لعبادة بن ماء سماء، وتارة أخرى لابن عبادة القزاز.
- (11) مطلع الموشحة رقم 10 في «دار الطراز» (أفردت بالحسن) ويرد في مجموعة ابن بشرى بدون ذكر اسم المؤلف. وينسب في بعض الأحيان لابن بقی
- (12) مطلع الموشحة رقم 11 في «دار الطراز» أوله «كم ذا يؤرقني ذو حدق» وهي-كما ذكر ابن سعيد في «المغرب» 414/2- لابن اللبابة
- (13) مطلع الموشحة رقم 12 في «دار الطراز» وأولها «كذا يقتاد» ويرد منها قسم في «المغرب» 2/ 415، وهي في «جيش التوشيح» > كذا يعتاد
- (14) يرد بتمامه في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هو.
- (15) أول الموشحة «بأبي أحوي رشيق» وهو الموشح الرابع عشر في «دار الطراز»
- (16) أول الموشحة «كم في قدود البان»، ويرد بتمامه في «دار الطراز» ونسبه المقرئ في «النفح» و «أزهار» لابن عبادة، ونسبه ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة المري.
- (17) ترد كاملة في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هي.
- (18) من موشحة مطلعها، «أعيا على العود» وتختلف المصادر في نسبها. وهي تجئ في «جيش التوشيح» على أنها للأعمى التيطلي، وجاءت خرجة الموشحة في «المقتطف» منسوبة لأبي بقی.
- (19) وردت هذه الموشحة بتمامها في «دار الطراز» وجعلها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» من موشحات ابن بقی، وجعلها ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة الملقى.
- (20) أول الموشحة: أعجب الاشيا رعى الإمام.
- وترد في «دار الطراز» على أنها لابن بقی استنادا لهذه الإشارة في المقدمة.
- (21) أول الموشحة: «مالي شمول إلا شجون»
- وهي في «دار الطراز» و«عدة الجليس» منسوبة لابن بقی.
- (22) هذه هي القاعدة العامة، وشذت قلة قليلة فيما يتصل بهذا الشرط، أما متأخروا الموشحين فقلما اهتموا بذلك (انظر، على سبيل المثال، موشحات ابن زمرك).
- (23) انظر ما ذكرناه عن ابن عبادة القزاز.
- (24) ترد الموشحة في «دار الطراز»، وأولها: «يطغى وجيبي».
- (25) أول الموشحة في «دار الطراز» > «رح للراح وبأكر».
- (26) الموشحة في «دار الطراز» وفي مجموعة ابن بشرى بدون ذكر مؤلفها.
- (27) تحدثنا من قبل عن هذه الموشحة، وأمر نسبتها لابن المعتز. وانظر ما ذكرناه عن ابن زهر.
- (28) أول قصيدة ابن المعتز: عرف الدار فحياها وناحا بعد ما كان صحا واستراحا
- (29) أول الموشحة: «أتشكو وأنت تعلم حالي»
- وترد بكاملها في «دار الطراز».
- (30) في المرجع نفسه، ص 77، وفي «جيش التوشيح».
- (31) الموشحة لابن بقی، وترد في «دار الطراز».
- (32) علق د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 225 على استعمال الأرنغ في تلحين الموشحات بقوله: «وأنا أرى أن ابن سناء الملك قد يكون واهما أو مغاليا، لأن الأرنغ ليس

بالآلة السهلة التي يمكن اقتناؤها، إذا تصورنا مدى شيوع الموشح في أوساط مختلفة مع الزمن، وإما أن يكون تنعيمها على الأرغن هو أوفق ضروب التلحين لا وهذا يمثل دوراً تالياً لدور نشأتها اكتشف من بعد».

ونحن مع وجهة النظر هذه لأن ابن سناء الملك سيتحدث بعد قليل عن غناء الموشحة ذاكراً أن «المغني ببعض الآلات يحتاج إلى أن يغير شد الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى الأقفال»، وهذا التغيير ميسور بالنسبة لآلة مثل العود ولكنه عسير بالنسبة لآلة أكثر تعقيداً كالأرغن.

(33) يرد النص بتمامه في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح» منسوبة للأعمى التطيلي، ويحجى كذلك في مجموعة ابن بشرى.

(34) يجيء النص بتمامه في «دار الطراز» ويستدل من المقدمة أنه من موشحات الأعمى التطيلي.

(35) النص لابن بقى بحسب ما جاء عند ابن بشرى.

(36) انظر دار الطراز ص 83.

(37) في «دار الطراز» ص 83، وهو آخر النصوص الأندلسية الواردة فيه.

(38) انظر ما سقناه عن الموشحات الدينية والصوفية. وابن سناء الملك اكتفى بأن قدم في «دار

المقتطف من أواخر الطرف

الطراز» موشحة له من هذا النوع «المكفر» انظر ص 131.

* نشر هذا النص د. عبد العزيز الأهواني ضمن بحث بعنوان «ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل» طبع في «أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة سنة 1962 ص 473-487. اثبت فيه أن ما في «المقدمة» من حديث عن الموشحات والأزجال نقله ابن خلدون «كله نقلاً حرفياً، وأودعه في مقدمته دون

تصرف أو تغيير» و يضيف:

«حقاً إن في نص ابن خلدون بعض سطور تزيد على ما بين أيدينا من نسخة المقتطف، ولكن مراجعة هذه الزيادات اليسيرة يقطع بأن بعضها كان في أصل المقتطف، أما البعض الآخر من هذه الزيادات فنرجح أنه أيضاً كان في الكتاب ثم سقط في نسختنا، لأنه يتفق مع سياق نص ابن سعيد».

هذا ما يقرره د. الأهواني،. وإذن فليس لابن خلدون في نهاية المطاف إلا التمهيد والتذييل على ما جاء في «المقتطف» ونحن لا نستبعد مع ذلك أن تكون بعض الزيادات من وضع ابن خلدون، مثل الفقرة التي جاءت من شعر التطيلي «كيف السبيل» وقطعة ابن الصابوني التي أولها «ما حال صب» وهذه الزيادات لا تمثل في حقيقتها شيئاً ذا بال، والنص الذي في «المقدمة» عن الموشحات إنما هو نقل عن ابن سعيد.

أما المقرري فإنه يسوق في كتابيه نفع الطبيب (ج 9 ص 220 من ط-محيي الدين، ج 7 ص 5 عن ط. إحسان عباس) و«أزهار الرياض» (ج 2 ص 208) مختصراً لما جاء في مقدمة ابن خلدون، ولا يزيد عليه إلا زيادة لا يعتد بها، تتمثل في ذكر تنمة موشحة لسان الدين بن الخطيب «جارك الغيث» وكان ابن خلدون قد أورد معظمها، ولكن أهمل جانباً منها.

ونقابل هنا بين القطعة الخاصة بالتوشيح في «المقتطف» وفقاً للنص الذي نشره د. الأهواني وبين

مقدمة ابن خلدون (ط، كاترمير) ج 3 ص 390 وما بعدها، ونشير كذلك للنص حسب ما أورده المقرئ.

(1) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري (المتوفي سنة 562 هـ)، صنف كتابه المسهب في سنة 530 لعبد الله بن سعيد، صاحب قلعة بني سعيد من أعمال غرناطة، وأعجب هذا بالكتاب أيما إعجاب، وعكف على تنقيحه، وكان أن تابعت على الكتاب بعد ذلك جهود أربعة آخرين من أسرة ابن سعيد، آخرهم علي بن سعيد المغربي المتوفي سنة 685 هـ، وهو الذي ضم جهود من سبقه ونسقها وأخرجها للناس تحت عنوان «المغرب في حلى المغرب». راجع مقدمة «المغرب» للدكتور شوقي ضيف ص 9-10. وكتاب «المغرب» لم يصل إلينا كاملاً، ولا تتضمن النسخة المطبوعة شيئاً من حديث الحجاري هذا عن الموشحات.

(2) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، (المتوفي سنة 637 هـ)، له شروح على كثير من أمهات الكتب مثل «الكامل» للمبرد و«الأمال» للقاللي، وله كتاب في «آداب أهل بطليوس» انظر عنه «المغرب» 1/369، وراجع «الأعلام» 1/60.

(3) قدمنا نبذة عن ابن زهر، وعن غيره من الوشاحين المذكورين في النص، ولم نجد ضرورة لتكرير ما سقناه عنهم.

وقد قدم ابن خلدون للنص الذي نقله بالآتي:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً أسموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً يكثرُونَ منها ومن أعاريضها المختلفة: فيسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينهى عندهم إلى سبعة أبيات. و يشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، و ينسبون فيها ويمدحون، كما يفعل في القصائد. وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستطرفه الناس، وحمله الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقته.

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري، (وهذه ولاشك قراءة غير دقيقة للنص، وجاءت مثل هذه الأخطاء في كثير من طبعات المقدمة، والاسم في «النفح» جاء على وجه الصحيح: مقدم بن معافي القبري) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه (في النفح: وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه) صاحب كتاب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت مرشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز...».

(4) في المطبوع من المقتطف، وفي «النفح» > ولم تسلم. وفي «المقدمة» وليش تسلم.

(5) زيادة من «المقدمة» وترد في «النفح».

(6) في المقدمة والنفح: وذكر غير واحد من المشائخ أن أهل هذا الزمان بالأندلس.

(7) النفح: المغرب.

(8) المقدمة: منا. وأسقط المقرئ فقرة «وصل السكر منك بالسكر».

(9) جملة: «ولما ختمها...» ساقطة من المقدمة والنفح.

(10) في «المقتطف»: > الأمير العلي (ولعلها غلطة مطبعية).

(11) غير ابن خلدون من ترتيب العبارات بما لا يبدل المعنى.

(12) في المقدمة: أبو الخطاب.

(13) في المقدمة: ذكر أبي بكر.

- (14) في المقتطف والمقدمة: فغض.
- (15) أسقط المقرئ كل ما جاء من قطعة الأبيض.
- (16) الزيادة من «المقدمة».
- (17) في المقدمة: الحسن بن دويريده.
- (18) ترد الموشحة بتمامها في «دار الطراز» دون ذكر مؤلفها، وأولها في الدار:
- شمس قارنت بدرا راح ونديم
- وتجىء في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 41 و «عيون الأنباء» ص 526 منسوبة لأبي بكر بن زهر. ومن المراجع الحديثة من نسبته لحاتم بن سعيد، وهذا -ولا شك- محض خطأ.
- (19) في المقدمة والنفع والأزهار: الدويني.
- (20) في النفع: هو.
- (21) ناقص من المقتطف.
- (22) ناقص من المقتطف ومن المقدمة والنفع (وأضافه محقق النفع-الشيخ محي الدين استناداً إلى طبعة أخرى من المقدمة).
- (23) نفع: موفق.
- (24) في «المقتطف» ومقدمة ابن خلدون والنفع: ابن حيون، وصوبنا الاسم استناداً إلى ما في «المغرب» (انظر ما ذكرناه عن: ابن حنون).
- (25) المقدمة: سهمه.
- (26) هذه الفقرة رسمت في المقتطف ومن نقل عنه على شكل عبارة نثرية، كما وهم ابن خلدون عندما وصف موشحة ابن حنون بأنها «زجل مشهور» انظر الموشحة بتمامها في «المغرب» 1/281.
- (27) المقدمة: يدي.
- (28) المقدمة: يومئذ.
- (29) في المقدمة: أخبر ابن سعيد عن والده أن مصرفاً هذا.
- (30) المقدمة: فقال لا تفعل فقال ابن الفرس.
- (31) في المقدمة: قلوب تصاب.
- (32) كلمة (قلوب) ساقطة من المقدمة.
- (33) في المقدمة: وبعد هؤلاء.
- (34) في المقدمة: ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي.
- (35) المقدمة والنفع: قلب الليل.
- (36) في الأصل: «قال ابن سعيد: كان والدي».
- (37) زيادة من المقدمة، وترد في النفع.
- (38) في المقدمة والنفع: «قال ابن سعيد كان والدي».
- (39) في المقدمة والنفع: أعانق بالفكر... وألثم بالوهم.
- (40) في المقدمة والنفع: فنجوم.
- (41) في النفع: ولا بالمثال.
- (42) في النفع: قد قدحت.
- (43) في المقدمة: ابن خرز البجاوي وله من موشحة.
- (44) في المقدمة: «موافق... حباك منه». وي بعدها:

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته (في الأصل: تسبة) من بعدها وهي قوله:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى
قلوب صب حله عن مكنس
فهو في نار وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيه صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره، وقد مر ذكره، فقال:

جارك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر ابن خلدون معظم الموشحة ولكنه أسقط المدحي منها، ونقل المقرئ السطور السابقة وأضاف في نهايتها: «إلى هنا انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين، ولا أدري لم لم يكملها، وتامها قوله:

الغنى بالله عن كل أحد
وإذا ما فتح الخطب عقد الخ.

(45) علق الدكتور الأهواني على هذه الفقرة قائلاً: «في المقدمة زيادة أربع فقرات من هذا الموشح هذه الفقرات هي:

كللي يا سحب تيجان الربى بالحلي
واجعلي سوارها منعطف الجدول

لكن المؤكد أن الفقرات الأخيرة ليست من موشحة «حبيبي أرفع حجاب النور» وقد ناقشنا ذلك تفصيلاً في بحث بعنوان «مظفر العيلاني وموشحة كللي يا سحب».

«الندوة»، 14 محرم 1398 هـ وفي «نشأة فن التوشيح بالشرق» ص 330 وص 346. ونص موشحة «حبيبي أرفع حجاب النور» (ولم يسبق نشره) سنقدمه للقارئ في كتابنا عن «الموشحات المشرقية». * النص نقلاً عن «توشيح التوشيح» بتحقيق البير حبيب مطلق، ص 19 إلى 32 وأسقطنا ما نقله الصفدي عن مقدمة «دار الطراز» اللهم إلا ما اقتضى السياق ذكره.

(1) انظر نص ابن بسام وعبارته لا تقول أن الرمادي «أكثر من الموشحات» بل أكثر من استعمال «التضمين-9-في المراكيز». (2) جاء عنه في «المغرب» ج 2 ص 317.

«أخبرني والدي: أنه كان شهير الذكر، جليل القدر، متصدراً لإقراء العربية ببليسية في مدة منصورين عبد المؤمن» وتوفي بأشبيلية سنة 571 هـ واتفق د. شوقي ضيف (هامش المغرب) والزركلي («الإعلام» 53/5) على أنه توفي سنة 571 أمامد. إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي ج 2 ص 218 فيجعل وفاته سنة 525 هـ (وانظر عنه «زاد المسافر» ص 103 و «الذيل والتكملة» 1/187، «والتوشيح»-ملحوظة للمحقق-ص 199.

ولابن سعد الخير كتاب اسمه «مشاهير الموشحين بالأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» هو-ولا شك-الذي نقل عنه الصفدي.

(3) ليست هذه الجملة-في واقع الأمر-للصفدي بل لابن سناء الملك. انظر «دار الطراز» ص 25.

(4) لم يجيء هذا المثال في «دار الطراز» لأن ابن سناء الملك الذي لم يجد أمامه فيما يبدو إلا نموذجاً تخلله التزئيم، ومن ثم أسقطه. راجع ما قلناه عن ابن غرلة، وعن ظاهرة التزئيم. (5) هذه العبارة لم تجئ في «الدار».

(6) ذكرنا هذه الفقرة لما لها من ارتباط وشيخ مع ما قبلها، من قبيل إيرادها لاسم ابن سعيد المغربي من بين الشعراء المصريين، لأنها تصور الامتداد الطبيعي للموشح، من الأندلس والمغرب نحو المشرق، ابتداء من مصر انظر دراستنا عن «نشأة فن التوشيح بالشرق».

المؤلف في سطور

د. محمد زكريا عناني

* ولد بمصر سنة 1936 م

* تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية سنة 1961 بامتياز مع مرتبة الشرف.

* تابع دراسته في جامعات الولايات المتحدة وفي فرنسا حيث نال (سنة 1968) درجة دكتوراه التخصص في النقد، ثم دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون (1973) بمرتبة الشرف الأولى.

* عمل بالتدريس في بعض الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا ومصر ويعمل حاليا بجامعة الملك عبد العزيز (بمكة المكرمة).

* ظهرت له أكثر من خمسين دراسة في مجالات الأدب والنقد والتحقيق.



تكنولوجيا السلوك الانساني

ترجمة: د. عبد القادر يوسف